كتاب

رفع الخفا شرح ذات الشفا

تأليف

الشيخ العلامة محمد ابن الحاج حسن الآلاني الكردي
المتوفى سنة ١١٨٩ هـ

تحقيق

حمدي عبد المجيد السلفي
صابر محمد سعد الله الزيباري

الجزء الثاني

مكتبة النهضة العربية
عالم الكتب

الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

(أسماؤه صلى الله عليه وسلم) [١]

أسماؤه ﷺ كثيرة تعرض جماعة لتعدادها، فمنهم من بلّغها تسعةً وتسعين موافقةً لعدد أسماء الله الحسنىٰ الواردة في الحديث [٢]، قال القاضي عياض: خصه تعالى بأن سماه من أسمائه الحسنىٰ بنحو من ثلاثين اسماً وقال ابن دحية في كتابه المستوفىٰ: إذا فحص عنها من الكتب المتقدمة والقرآن والسنة بلغت ثلاثمائة، ونقل أبو بكر بن العربي عن بعض الصوفية أنه بلّغها ألفاً كأسمائه تعالىٰ [٣]. قال القسطلاني وغيره: ومرادهم ما يشمل الأوصاف، فإذا اشتق له من كل وصف من أوصافه المختصة به أو الغالبة عليه، أو المشتركة بينه وبين الأنبياء بلغت ذلك العدد بزيادة، وقد وصلها جماعة كالقاضي عياض وأبي بكر بن العربي وابن سيد الناس وغيرهم إلى أربعمائة، وسرد جميعها القسطلاني مشروحة في كتاب المواهب، وقد ذكر الناظم ما هو المشهور منها فقال:

أَسْمَاؤُهُ قَالَ أَنَا مُحَمَّدُ ... وَالحَاشِرُ المَاحي المُقَفّي أَحْمَدُ

([أسماؤه] قال) ﷺ :

« إِنَّ لِي أَسْمَاءَ » وفي رواية: « خَمْسَةُ أَسْمَاءَ » التي اختص بها لم يسم بها أحد

(١) وقد شرحها السيوطي في كتابه « الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة » وطبعته دار الكتب العلمية في بيروت بتحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول.

(٢) انظر الرياض الأنيقة (ص ١٤).

(٣) انظر عارضة الأحوذي (١٠/٢٨١).

قبلي، أو المشهورة في الأمم الماضية[٤]، فالحصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور، إضافي لا حقيقي لورود الروايات بزيادة على ذلك (أنا) بالإشباع (محمد) في الأصل اسم مفعول سمي به نبينا ﷺ لكثرة خصاله المحمودة ولأنه يحمده أهل السماء والأرض، وتمام لفظ الترمذي عن جبير: «وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ وَأَنَا الْعَاقِبُ»[٥] وروى الترمذي [أيضاً] عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ وَأَنَا الْمُقَفَّى وَأَنَا الْحَاشِرُ وَنَبِيُّ الْمَلَاحِمِ»[٦] فجمع الناظم [ما] في الروايتين الألفاظ الداعي ولم يرتبها لمراعاة النظم فقال: (وأنا الحاشر) مرّ تفسيره في الحديث بأنه [الذي] يحشر الناس على قدمه أي على أثره، وزمان نبوته ورسالته إذ لا نبي بعده، أو يتقدمهم وهم خلفه في المحشر إذ هو أول من تنشق الأرض عنه، وأنا (الماحي) الذي يمحو الله بي الكفر أي من مكة والمدينة وسائر بلاد الإسلام، ولم يمح الكفر بأحد مثل ما مُحِيَ به ﷺ إذ بعث وقد عم الكفر الأرض وأكثرهم لا يعرفون ربّاً ولا معاداً وأنا (المقفيّ) اسم فاعل من قَفَّى إذا ولّى وذهب يعني أنه آخر الأنبياء المتبع لهم فإذا قفّى فلا نبي بعده كما في النهاية[٧] وفسّره غيره بأنه التابع للأنبياء فكان آخرهم من قفوته إذا أتبعته وأنا (أحمد) يعني هو أحمد الحامدين لربّه لأنه يفتح عليه يوم القيامة بمحامد لم يفتح بها على أحد قبله فيحمد بها

---

(٤) انظر فتح الباري (٦/٥٥٦).

(٥) رواه مالك (٢/٢٦٢) وأحمد (٤/٨٠ و٨١ و٨٣ - ٨٤ و٨٤) والبخاري (٣٥٣٢ و٤٨٩٦) ومسلم (٢٣٥٤) والترمذي (٢٩٩٦) وعبدالرزاق (١٩٦٥٧) والحميدي (٥٥٥) والطبراني في الكبير (١٥٢٠ - ١٥٣٠) وفي مسند الشاميين (٣١٩٤) وأبو نعيم في دلائل النبوة (٦٤) وفي الأصل عن جابر، وهو خطأ والصواب ما في نسختي ونسخة القاضي كما أثبتنا.

(٦) رواه الترمذي في الشمائل (٣٦٦) وأحمد (٥/٤٠٥) والبزار (٢٣٧٨ كشف الأستار).

(٧) النهاية (٤/٩٤).

ربّه، ولذلك يُعقد له لواء الحمد كما صح به الحديث وقيل هو بمعنىٰ مفعول أي أنه أول [أولى] الناس بأن يحمد، فهو قريب من معنى محمد، واشتهر ﷺ في الكتب السالفة بأحمد، وفي القرآن بمحمد، وهما من أشرف أسمائه ﷺ، واختلفوا في الأشرف منهما.

وَالعاقِبُ الدّاعي نَبِيُّ المَرْحَمَة   نَبِيُّ تَوْبَةٍ نَبِيُّ المَلْحَمَة

(وأنا العاقب) هو الذي يخلف من كان قبله، ومنه عقب الرجل لولده، وفسر [٥] في الحديث بأنه الذي ليس بعده نبي لأن العاقب هو الآخر فهو عقب الأنبياء أي آخرهم وأنا (الداعي) إلى الله وأنا (نبي المرحمة) ونبي الرحمة وكلاهما بمعنى سمي بهما لوقوع التراحم والإلفة بين الأمة ببعثته ﷺ، والمراد أنه تعالىٰ جعل ذاته رحمةً، قال ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة» رواه البيهقي[٨] فرحم الله تعالىٰ به الخلق مؤمنهم وكافرهم بتأخير العذاب، وأنا نبيّ (التوبة) أي أن قبول التوبة بشروطها المذكورة في محلها من جلة ما حقّقَهُ تعالىٰ ببركته ﷺ على هذه الأمة وأنا نبيّ (الملحمة) ونبي الملاحم جمع ملحمة وهي الحرب لاشتباك الناس فيها كاشتباك السَّدىَ باللحمة، ولكثرة لحوم القتلىٰ فيها، ولم يجاهد نبيّ وأمته قط [مثل] ما جاهد ﷺ مع أمته، كيف وهم يقاتلون الأعور الدجّال وأتباعه من اليهود وغيرهم؟ وفي القاموس: نبي الملاحم لأنه سبب لالتيامهم واجتماعهم انتهىٰ، والأول أصح واقتصر عليه في النهاية[٩]، (فائدة) قال القسطلاني وغيره: ينبغي طلب التسمية باسم من أسمائه ﷺ لخبر أبي نعيم «قال الله عزّ وجل وعزتي وجلالي: لا عذّبتُ أحداً تسمّىٰ باسمك في النار»[١٠].

---

(٨) رواه البيهقي في دلائل النبوة (١٥٨/١) وانظر تعليقنا على مسند الشهاب (١١٦٠).

(٩) النهاية (٢٣٩/٤ - ٢٤٠).

(١٠) لم أره ولا أشك في وضعه.

وروي عن أنس رضي الله عنه: أنّ رسول الله ﷺ قال: «يوقف عبدان بين يدي الله عزّ وجلّ فيؤمر بهما إلى الجنة فيقولان: ربنا بِمَ استأهلنا الجنة ولم نعمل عملاً تجازينا به الجنّة، فيقول تعالىٰ: ادخلا الجنّة فإني آليتُ علىٰ نفسي أن لا يدخل النار من اسمه أحمد ولا محمد»(١) ورویٰ الديلمي عن عليّ كرم الله وجهه: ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه أحمد أو محمد إلاّ قدس الله [عليه] ذلك المنزل كل يوم مرتين(١٢)، وروي عن [عند] أبي نعيم أنه ﷺ سمي بمحمد قبل الخلق بألفي عام، وعن كعب أن اسم محمد مكتوب علىٰ ساق العرش، وفي السماوات السبع وفي قصور الجنّة وغرفها وعلى نحور الحور وعلى قضب آجام الجنّة وورق طوبىٰ وسدرة المنتهىٰ وعلىٰ أطراف الحجب وبين أعين الملائكة، وورد في ذلك آثار كثيرة مذكورة في الشفاء وغيره، فالحمدلله على تسميتي محمداً.

(زوجاته صلى الله عليه وسلم)

زَوْجَاتُهُ بَعْدَ خَدِيجٍ سَودَةُ عَائِشَةٌ بِكْراً فَقَطْ وَحَفْصَةُ

(زوجاته) الطاهرات أمهات المؤمنين في وجوب الاحترام وتحريم النكاح لا في سائر الأحكام من نحو النظر والخلوة بهن وتحريم بناتهن، وسواء في ذلك من مات ﷺ عنها أو ماتت عنه وهي تحته، وأفضلهن خديجة وعائشة، وفي أفضلهما خلاف، والأكثر على تفضيل خديجة عليها وهو الأصح، وورد في فضائل كل منهما أحاديث مشهورة قال [أبو] أمامة بن النقاش: إن سبق خديجة وتأثيرها في أول الإسلام ومؤازرتها ونصرها وقيامها في الدين لله تعالىٰ بمالها ونفسها لم

---

(١١) أورده ابن الجوزي في الموضوعات: (١٥٧/١) وقال: هذا حديث لا أصل له، وأقره السيوطي في اللآلي (١٠٥/١) وجعله من وضع أحمد الذراع تبعاً للخطيب والذهبي، فراجعه. والحديث رواه ابن بكير في فضائل من اسمه أحمد أو محمد (ص٩ - ١٢).

(١٢) رواه ابن بكير في المرجع المذكور (ص٢٩) ولا شك في وضعه.

يشركها فيه أحد لا عائشة ولا غيرها. وتأثير عائشة في آخر الإسلام وحمل الدين وتبليغه إلى الأمة وإدراكها للأدلة لم تشركها فيه خديجة ولا غيرها انتهى. واختلفوا في عدتهن وعدة من دخل بها ومن خطبها ولم ينكحها، ومن عرضت نفسها عليه.

والمتفق عليهن: إحدى عشرة، أولاهن على الإطلاق خديجة (وبعد خديج) بحذف التاء للوزن، ويقال للولد: خديج بالدال المهملة إذا ولد قبل تمام أيامه، وهي أم هند بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصيّ بن كلاب، وأمّها فاطمة بنت زائدة بن الأصم وكانت تحت أبي هالة النباش، فولدت له هنداً وهالة، وهما ذكران، ثم تزوجها عتيق بن عائذ المخزومي فولدت له جارية اسمها هند، ثم تزوجها ﷺ كما سبق تفصيله، وعن عبدالرحمن بن زيد قال: قال آدم عليه الصلاة والسلام إني لسيد البشر يوم القيامة إلاّ نبياً من ذريتي يقال له، أحمد فضّل عليّ باثنتين زوجته عاونته، فكانت له عوناً وكانت زوجتي عليّ عوناً، وأعانه الله على شيطانه فأسلم وكفر شيطاني، خرّجه [أخرجه] الدولابي، وفي الصحيحين أن جبريل عليه السلام قال: «يا محمد هذه خديجة قد أتتك بإناء فيه طعام، أو إدام، أو شراب، فإذا أتتك فاقرأ عليها السلام من ربّها ومنّي وبشّرها ببيت في الجنة من قصب أي لؤلؤ مجوف لا صخب فيه ولا نصب»(١٣) توفيت قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين كما سبق ودفنت بالحجون عن خمس وستين سنة، (سودة) بنت زمعة بن قيس بن عبدالشمس بن عبد ودّ بن نضر بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤي، فهي قريشية عامرية وكانت تحت ابن عمها سكران ابن عمرو أسلم معها قديماً، وهاجر إلى الحبشة، فلما رجعا إلى مكة مات زوجها، وتزوجها ﷺ بعد عقده على عائشة، ودخل بها قبل عائشة على ما جمعوا الخلاف في ذلك، ولما كبرت عنده ﷺ أراد طلاقها فوهبت يومها لعائشة

(١٣) رواه البخاري (٣٨٢٠ و٧٤٩٧) ومسلم (٢٤٣٢).

وقالت: لا حاجة لي في الرجال، وإنما أريد أن أحشر في زوجاتك فأمسكها، توفيت في خلافة عمر رضي الله عنه كما صححه البخاري في تأريخه، وقال الذهبي: في آخر خلافة عمر [١٤]، وقال ابن سيد الناس: إنه المشهور، وقيل: غير ذلك وبعد سودة (عائشة) بالتنوين بنت أبي بكر الصديق اسمه: عبدالله كما سيأتي، وأمّها أم رومان ابنة عامر بن عويمر، تزوجها بمكة في شوال قبل الهجرة بسنتين، وقيل بثلاث وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: تزوجني رسول الله ﷺ وأنا ابنة ست سنين فقدمنا المدينة فأسلمتني أمي إليه ﷺ وأنا بنت تسع سنين [١٥] ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة، وتوفيت سنة ثمان وخمسين وقيل غير ذلك، ودفنت بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة، وكان يومئذ خليفة مروان على المدينة في أيام معاوية، وكنيتها أم عبدالله كناها ﷺ بعبدالله بن الزبير ابن أختها أسماء، فإنه ﷺ تفل في فيه لما ولد وقال لعائشة: هو عبدالله وأنت أم عبدالله قالت: فما زلتُ أكنىٰ بها وما ولدت قط، خرّجه أبو حاتم، وكانت فقيهةً عالمةً فصيحةً كثيرة الحديث عارفة بأيام العرب وأشعارها، وكان ﷺ يحبها أكثر من بقية نسائه، ولما فقدها في بعض أسفاره قال: واعروساه. خرّجه الإمام أحمد [١٦]، وقوله (بكراً) حال (فقط) بسكون الطاء أي فحسب، قال ابن هشام في المغني: قط بمعنى حسب، وقال في حواشي التسهيل: لم يسمع منهم إلا مقروناً بالفاء، وهي زائدة لازمة كما في فحسب انتهى.

لم يتزوج بكراً غيرها (و) بعدها (حفصة) بنت عمر رضي الله عنه وأمها

---

(١٤) التاريخ الصغير (١/٥٠) للبخاري.

(١٥) رواه البخاري (٣٨٩٤ و٣٨٩٦ و٥١٣٣ و٥١٣٤ و٥١٥٦ و٥١٥٨ و٥١٦٠) ومسلم (١٤٢٢).

(١٦) رواه أحمد (٦/٢٤٨ - ٢٤٩).

زينب بنت مظعون، هاجرت مع زوجها خُنَيْس بضم المعجمة وفتح النون ابن حذافة السهمي فمات عنها بعد بدر، فتزوجها ﷺ سنة ثلاث، روي أنه طلقها تطليقةً فنزل جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تراجع حفصة، فإنّها صوّامة قوّامة وإنها زوجتك في الجنّة، وفي رواية قال: رحمةً لعمر[١٧]، توفيت سنة خمس وأربعين، وقيل: إحدىٰ وأربعين عن ستين سنة في خلافة معاوية وقيل: في خلافة عثمان رضي الله عنهما.

أُمُّ حَبِيبَــةَ وهِنْـدٌ زَيـنَــبُ صَفِيّــةٌ بِنْــتُ أَخْطَــبُ

(وأمّ حبيبــة) رملة وقيل: هند بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ابن عبدالشمس بن عبد مناف، تزوجها ﷺ زمن هجرتها إلى الحبشة بعد أن مات زوجها عبيدالله بن جحش هناك مرتداً وثبتت هي على إسلامها، روي أنه ﷺ: بعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ليخطبها عليه فتزوجها لعمرو وكيلاً من قبل النبي ﷺ، وأصدقها عنه أربعمائة دينار[١٨]، وبعث بها إليه ﷺ، واختلفوا فيمن ولّى نكاحها، فذكر البيهقي أنه خالد بن سعيد بن العاص وهو ابن عم أبيها[١٩]، وقيل: سعيد بن العاص، وقيل عثمان بن عفان، وأبوها إذ ذاك كان بمكة مشركاً، وقيل تزوجها بالمدينة بعد رجوعها من الحبشة، والأول أشهر، توفيت بالمدينة سنة أربع وأربعين (وهند) أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمير بن مخزوم، كانت هي وزوجها أول من هاجر إلى الحبشة، ومات زوجها أبو سلمة بن عبد الأسد سنة أربع من الهجرة،

---

(١٧) رواه البزار (٢٦٦٨ كشف الأستار) والطبراني في الكبير (ج٢٣ رقم٣٠٦ و٣٠٧) وإسناده ضعيف.

(١٨) رواه البيهقي في الدلائل (٣/٤٦١).

(١٩) رواه البيهقي في الدلائل (٣/٢٦١ - ٢٦٢).

فتزوجها ﷺ في تلك السنة قالت أم سلمة: [وكنت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول: اللهم آجرني في مصيبتي واخلق لي خيراً منها إلاّ أخلق الله له خيراً منها»] فلما مات أبو سلمة قلت: أيّ المسلمين خير من أبي سلمة، ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ (٢٠) توفيت سنة تسع وخمسين، ودفنت بالبقيع كما في المواهب وفي مختصر ابن سيد الناس: توفيت سنة اثنتين وستين وهي آخرهنّ موتاً، في زمن يزيد بن معاوية كذا جزم العز بن جماعة. (زينب) أم الحكم بنت جحش بن رباب بن يعمر الأسدية، وأُمّها أميمة بنت عبدالمطلب فهي ابنة عمته ﷺ زوّجها ﷺ مولاه زيداً، ثم طلقها فزوجها الله تعالى نبيّه، فدخل عليها بغير عقد كما دلت عليه الآية، وكانت تفتخر بذلك على أمهات المؤمنين، وذلك سنة خمس وقيل ثلاث، توفيت بالمدينة سنة عشرين عن ثلاث وخمسين سنة وهي أول من مات منهنّ بعده، وصح عن عائشة في شأنها أنها قالت: لم تكن [أرَ] امرأة خيراً منها في الدين وأتقى لله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأوسع [أعظم] صدقة وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تتصدق به وتتقرب به إلى الله تعالى، أي وهو الدبغ رواه مسلم (٢١).

(وصفية) بالتنوين للوزن (بنت حيي) بن (أخطب) بالخاء المعجمة النضرية من نسل هارون عليه الصلاة والسلام، فهي إسرائيلية قتل زوجها كنانة بن أبي الحُقَيق بضم الحاء وفتح القاف يوم خيبر فسباها دحية، ثم اشتراها ﷺ منه كما سبق فأعتقها وتزوجها، فجهزتها له أم سليم في الطريق فأهدتها له من الليل، فأصبح ﷺ عروساً، توفيت سنة خمسين في أيام معاوية رضي الله عنه، وقيل: غير ذلك ودفنت بالبقيع.

---

(٢٠) رواه مسلم (٩١٨) وفي الأصل أي مسلم وهو خطأ.

(٢١) رواه مسلم (٢٤٤٢) وما بين المعكوفين هو كذلك عند مسلم، وكذلك هو عند النسائي (٦٥/٧ - ٦٦).

كَذا جُـوَرِيَّـةُ مَـعَ مَيْـمـونَـةْ   عَنْ تِسْعِهِنَّ مَاتَ بِالـمَـدِينَـة

(كذا) من زوجاته ﷺ (جويرية) تصغير جارية بنت الحارث بن أبي ضرار بكسر الضاد المعجمة ابن الحارث بن عائذ بن مالك بن المصطلق سبيت في غزوة بني المصطلق، فوقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس، فكاتبها فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، وكانت امرأة ملاّحةً، فقال لها ﷺ: «هل لك إلى ما هو خير من ذلك؟ أُؤَدي عنك كتابتك وأتزوجك» فقبلت فقضى عنها وتزوجها، فسمع الناس بذلك فأعتقوا ما في أيديهم من قومها وهم مائة، وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ، وقيل: اشتراها من ثابت بن قيس وأعتقها وتزوجها، وأصدقها أربعمائة درهم[٢٢]، وقيل: غير ذلك، وتوفيت سنة خمسين وقيل ست وخمسين (مع ميمونة) بنت الحارث بن حَزْن بن جبير الهلالية خالة خالد بن الوليد وعبدالله بن العباس، وأمّها هند بنت عوف بن زهير، تزوجها ﷺ بسرف موضع في الحرم في رجوعه من عمرة القضاء كما مرّ تفصيله، وقيل: إن خطبته ﷺ لها، لما بلَغَتها وهي على بعيرها قالت: البعير وما عليها لله ولرسوله أي فهي الواهبة نفسها وقيل غيرها، توفيت بسرف في الموضع الذي بنى بها فيه وقبرها مشهور يتبرك به، وذلك سنة إحدى وخمسين، وقيل: ست وستين، فإن ثبت ذلك فهي آخر من مات منهن، وهو ﷺ (عن تسعهن) المذكورة بعد خديجة (مات بالمدينة) ومن أزواجه ﷺ.

وَغَيْـرُهُـنَّ مِـنْ نِسَـاءِ عِـدَّةٌ   كَزَيْنَبُ الأُخرىٰ وَمَاتَـتْ عِنْـدَهُ

(غيرهن) أي غير العشرة المذكورة (من نساء عدة) بالجر نعت نساء أي

(٢٢) رواه أبو داود (٣٩١٢) وابن هشام في السيرة (٣٣٩/٣) وصرح محمد بن إسحاق عنده بالتحديث.

عديدة كثيرة فارق بعضهن في حياته قبل الدخول وبعضهن بعده، وبعضهن اختلف في تزويجها له، (كزينب) بنت خزيمة بن الحارث القيسية الهلالية، وكانت تدعى أم المساكين لإطعامها أياهم قتل زوجها عبدالله بن جحش يوم أحد كما قاله ابن شهاب فتزوجها ﷺ سنة ثلاث (الأخرىٰ) أي غير زينب بنت جحش المذكورة، (وماتت عنده) أي في حياته ﷺ، ولم تلبث عنده إلاّ شهرين أو ثلاثة، ودفنت بالبقيع وهي من الأحدىٰ عشرة المتفق عليهن كما في المواهب وغيره.

وَبِنْتُ ضَحّاكٍ تُسمّىٰ فَاطِمَة   فَاختَارَتْ الدُّنْيا وَراحَتْ داغِمَة
خَوْلَةُ أسماءُ إسافِ غَالِيَة   عَمرَةَ مَعْ مُلَيْكَةٍ ثَمانِيَة

(وبِنْتِ) أي وكبنت (ضحاك) بفتح الضاد ابن سفيان الكلابي وكانت (تسمىٰ فاطمة) تزوجها ﷺ بعد وفاة ابنته زينب وخيّرها حين نزلت آية التخيير (فاختارت الدنيا) الفانية وزينتها (فراحت) بعدما فارقها (راغمة) أي ذليلة، وكانت بعد ذلك تلقط البعر وتقول: أنا الشقية اخترت الدنيا، كذا رواه ابن إسحاق وتبعه الناظم كغيره، ورده أبو عمرو برواية ابن شهاب عن عروة عن عائشة أنه ﷺ: [حين خير أزواجه بدأ بها فاختارت الله ورسوله وتابع أزواجه ﷺ على ذلك] وقال قتادة وعكرمة: كان عنده ﷺ عند التخيير تسع نسوة وهي المتوفى عنهن، وقيل: إن أباها قال: إنها لم تصدع قط فقال ﷺ: «لا حاجة لي فيها [بها]» وسيأتي أن ريحانة بنت زيد النضرية أيضاً من أزواجه ﷺ على الأصح، وذكرها الناظم في السراري كما يأتي، والراجح أنها ماتت مرجعه ﷺ من حجة الوداع (خولة) أي وكخولة بفتح الخاء المعجمة بنت الهذيل بن هبيرة تزوجها ﷺ فهلكت قبل أن تصل إليه ذكره في المواهب وفي مختصر ابن سيد الناس بنت الهزيل وقيل بنت حكيم السلمي، وهي التي وهبت

نفسها له وقيل تلك غزية أم شريك انتهى (وأسماء بنت النعمان بن الجون بفتح الجيم ابن الحارث الكندية كما جزم به في المواهب وجزم ابن سيد الناس في مختصره بأنها بنت كعب الجوينية، وأجمعوا أنه ﷺ تزوجها، واختلفوا في سبب فراقها، فقال قتادة وأبو عبيدة: إنه ﷺ لما دعاها، قالت: تعال أنت وأبت المجيء إليه، وقيل: استعاذت منه فطلقها (وإساف) بكسر الهمزة أخت دحية الكلبي كما جزم به ابن سيد الناس، وفي المواهب: شَرافِ بفتح المعجمة آخره فاء بوزن فَطامِ بنت خليفة أخت دحية الكلبي، تزوجها فماتت قبل الدخول انتهى. ولم يذكر إساف أصلاً.

و(غالية) بنت ظَبيان بن عمرو بن عوف تزوجها وكانت عنده مدةً ثم طلقها، وقال أبو سعيد: طلقها حين أدخلت عليه ﷺ (عمرةَ) بنت يزيد بن الجون الكلابية، وقيل: بنت يزيد بن عبيد الكلابية، وهذا أصح عند أبي عمرو، وتزوجها ﷺ، فلما أُدخلت عليه قالت: أعوذ بالله منك فقال: «لقد عذتِ بمعاذ» فطلقها، وفي رواية قال: «منع الله عائذةً الحقي بأهلك» وقال قتادة: المتعوذة امرأة من سليم، وقال أبو عبيدة: هي أسماء بنت النعمان وقيل غيرها، ويمكن أن يقال: بتعدد المتعوذات (مع) بسكون العين (مليكة) بالتصغير والتنوين بنت كعب الليثية، قال بعضهم هي المتعوذة، وقيل دخل بها وماتت عنده، والأول أصح، وأنكر بعضهم تزويجها، قال ابن سيد الناس: لما دخل عليها قال: هَبي لي نفسك، قالت: وهل تهب ملكة للسوقة فَسرّحها وهذه (ثمانية) أزواج غير التسع المذكورة وأشار الناظم بإدخال الكاف في قوله: كزينب إلى آخره، إلى أنهم ذكروا له أزواجاً أُخر، وهي غزية بمعجمتين مصغراً بنت جابر بن عوف، وقيل: داود بن عوف، وهي أم شريك العامرية تزوجها وطلقها، واختلفوا في الدخول بها، قال بعضهم: والأكثرون على أنها الواهبة نفسها فلم يقبلها، ولم يتزوجها حتى ماتت [فلم تتزوج حتى ماتت].

وذكر ابن قتيبة أن الواهبة: خولة بنت حكيم، وقال عروة بن الزبير: خولة

بنت حكيم من اللائي وهبن أنفسهن له ﷺ، وهذا يدل على تعدد الواهبات فلا تعارض، (وقتيلة) بضم القاف وفتح الفوقية بنت قيس الكندي، زوجها إياه أخوه سنة عشر ثم انصرف إلى حضرموت فحملها معه، فقبض ﷺ قبل قدومها، وقال بعضهم: أوصى ﷺ قبيل وفاته بتخييرها، فإن شاءت ضرب عليها الحجاب، وكانت من أمهات المؤمنين، وإن شاءت الفراق فلتنكح من شاءت فاختارت النكاح، وتزوجها عكرمة بن أبي جهل بحضرموت، فهمّ أبو بكر رضي الله عنه أن يحرق عليها بيتها، فقال له عمر رضي الله عنه: ما هي من أمهات المؤمنين ما دخل بها ولا ضرب عليها الحجاب، وقيل: لم يوص فيها بشيء ولكنها ارتدت حين ارتد أخوها، وبارتدادها احتجّ عمر على أنها ليست من أمهات المؤمنين (وسبا) بنت أسماء ابن الصلت السليمية، تزوجها ومات عنها قبل الدخول، وقيل: طلّقها (وليلى) بنت الخَطِيم بفتح المعجمة وكسر المهملة، تزوجها وكانت غيوراً فاستقالته فأقالها فأكلها الذئب وامرأة من غفار تزوجها، ورأى بكشحها بياضاً فقال: «الحقي بأهلك» ولم يأخذ مما آتاها شيئاً خرّجه أحمد [٢٣]، وروى أنه ﷺ خطب عدة نسوة ولم يتفق تزويجها، منها امرأة من بني مرّة بن عوف خطبها من أبيها فقال كاذباً: إنّ بها برصاً، فرجع فوجدها برصاء، ومنها أم هانىء فاختة بنت أبي طالب أخت عليّ خطبها، فقالت: إني امرأة مصبية واعتذرت إليه فعذرها، وغيرها وقد بينها أهل السير.

(أولاده صلى الله عليه وسلم)

أولادُهُ القَاسِمُ وَهُوَ يُكَنّى ... بِهِ وَعَبْدُاللهِ هَدْيُ الأَبْنَا

(أولاده) المتفق عليهم ستة (القاسم) وإبراهيم وأربع بنات وهي الآتية وكل من البنات أدركن الإسلام وهاجرن معه واختلف فيما سوى هؤلاء، فالقاسم أول

(٢٣) رواه أحمد (٣/٤٩٣) ولفظه قال: «خذي عليك ثيابك».

ولد له ﷺ قبل النبوة، وعاش قريب سنتين أو أقل على خلاف فيه (وهو) ﷺ (يكنىٰ به) أي بالقاسم فكني أبا القاسم وهذه كنية خاصة به ﷺ، فلا يجوز لأحد التكني بها مطلقاً على الأصح في مذهب الشافعي رضي الله عنه سواء في حياته أم لا لمن اسمه محمد أم لا للحديث الصحيح: «سمّوا باسمي ولا تكنوا بكنيتي»[٢٤] ومال النووي كجماعة إلى مذهب مالك من أن ذلك مختص بحياته ﷺ. وقال الزُّبَيْرُ بن بكار كان له ﷺ سوى القاسم وإبراهيم (عبدالله) وقوله: (هدي الأبنا) بالقصر جمع ابن كلام تمم به البيت، إذ لم ينقل أحد أنه ملقب بذلك والهديُ السيرة والطريقة وما يهدىٰ إلى الحرم من النعم، فالمعنى على الأول: أنه سيرة تسمية الأبناء والأولاد لكون عبدالله من أفضل الأسماء كما في الحديث، وعلى الثاني: أن أباه ﷺ عبدالله كان [يسمى] ذبيحاً لإرادة عبدالمطلب ذبحه عند الكعبة فداءً لأبنائه في قصته المشهورة، فلما سمّى ﷺ ابنه باسم أبيه استحق أن يقال له هدي الأبناء أيضاً، وفي كليهما بعد، والأولىٰ ما في بعض النسخ هذا الأبنا بجعله مفعولاً لفعل مقدر أي عدّ هذا الأبنا من جملة أبنائه الذكور كما هو الأصح أن الذكور ثلاثة لا اثنين كما ذهب إليه بعضهم.

وَالطاهِرُ الطَّيب قَاسمُ الثّاني ... وَقيلَ بَلْ سِواهُ أَخَوانِ
مَاتوا صِغاراً لَمْ يَرَوْا نُبُوَّة ... وَزَيْنَبُ فَاطِمَةُ رَقِيَّة

(و) أمّا (الطاهر) و(الطيب) (قاسمُ) الابن (الثاني) فكان له ثلاثة أسماء، قال أبو عمرو وهو قول الأكثر، وقال الدارقطني: وهو الأثبت وسمي بهما أيضاً تعظيماً له لكونه ولد بعد النبوة (وقيل) كما حكاه الدارقطني وغيره (بل) كان الطاهر والطيب (سواه) أي غير عبدالله، فهما على هذا القول ابنان (آخران)

(٢٤) رواه البخاري (٦١٨٧) ومسلم (٢١٣٣).

فيكون الذكور خمسة، وقيل: له ابنان آخران المطيب والمطهر، وقيل: غير ذلك، (ماتوا) أي البنون (صغاراً) يرتضعون (لم يروا نبوةً) أي لم يدركوا الإسلام كما قال ابن إسحٰق، وسيأتي ذكر إبراهيم، وقال غيره: كلهم ولدوا بعد النبوة، وقد تقدم أن القاسم مات قبلها وعبدالله بعدها، قال ابن جماعة وغيره: وهو الصحيح، وقد تقدم أن له ﷺ أربع بنات (وزينب) بالتنوين أكبرهن على الأكثر [الأصح]، وقيل: أكبرهن رقية كما روي عن ابن عباس، وماتت زينب سنة ثمان من الهجرة عند زوجها وابن خالتها أبي العاص لقيط بن الربيع، وهاجرت قبل زوجها، فلما أسلم ردّها النبي ﷺ إليه بالنكاح الأول، وقيل: بنكاح جديد كما مرّ، فولدت منه علياً، وكان رديفه ﷺ يوم الفتح، ومات قبل الاحتلام، وأمامة التي حملها ﷺ في صلاته، تزوجها عليّ كرّم الله وجهه بعد فاطمة، ثم خلف عليها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، فولدت له يحيىٰ (ثم فاطمة) الزهراء، قال ابن عبدالبر: ولدت سنة إحدىٰ وأربعين من مولده ﷺ، وروىٰ ابن إسحٰق أنها ولدت قبل النبوة زاد ابن الجوزي بخمس سنين، سميت بفاطمة لأن الله تعالىٰ فطمها ومن أحبّها عن [من] النار وبالزهراء لأنها لم تحض قط كما رواه الغساني(٢٥)، وبالبتول لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً وحسباً، أو لانقطاعها إلى الله تعالىٰ، وفضائلها مشهورة وكانت تحت عليّ كرم الله وجهه فولدت منه حسناً وحسيناً ومحسناً، ومات محسن صغيراً، وولدت أيضاً رقية وزينب وأم كلثوم، ماتت رقية قبل البلوغ، وتزوج زينب عبدالله بن جعفر فولدت له علياً ومات، وتزوج أم كلثوم عمر بن الخطاب فولدت له زيداً، وخلف عليها بعده عون بن جعفر، ثم أخوه محمد، ثم أخوه عبدالله، (ثم رقية) بضم الراء وفتح القاف ولدت سنة ثلاث وثلاثين من

(٢٥) هذه خرافة لا أصل لها ومخالفة للواقع، وأحصى جعفر بن محمد بين ولادة الحسن وحمل الحسين بطهر واحد، فكيف يقول ذلك وهي لا تحيض إن صح ذلك، فلا شك بأنه كذب، وأن فاطمة رضي الله عنها، كانت في حياتها كباقي النساء.

مولده ﷺ، فكانت تحت عتبة بن أبي لهب، وأختها أم كلثوم تحت أخيه عتيبة، فلما نزلت [تبت يدىٰ أبي لهب] قال لهما أبوهما أبو لهب: رأسي من رأسكما حرام إن لم تفارقا ابنتي محمد ﷺ ففارقاهما، ولم يدخلا بهما، فتزوج عثمان رضي الله عنه رقية بمكة، وكانت ذات جمال رائع، فهاجر بها الهجرتين إلى الحبشة، وتوفيت يوم جاء زيد بن حارثة بَشيراً بالفتح يوم بدر.

وَأُمُّ كُلْثومَ وَكُلُّهُمْ وَلَدْ   خَديجَةٍ وَبَعدَهُمْ لَهُ وَلَدْ

(و) أمّا (أم كلثوم) بضم الكاف، ولا يعرف لها اسم، وإنما تعرف بكنيتها، فتزوجها عثمان رضي الله عنه، وكانت قبله تحت عتيبة ففارقها كما مرَّ، ويروىٰ أنه لما فارقها جاء إليه ﷺ فقال: كفرتُ بدينك وفارقت ابنتك ولا تحبني ولا أحبك، ثم سطا عليه وشق قميصه وهو يريد الخروج [إلى الشام] تاجراً، فقال ﷺ: «اسأل الله أن يسلّط عليك كلبه» فأكله الأسد بالزرقاء في طريق الشام (وكلهم) أي كل أولاده ﷺ ذكوراً وإناثاً ممن مرّ (وَلَدُ خديجةِ) مركب إضافي (وبعدهم) المذكورين (له) ﷺ (وُلد) مبني للمفعول.

آخِراً إبراهيمُ مِنْ سُرِّيَّه   وَتِلْكُمُ مارِيَّةُ القِبْطِيَّه
وَكُلُّهُمْ قَدْ ماتَ في حَياتِهِ   إلاّ البَتولَ فَإلىٰ وَفاتِهِ

(آخراً) بالمدينة سنة ثمان من الهجرة (إبراهيم) نائب الفاعل، ولما بشّر به مولاه أبو رافع وهب له عبداً، سمّاه ﷺ إبراهيم باسم أبيه في اليوم السابع أو قبله روايتان، وعقّ عنه يوم سابعه بكبشين وحلق رأسه، ثم دفعه إلى أم سيف امرأة حدّاد في المدينة، وبقي عندها إلىٰ أن مات، ودفن بالبقيع وهو ابن سبعين ليلة، وقيل: سبعة أشهر، وقيل ثمانية عشر شهراً، وقيل: قريب سنتين وروىٰ

أبو حاتم عن أنس رضي الله عنه قال: ما رأيت أحداً أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ، كان إبراهيم مسترضعاً في عوالي المدينة فينطلق إليه ونحن معه فيأخذه ويقبله ثم يرجع [٢٦].

وفي حديث ابن ماجه: «أن له مرضعاً في الجنة» [٢٧]. وأخرج أبو عمرو عن أنس بن مالك قال: لو بقي إبراهيم لكان نبياً ولكن لم يبق لأن نبيكم آخر الأنبياء [٢٨]. وبالغ النووي في إبطاله وقال: إنه من كلام المتقدمين، وهو جسارة وهجوم على عظيم، وردّه الحافظ ابن حجر بوروده عن ثلاثة من الصحابة، ولا يظن بالصحابة الهجوم على مثل هذا بالظن [٢٩]، وبأن القضية الشرطية لا تستلزم وقوع طرفيه، ولا إمكانها، وولادة إبراهيم (من سرّية) بضم فمشددتين، وهي الأمة التي أنزلتها بيتاً منسوبة إلى السر بالكسر وهو الجماع، فغير إلى الضم بالنسبة أو منسوب إلى السّر بمعنى الخفاء لإخفائها عن الحرة وقت المباشرة غالباً (وتلكم) مركب من تي للإشارة ولام البعد وكم لخطاب الجمع، أي وهذه السرية أيها المخاطبون اسمها (مارية) بوزن صاحبة وهي في الأصل المرأة البيضاء (القبطية) منسوبة إلى القبط بكسر القاف وهو أهل مصر، وسيأتي أنها من هدايا المقوقس ملك مصر (كلهم) أي الأولاد (قد مات) إعلم أن كُلَّ حَيْثُ أضيف لمنكر وجب في ضميره مراعاة معناه أي بحسب ما يضاف إليه، فإن كان مذكراً فضميره كذلك أو مؤنثاً فكذلك وهكذا نحو [وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ] [وكل إنسان أَلْزَمْنَاهُ].

أو لمعرّف جاز مراعاة لفظه نحو [وَكُلُّهُمْ آتِيه] وكما هنا، ومراعاة معناه

---

(٢٦) رواه مسلم (٢٣١٦).

(٢٧) بل رواه البخاري (١٣٨٢ و ٣٢٥٥ و ٦١٩٥) ورواية ابن ماجه (١٥١١) ضعيفة فكيف ترك ما في الصحيح وذكر ما هو ضعيف.

(٢٨) رواه ابن عبدالبر في الاستيعاب (١/٥٩ - ٦٠).

(٢٩) انظر فتح الباري (١٠/٥٧٩).

نحو كلهم جاؤوا، وله مباحث أُخر ليس هنا محلّها (في حياته) ﷺ (إلاّ) فاطمة (البتول) فإنها عاشت (إلى وفاته) ﷺ، وعاشت بعده ستة أشهر كما سبق على الصحيح.

(أعمامه صلى الله عليه وسلم)

أعمامُهُ الحارِثُ غَيداقُ أبوُ ... لَهَبٍ زُبَيرٌ وَضرارُ قُثَمُ
طالِبٍ حَجْلُ عَبدِ كَعْبَةٍ أبو ... وَحَمْزةُ أسْلَمَ كَعَبّاسِهِمُ

(أعمامه) ﷺ أحد عشر على ما ذكره الناظم تبعاً لجماعة وهم بنو عبد المطلب، وأبوه ﷺ ثاني عشرهم (الحارث وغَيْداق) بفتح الغين المعجمة ومعناه الكريم واسمه مصعب وقيل نوفل (وأبو طالب) غير منصرف للضرورة (وجحل) بتقديم الجيم وسكون الحاء وهو السقاء الضخم، وقال الدارقطني: بتقديم الحاء بمعنى القيد والخلخال أيضاً، وهو لقب واسمه المغيرة (وعبد كعبة) و(أبو لهب) بسكون الهاء لغة في تحريكها وهو كنية عبدالعزى لجماله أو ماله (وزبير وضِرّار) بكسر الضاد (وقثم) بضم القاف وفتح المثلثة، قال ابن الجوزي: مشتق من القثم وهو الإعطاء، ويقال قثم له كذا إذا أعطاه (وحمزة) وأمه هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، وله كنيتان: أبو عمارة وأبو يعلى (أسلم) في السنة الثانية من المبعث، وقيل: في السادسة كما سبق في مبحث إسلام عمر رضي الله عنه، وقتل في أُحُدٍ وسِنُّهُ تسع وخمسون (كعبّاسهم) بضم الميم أي كما أنه أسلم عمّه المسمّى بالعباس فيما بينهم وكنيته أبو الفضل، وأمّه نثلة بنت جناب، وكان جميلاً وسيماً أبيض، ولد قبل النبي ﷺ بسنتين أو ثلاث، وكان رئيساً في قريش، وقد سبق تفصيل إسلامه في غزوة بدر، وفضائله مشهورة في الأحاديث، توفي بالمدينة قبل مقتل عثمان رضي الله عنه بسنتين، سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة، وهو ابن ثمان وثمانين سنة، ودفن بالبقيع، ولم يسلم من أعمامه ﷺ غير حمزة والعباس، وأصغرهم العباس وأسنهم الحارث، ومنهم من زاد

كالمحب الطبري في أعمامه المقدّم فصاروا اثنيْ عشر، وأسقط بعضهم الغيداق وجحلاً فهم عشرة، وبعض قثم أيضاً فهم تسعة والأصح أحد عشر، والعقب منهم العباس وأبو طالب والحارث وأبو لهب لا غير.

(عمّاته صلى الله عليه وسلم)

عَمّاتُهُ البَيضاء أروى بَرَّةُ   وَأُمَيْمَةَ وُأَسْلَمَتْ صَفِيَّةُ

(عماته) ﷺ بنات عبدالمطلب ست (عاتكة) صاحبة الرؤيا في قصة بدر [٣٠]. وأمّها فاطمة بنت عمر بن عابد فهي شقيقة عبدالله أبيه ﷺ (والبيضاء) أم حكيم (وأروى) بنت صفية بنت جندب شقيقة الحارث (وَبرَّة) بفتح الباء (وأميمة) بضم ففتح فمثناة ساكنة وأمها وأم برّة فاطمة بنت عمر أيضاً (وأسلمت) بالاتفاق (صفية) أم الزبير بن العوام وأمها هالة بنت وهب فهي شقيقة حمزة، وشهدت الخندق وقتلت يهودياً، وضرب ﷺ لها بسهم، توفيت في خلافة عمر سنة عشرين عن ثلاث وسبعين سنة، ودفنت بالبقيع، قال ابن اسحٰق: لم يسلم منهن غيرها، وذهب أبو جعفر العقيلي إلى إسلام أروىٰ وعاتكة وعدهما في الصحابة.

قال العز بن جماعة: واختلف في إسلام أروىٰ وعاتكة، والصحيح أن أروىٰ أسلمت انتهىٰ.

(جداته صلى الله عليه وسلم)

(تتمة) جداته من أبيه: فاطمة بنت عمر بن عابد بن مخزوم أم أبيه عبدالله، وسلمى بنت عمرو من بني النجار أم عبدالمطلب، وعاتكة بنت مرّة أم هاشم، وعاتكة بنت فالج أم عبد مناف، وفاطمة بنت سعد أم قصي ذكره ابن قتيبة مع سائر الجدات.

---

(٣٠) رواه الطبراني في الكبير (ج٢٤ رقم٨٦٠) وهو مرسل وسنده ضعيف.

وجداته من أمّه ﷺ: برة بنت عبدالعزى بن قصي أم آمنة، وأمها أم حبيب، وأُمّها برة بنت عوف، وأمها قلابة بنت الحارث، وأمها هند بنت يربوع من ثقيف قاله ابن قتيبة، وفي بعضها خلاف،

(وإخوانه [إخوته] صلى الله عليه وسلم في الرضاعة)

حمزة، وأبو سلمة، ابن عبد الأسود من رضاع ثويبة، وأبو سفيان بن الحارث من رضاع حليمة مع أولادها الثلاثة عبيدالله وأنيسة وجذامة وتعرف بالشيماء] (٣١).

(مواليه وإماؤه صلى الله عليه وسلم)

أمّا مَـواليـهِ فَـزَيـدٌ كَـابنِـهِ   أُسـامَــةُ ثُــمَّ سُلَيمٌ وأَكْنِــهِ

أمّا مواليه: جمع مولى يطلق على معان منها: الرّق والمعتق والمالك وهو السيد والمنعم والناصر والمحب [والنافع] والجار وابن العم والحليف والصهر، والمراد هنا ما يعم الرق والمعتق، (فزيد) بن حارثة حب رسول الله ﷺ أعتقه وزوّجه مولاته أم أيمن كما سبق، وكان قد أُسِرَ في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لعمتـه خديجة، فاستوهبه ﷺ منها، قال ابن اسحٰق بعد سوق قصته: إنّ أباه وعمّه أتيا مكّة فوجداه، فطلبا أن يفدياه فخيّره ﷺ بين الدفع إليهما والبقاء عنده ﷺ فاختار البقاء عنده ﷺ (٣٢)، وفي رواية الترمذي قال: يا رسول الله لا

---

(٣١) من قوله تتمة إلى هنا بين المعكوفين في الأصل فقط، وفي نسختي كتب في الهامش من تعليقات المؤلف ـ أي منهواته.

(٣٢) انظر سيرة ابن هشام (١/٢٦٥ - ٢٦٧).

أختاً عليك أحداً أبداً[٣٣] واستشهد في غزوة مؤتة كما تقدم (كابنه) أي ابن زيد وهو (أسامة) وأمه أم أيمن المذكورة، توفي بالمدينة أو بوادي القرى سنة أربع وخمسين كما في المواهب (ثم سليم) وقيل: أوس وكنيته أبو كبشة شهد بدراً، وأعتقه، وتوفي يوم استخلف عمر رضي الله عنه (واكنِهِ) أي سلماً ومرّ آنفاً أن كنيته أبو كبشة.

أنيسَةُ رُباحُ مَعْ ثَوْبانا ... يَسارُ مَعْ رافِعَ مَعْ شَقْرانا
صَالِحُ اسمُهُ وأَسْلَمُ أبو ... رافِعِهِم كابنِ عُبَيْدٍ كُتِبُوا

(وأُنيسة) بالتصغير وضبطه بعضهم أَنَسَة محركةً ويكنى أبا مسرّح، وأعتقهُ ﷺ (ورباح) بترك التنوين وبفتح الراء وبالموحدة، وهو الأسود النوبي وأعتقه (مع ثوبانا) بفتح المثلثة هو ثوبان بن بجدد، ولازم النبي ﷺ، وسكن بعده بالشام ومات بحمص سنة أربع وخمسين (ويسار) الراعي نوبيّ وهو الذي قتله العرنيون (مع رافع) غير منصرف للضرورة وهو رافع بن خديج بن رافع وأعتقه (مع شقرانا) بضم الشين المعجمة (صالح اسمه) أي اسم شقران صالح حبشيّ، وقيل فارسي شهد بدراً قيل: ورثه من أبيه، وقيل: اشتراه من عبدالرحمٰن بن عوف وأعتقه، قال الحافظ ابن حجر: أظنه مات في خلافة عثمان رضي الله عنه (وأسلَمُ) القبطي وكنيته (أبو رافعهم) والإضافة لأدنى ملابسة أي المكنى رافع بينهم، وهبه له العباس فأعتقه لما بشره بإسلام العباس، وزوجه سلمى مولاةً له فولدت عبيدالله الكاتب لعلي، وحكى بعضهم أن رافعاً وأبا رافع واحد لا اثنان (كابن عبيد) لم أطلع على مراده بابن عبيد ولم أر مَن ذكر مولىً في [من] مواليه ﷺ بهذا الاسم مع شدة الفحص عنه من الكتب

(٣٣) رواه الترمذي (٣٩٠٣) والطبراني في الكبير (٢١٩٢ و٢١٩٣) من حديث جبلة بن حارثة.

المستوعبة، ثم رأيت بعد زمان في كتاب عيون التواريخ أنه ذكر من مواليه أسلم ابن عبيد غير أسلم القبطي فزال الإشكال ولله الحمد وقوله (كُتِبوا) تتميم للبيت أي كتب أهل السير هؤلاء من الموالي.

فُضالةُ كذا أبو مُوَيْهِبَة   كَرْكَرَةٌ وَمِدْعَمٌ قَدْ وَهَبَهْ

(وفضالة) اليامي بفتح الفاء مات بالشام (كذا) من مواليه (أبو مويهبة) مصغر موهبة وهو من مولدي مزينة اشتراه وأعتقه (وكركرة) بفتح أوله وكسره والكاف الثانية مكسورة لا غير كما في شرح المشكاة للطيبي، وكان نوبياً أهداه له هوذة بن علي وأعتقه، وكان يمسك راحلته ﷺ عند القتال يوم خيبر (ومِدعَمٌ) بوزن درهم (قد وُهِبَه) بالبناء للمجهول أي وهبه له رفاعة الجزامي، كما قال ابن سيد الناس، وفي المواهب: أهداه له رفاعة بن زيد الضبيبي بضم الضاد المعجمة وفتح الموحدة الأولى وكسر الثانية، أصابه سهم بوادي القرى من أعمال خيبر فقال الناس: هنيئاً له بالجنة، فقال ﷺ: «لا، إن الشملة التي غلّها بخيبر لتشتعل عليه ناراً»[٣٤]، وفي صحيح البخاري في كتاب الجهاد: إن كركرة غلّ عباءة[٣٥]، وفي الموطأ وكتاب المغازي من صحيح البخاري أن مدعماً غلها في يوم خيبر[٣٦]، وكلاهما قتل بخيبر انتهى.

طهمانُ مَأبورُ هِشامُ زيدُ   جَدُّ هِلالٍ وَكذا عُبَيدُ
أبو عَسِيبٍ أحمَرُ ثم أبُو   وافدٍ مَعْ سَفِينَةٍ كذا أبو
ضُمَيرةٍ أبو عبيدٍ سَنْدَرُ   حُنينٍ مَعْ أبي لُبابَة اذكروا

---

(٣٤) رواه البخاري (٤٢٣٤).

(٣٥) رواه البخاري (٣٠٧٤).

(٣٦) رواه البخاري (٤٢٣٤).

(وطهمان) بفتح الطاء وقيل: اسمه كيسان أو زكوان أو مهران (ومأبور) القبطي من هدايا المقوقس (وهشام) بكسر الهاء وتخفيف الشين (وزَيدُ) هو أبو يسار وليس زيد بن حارثة ذكره ابن الأثير، وقال غيره: هو جد هلال بن يسار ابن زيد (وكذا) من مواليه (عبيد) بالتصغير وقيل: ليس في مواليه ﷺ عبيد، وإنما هو أبو عبيد، وغلط من ذكره، وقال ابن أبي خيثمة: إنهما اثنان عبيد وأبو عبيد، (وأبو عَسيب) بفتح فكسر، وقيل عُسَيب، وجزم بالأول مغلطاي في سيرته، وعلى كليهما اسمه (أحمر) ثم من مواليه (أبو واقد) غير منصرف للضرورة، ومنهم أيضاً واقدُ (مع سفينةٍ) بالتنوين، واختلف في اسمه فقيل: هو مهران بن فرّوخ، وقيل: كيسان، وقيل: طهمان، وقيل: غير ذلك، ولقب به لأنهم حمّلوه أشياء في السفر، فلما رآه ﷺ قال له: «أنت سفينة»[٣٧] وفي مختصر ابن سيد الناس: كان سفينة لأم سلمة فأعتقته وشرطت عليه أن يخدم النبي ﷺ طول حياته، فقال: لو لم تشترطي عليّ ما فارقته[٣٨] كذا من مواليه (أبو ضُمَيرَة) بالتصغير اسمه سعد، وقيل، روح بن سَنْدر ومنهم ضمرة بن أبي ضمرة (وأبو عبيد) بالتصغير اسمه سعيد وأعتقه (وسَنْدَرُ) بفتح السين وسكون النون (وحُنَينُ) بالتصغير (مع أبي لبابة) كان لبعض عمّاته فوهبته له فأعتقه (اذكروا) تتميم للبيت.

ثُـمَّ أبـو هِنـدٍ كَـذا أَنجَشَةُ ... وَمِنْ إمـائِـهِ فَقُـلْ مَيْمـونَـةُ
رَيحانَـةٌ بَـرَكَـةٌ وَسَلمـىٰ ... مٰارِيـةٌ وَخَضْـرَةٌ وَرُضْـوىٰ

---

(٣٧) رواه الطبراني في الكبير (٦٤٤٠).

(٣٨) رواه أحمد (٥/٢٢١) وأبو داود (٣٩١٣) وابن ماجه (٢٦٢٦) والطبراني في الكبير (٦٤٤٧).

(ثم) من مواليه (أبو هند) وهو الذي قال فيه: «زوجوا أبا هند وتزوّجوا إليه»[39] وكان اشتراه فأعتقه (كذا) من مواليه (أَنْجَشَة) الحادي العبد الأسود بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الجيم وبالشين المعجمة، كان يحدو وينشر القريض والرجز، قال أنس رضي الله عنه: كان البراء بن مالك يحدو بالرجال، وأنجشة يحدو بالنساء، وكان حسن الصوت فقال له ﷺ: «رويدك رفقاً بالقوارير»[40] أي النساء، وقد عدّوا مواليه بأكثر مما ذكره الناظم، وممن لم يذكره: بدر وحاتم وزيد بن بولا وسعيد وسعد وغيلان وكُريب ومحمد بن عبدالرحمٰن ونافع أبو السائب ونهيك وأبو البشر وأبو قيله في سيرة مغلطاي. وزاد غيره: أبو لقيط، وأبو اليسر رُوَيْفع من سبي هوازن وقصير وميمون وأبو بكرة نُفيع بن الحارث وهرمز وأبو كيسان وأبو صفية وأبو سلمىٰ وأسود وشمعون بن زيد وأبو ريحانة وسلمان الفارسي أبو عبدالله ويقال له: سلمان الخير، أصله من أصفهان مات سنة أربع وثلاثين، ويقال بلغ ثلاثمائة سنة كما في المواهب وعدّوا غير ذلك، وأما من (عدت من إمائه) ﷺ بكسر الهمزة جمع أمة (فقل) منها (ميمونة) بنت سعد و(ريحانة) بالتنوين وهكذا ما بعده وهي بنت زيد النضرية، وقيل: القريظية، سبيت يوم بني قريظة فأعتقها ﷺ وتزوجها، وقيل: بل يطأها بملك اليمين ومشىٰ عليه الناظم، قال الحافظ شرف الدين الدمياطي: والأول أثبت، وهو الأصح عند أهل العلم (وبركة) أم أيمن الحبشية ورثها من أبيه كما تقدم (وسلمىٰ) أم رافع زوج أبي رافع (ومارية) القبطية تقدمت (وخَضْرَة) ضبطه بعضهم بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين فسكون الضاد في

---

(٣٩) رواه أبو داود (٢٠٨٨) وأبو يعلي (٢/٢٧٢) وابن حبان (١٣٩٩) والحاكم (٢/١٦٤) والطبراني في الكبير (ج٢٢ رقم٨٠٨) وقال الحافظ في التلخيص (٣/١٦٤) إسناده حسن.

(٤٠) رواه البخاري (٦١٤٩ و٦١٦١ و٦٢٠٢ و٦٢٠٩ و٦٢١٠ و٦٢١١) ومسلم (٢٣٢٣). وأحمد (٣/١٠٧ و١١٧ و١٧٦ و١٨٧ و٢٠٢ و٢٢٧ و٢٥٤ و٢٨٥) والدارمي (٢٧٠٤) وليس عندهم كلمة «رفقاً» وإنما «أرفق».

النظم للوزن (ورضوىٰ) بفتح الراء، وزاد ابن جماعة في مختصره: أم ضميرة وميمونة بنت أبي عسيب وربيحة، وبلغهن ابن الجوزي إلى إحدىٰ عشرة.

(خدّامه [خدمه] صلى الله عليه وسلم)

خُــدّامــه أَنَسٌ أسما هِنْــدُ   رَبيعَــةٌ وَعُقْبَــةٌ وَسَعْــدُ

(خدّامه ﷺ) [كثيرون] منهم (أنس) بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الأنصاري، الخزرجي يكنىٰ أبا حمزة، وهو ألزمهم للخدمة، خدمة تسع سنين أو عشراً، توفي سنة ثلاث وتسعين وقد جاوز المائة و(أسما) بدرج الهمزة وبالقصر للوزن و(هند) وهما ابنا حارثة الأسلميان و(ربيعة) بالتنوين كما بعده وهو ابن كعب الأسلمي صاحب وضوئه ﷺ، توفي سنة ثلاث وستين (وعقبة) ابن عامر بن عبس بن عمرو الجهني صاحب بغلته ﷺ يقودها في الأسفار، كان عالماً فصيحاً شاعراً ولّى مصر لمعاوية، [ثم] توفي بها سنة ثمان وخمسين (وسعد) مولى أبي بكر الصديق، وقيل: اسمه سعيد ولم يثبت، وروى عنه ابن ماجه.

مُهاجِرٌ كَـذا بِلالٌ أَربَـدُ   هِلالُ مَعْ أيمنُ ثُمَّ الأَسْـوَدُ

(ومهاجر) مولىٰ أم سلمة (كذا) من خدّامه (بلال) بن رباح المؤذن، وعدّ منهم مغلطاي في سيرته (أربد) بوزن أحمر وثعلبة بن عبدالرحمٰن الأنصاري (وجزء) بن الحل وسالماً انتهىٰ. (وهلال) بن الحارث مولاه ﷺ وكنيته أبو الحمراء (مع أيمن) بن أم أيمن صاحب مطهرته ﷺ، استشهد في حنين (ثم الأسود) من خدامه كما ذكره مغلطاي واسمه رباح مولاه ﷺ، وكان يؤذن عليه أحياناً إذا انفرد، ومن خدامه عبدالله بن مسعود، وكان صاحب الوسادة والسواك والنعلين، وكان إذا قام ﷺ ألبسه نعليه، وإذا جلس جعلهما في ذراعيه حتى يقوم، توفي بالمدينة، وقيل بالكوفة سنة اثنتين وثلاثين، وأبو ذر

جندب بن جنادة الغفاري أسلم قديماً، وتوفي بالربذة، موضع بقرب [المدينة] مدينته سنة إحدى أو اثنتين وثلاثين، وحُنَين والد عبدالله مولى ابن عباس رضي الله عنه كان يخدمه ﷺ، [ثم] وهبه لعمه العباس، ونعيم بن ربيعة الأسلمي، وأبو السمح خادمه ﷺ اسمه أياد، والأسلع بن شريك بن عوف صاحب راحلته يرحل له، وبكير بن الشداخ [شدخ] الليثي وذو مخمرة أو مخبرة ابن أخي النجاشي، وقيل ابن أخته، ومن النساء أم أيمن وخولة جدة حفصة، وسلمى أم رافع، وميمونة بنت سعد، وأم عباس مولاة رقية بنته ﷺ.

(حُرَّسه صلى الله عليه وسلم)

حُرَّسُهُ قبل نُـزولِ العِصمَـةِ ... فَابن معاذ يـومَ بـدرٍ أثبـتِ
بـأحُـدٍ زكوانُ ابـنُ مَسلمَـة ... بالخنـدَقِ الزُبيرُ كـلٌ عُلِمَـه
سَعـدٌ وَعبّـاسٌ بِيَـومِ خيْبرا ... كـذا بِلال وفي وادي القـرى

(حُرَّسُهُ ﷺ) بضم فمشددة جمع حارس كانت (قبل نزول آية العصمة) فلما نزلت: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ ترك ذلك [وسعد] فسعد (ابن) مفعول مقدم (مُعاذ) بضم الميم ابن النعمان بن امرىء القيس سيد الأوس، أسلم بين العقبتين وشهد بدراً (٤١) وأُحداً والخندق، فرُميَ [فيه] بسهم عاش شهراً، ثم مات منه كما سبق، حرسه ﷺ (يوم بدر) حين نام في العريش (أثْبِتِ) أمر من الإثبات وكسر التاء للضرورة أي أثبته منهم، وكان أبو بكر الصديق يوم بدر أيضاً في العريش شاهراً سيفه على رأسه ﷺ لئلا يؤذيه مشرك كما

---

(٤١) قال الحافظ في الفتح (٢٨٨/٧) وفيه نظر، لأن سعد بن عبادة لم يشهد بدراً، وإن كان يعد فيهم، لكونه ممن ضرب له بسهمه.

رواه ابن السمان (وبأحد) حرسه (ذكوان) بن عبد قيس (و) محمد (ابن مسلمة) بفتح أوله الأنصاري (وبالخندق) حرسه (الزبير) بن العوام (كلّ) من المذكورين (علمه) بالبناء للمجهول أي علم كونه حارساً من كتب السيرة، وكذا علم فيها أسماؤهم وأنسابهم، والهاء [فيه] للسكت، وفي جواز لحوقها بالماضي لغير الضرورة أقوال: أحدها لسيبويه والجمهور المنع، وثانيها الجواز مطلقاً واختاره ابن مالك، وثالثها التفصيل بين ما إذا خيف لبس فالمنع، كَضَرَبَهْ، و[بين] ما إذا لم يخف [فالجواز] كَقَعَدَهْ.

(وسعد) ابن أبي وقاص الزهري القرشي أحد العشرة، أسلم وهو ابن سبع عشرة سنة شهد المشاهد كلها، وكان مجاب الدعوة معروفاً بذلك لقوله ﷺ فيه: «اللهم سدّد سهمه وأجب دعوته»[٤٢] وكان قصيراً غليظاً آدم أشعر الجسد مات في قصره بالعقيق قُرَيْبَ المدينة، فحمل إليها برقاب الرجال ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين، وله بضع وستون سنة وهو آخر العشرة موتاً.

(وعبّاد) بن بشر وهو بفتح العين، وكلاهما حرساه (بيوم خيبر) بألف الإطلاق وحرسه فيه أيضاً أبو أيوب الأنصاري (كذا بلال) بن رباح المؤذن أسلم قديماً وعذّب في الله تعالى، سكن الشام آخراً، ولا عقب له، ومات بدمشق على الصحيح سنة عشرين، ودفن بباب الصغير، (كان) حارساً له ﷺ (في وادي القرىٰ) من أعمال خيبر، ووقف المغيرة بن شعبة على رأسه بالسيف حارساً يوم الحديبية كما سبق.

(رسله صلى الله عليه وسلم)

رُسُلُـه فـابـن أُمَيَّـةٍ إلىٰ أصحَمِـةٍ وَدِحَيـةٍ لِهِـرْقِـلاٰ

(رسله) ﷺ إلى الملوك كثيرة، روي أنه لما رجع من الحديبية كتب إلى

(٤٢) رواه الحاكم (٣/٥٠٠) بلفظ «اللهم سدد رميته وأجب دعوته».

الروم، فقيل له: إنهم لا يقرؤون كتابك إلاّ أن يكون مختوماً فاتخذ خاتماً من فضة ونقش عليه ثلاثة أسطر: محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر، وختم به وبعث ستة نفر في يوم واحد في المحرم سنة سبع على الصحيح كما قاله العز بن جماعة (فأولهم) عمرو (بن أمية) الضمري، وفي المواهب: بعثه سنة ست (إلى أصحمة) بن أبجر النجاشي ملك الحبشة الذي هاجر إليه المسلمون، فوضع كتابه ﷺ على عينيه ونزل عن سريره فجلس على الأرض وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب، ومات في حياته ﷺ سنة تسع، وصلّى عليه غائباً كما سبق، وأمّا النجاشي الذي وُلّيَ بعده، وكتب ﷺ إليه يدعوه إلى الإسلام، فكان كافراً لم يعرف إسلامه ولا اسمه، وقد وَهِمَ فيه بعض، ولم يعلم أنهما اثنان، [و] قد جاء ذلك مبيناً في صحيح مسلم من حديث أنس قال: كتب ﷺ إلى النجاشي، وليس بالذي صلّى عليه النبيُّ ﷺ الحديث(٤٣)، ولفظ كتابه ﷺ:

«إلى أصحمة: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، أمّا بعد فإني أحمد إليك الله الذي لا إلّه إلاّ هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسىٰ، فحملته من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله تعالىٰ، وقد بلّغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدىٰ»(٤٤) فلما قرأ الكتاب قال: أشهد أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب، ثم كتب في جوابه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم إلى محمد رسول الله من النجاشي أصحمة، سلام عليك

---

(٤٣) رواه مسلم (١٧٧٤).

(٤٤) انظر زاد المعاد (٣/٦٨٩).

يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، الله الذي لا إلّه إلاّ هو الذي هداني للإسلام، أما بعد فقد بلغني كتابك وعرفنا ما فيه، فأشهدُ أنك رسول الله صادقاً مصدقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك أبي جعفر وأسلمت على يديه لله ربّ العالمين (٤٥).

(ودحية) بكسر الدال وبالتنوين للوزن ابن خليفة الكلبي الذي يأتي جبرائيل إليه ﷺ بصورته لفرط جماله، بعثه ﷺ بكتابه بعد أن قال: «من ينطلق بكتابي هذا وله الجنّة» فقالوا: وإن لم يصل، قال نعم، فأخذه دحية (لهرقلا) أي إليه وهو بكسرتين بينهما سكون، ويجوز فيه لا هنا: هِرَقلٌ كسبطر وكان يدعىٰ أيضاً قيصر فعلم أنه ﷺ نبي الله، وهم بالإسلام فلم توافقه الروم، فخاف على زوال ملكه فأمسك ولفظ كتابه [إليه]:

بسم الله الرحمٰن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدىٰ أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلِمْ تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن تولّيت فإنما عليك إثم الأريسيين» إلى آخر ما في البخاري (٤٦)، وفي المواهب: كان بعث دحية آخر سنة ست كما قاله الواقدي، وما قيل: إنه سنة خمس غلط لتصريح أبي سفيان بأن ذلك كان في مدة صلح الحديبية، والصلح كان سنة ست اتفاقاً، فلما قرأ هرقل الكتاب غضب ابن أخيه وقال: ارم الكتاب لأنه بدأ بنفسه، وسماك صاحب الروم، فقال له: يا ضعيف الرأي كيف أرمي كتاب من يأتيه الناموس الأكبر، ولقد صدق أنا صاحب الروم والله مالكي ومالكه، فأمر بإكرام دحية فكان من أمره: ما ذكره البخاري.

وَابنُ حُذافَةٍ لِكِسرىٰ خَرَجا　　　شُجاعُهُمْ لِلْحارِثِ الغَسّانِ جا

---

(٤٥) انظر زاد المعاد (٣/٦٩٠).

(٤٦) رواه البخاري (٧) وفي مواضع أخرى.

(و) عبدالله (ابن حذافة) السهمي بضم الحاء وبالذال المعجمة وبالفاء بعثه ﷺ (لكسرىٰ) اسمه أبْرَوَيْز بن هرمُز بن أنوشيروان بكتاب فيه الدعاء إلى الإسلام والإقرار برسالته ﷺ، نظيركتار هرقل، وفي آخره:

«فإن توليت فإنما عليك إثم المجوس» وفي البخاري بعث بكتابه إلى كسرىٰ مع عبدالله بن حذافة، فأمره أن يدفعه إلىٰ عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين إلى كسرىٰ، فلما قرأه مزّقه فدعىٰ ﷺ [عليهم] أن يُمزّقوا كلّ ممزّق[٤٧] فمزّق الله ملكه وملك قومه وقوله:

(خرجا) بألف الإطلاق أي خرج مبعوثاً إلى كسرىٰ كما قررنا (وشجاعهم) أي المسمىٰ عندهم بشجاع بن وهب الأسدي (للحارث) بن أبي شمر بكسر الشين وسكون الميم (الغسّانِ) أي الغساني فحذف الياء للضرورة، وغسّان كشدّاد ماء نزل عليه قوم من الأزد فنسبوا إليه، منهم بنو جفنة رهط الملوك، وكان الحارث ملك البلقاء من الشام، فلما (جابا) بالقصر للوزن شجاع إليه، رمىٰ بالكتاب وقال: أنا ساير إليه، فمنعه قيصر، قاله ابن سيد الناس، وفي المواهب: وكتب ﷺ إلى الحارث الغساني وكان بغوطة دمشق:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر سلام على من اتبع الهدىٰ، فآمِنْ بالله وصَدِّق وإني أدعوك إلىٰ أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقىٰ لك ملكك» وبعثه مع شجاع.

وَحَاطِبٌ راحَ إلىٰ المُقَوقَسِ   سَلِيطُهُم لِهَوذَةٍ فَلَمْ يَسِ

(وحاطب) بكسر الطاء ابن أبي بلتعة (راح) وتوجه (إلى المقوقس) بوزن

(٤٧) رواه البخاري (٤٤٢٤).

مدحرج، اسمه جُرَيج بن ميناء القبطي ملك مصر والإسكندرية، وهو لقب لكل من ملكها، فوصل إليه بكتابه ﷺ بمثل كتاب هرقل، وهو بالإسكندرية فلما قرأه، قال لحاطب: ما منعه إن كان نبياً أن يدعوَ عليّ فيسلّط علي فقال له: حاطب: وما منع عيسىٰ أن يدعو على من خالفه أن يسلّط عليه، ثم سكت فقال حاطب: إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلىٰ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولىٰ، فانتقم به، ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر بك غيرك ثم قال: إن لنا ديناً لن ندعه إلاّ لما هو خير منه فقال حاطب: إن هذا النبي دعا الناس إلى دين الإسلام الذي لا يجوز سواه، ولعمري ما بشارة موسىٰ بعيسىٰ عليه السلام إلاّ كبشارة عيسى بمحمد ﷺ، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعاء أهل التوراة إلى الإنجيل، فالحق على كل من أدرك نبياً أن يطيعه، فقال المقوقس: قد نظرت في أمر هذا النبي فلم أجده بالضال الساحر ولا الكاذب وأدركت منه علامات النبوة، وسأنظر أي في أمري، ثم جعل كتابه ﷺ في حُقّ من عاج، ثم دعا مَن يكتب بالعربية فكتب في الجواب:

بسم الله الرحمٰن الرحيم لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط أمّا بعد: فقد قرأت كتابك وفهمت ما تدعو إليه، وقد علمت أنّ نبياً بقي، وكنت أظن أن يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك وبعثت لك كذا وكذا والسلام، ولم يزد على هذا ولم يسلم كذا في المواهب.

وقال العز بن جماعة لما قرأ الكتاب قال خيراً وقارب الأمر ولم يسلم وأهدىٰ له ﷺ مارية القبطية، وأختها سيرين وقيسر، وجاريةً أخرىٰ وألف مثقال ذهباً، وعشرين ثوباً من قباطي مصر، وبغلة شهباء، وهي دلدل، وحماراً أشهب، وهو عفير، وخصياً يقال له مأبور، وفرساً وهو اللزاز، وقدحاً من زجاج، وعسلاً من عسل بِنْها، وأعجب النبي ﷺ ودعا فيه بالبركة، وقال ﷺ: «ضَنَّ الخبيث» أي بخل بملكه ولا بقاء لملكه انتهىٰ، وفي القاموس [مقوقس] جُرَيج بن ميناء القبطي ملك مصر، وقد عدّ من الصحابة انتهىٰ،

وهذا يدل على أنه أسلم والله أعلم (وسليطهم) على قياس شجاعهم وهو سليط كشديد ابن عمرو العامري (لِهَوْذَةَ) بفتح الهاء وبالذال المعجمة ابن علي الحنفي ملك اليمامة، بعثه ﷺ بكتاب فيه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم من محمد رسول الله ﷺ إلى هوذة بن علي سلام على من اتبع الهدىٰ، واعلم أنّ ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يديك، فأكرم سليطاً وأنزله وحياه وقرأ الكتاب، وكتب في الجواب:

ما أحسن ما تدعو إليه وأجله! والعرب تهاب مكاني وأنا خطيبهم وشاعرهم فاجعل لي بعض الأمر أتبعك، وأجاز سليطاً وكساه أثواباً، فقدم بذلك كله إلى النبي ﷺ، وإلى إكرام سليط وإعطائه الجائزة أشار بقوله: (فلم يسِ) بقلب الهمزة ياءً من أساء ضد أحسن، وإلاّ فهو لم يسلم، بل مات كافراً، فلما قرأ ﷺ كتابه قال: لو سألني سيابةً من الأرض ما فعلتُ، باد وباد ما في يده، فلما انصرف ﷺ من الفتح أخبره جبرائيل عليه السلام بأن هوذة مات، فقال عليه الصلاة والسلام: «أمّا إنّ اليمامة سيظهر بها كذّاب يتنبّأ يُقتَل بعدي» فكان كذلك (٤٨).

قال العز بن جماعة: وهٰؤلاء هم الستة الذين بعثهم ﷺ في يوم واحد.

وعمرو عاصٍ لابنَي الجُلَندي   لِلمُنْذِرِ العَلاءَ فَمَا تَعدّي

(وعمرو) بن (عاصٍ) ويقال له العاص والعاصي ونكّره الناظم للوزن بعثه ﷺ في ذي القعدة سنة ثمان.

(٤٨) انظر زاد المعاد (٦٩٦/٣ - ٦٩٧) وابن سيد الناس (٢٦٩/٢) وشرح المواهب (٣٥٥/٣ - ٣٥٦) والإصابة (٣٧٤/٦ - ٣٧٩).

(لابـني الجُلَندي) بضم الجيم واللام مقصوراً وبفتح اللام ممدوداً، ووهم الجوهري فقصره مع فتح اللام كما في القاموس وهما: جيفر وعبدالله وكانا بعُمان والأمير منهما جيفر، فأسلما وخليّا بين الصدقة والحكم فيما بينهم، ولم يزل بينهم حتى بلغته وفاة النبي ﷺ كما ذكره العز بن جماعة. وفي المواهب: كتب ﷺ إلىٰ ملكي عُمان وبعثه مع عمرو بن العاص:

بسم الله الرحمٰن الرحيم من محمد [ابن] عبدالله ورسوله إلى جيفر وعبدالله ابني الجلندي السلام على من اتبع الهدىٰ أما بعد: أدعوكما بدعاية الإسلام أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافةً، لأنذر من كان حيّاً ويحق القول على الكافرين، وإنّكما إن أقررتما بالإسلام ولّيتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام، فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوّتي على ملككما، قال عمرو: فلما انتهيت إليهما، بدأت بعبد الله فإنه كان أسهل خلقاً فقلت: إني رسول رسول الله ﷺ إليك وإلىٰ أخيك، فقال: أخي مقدّم عليَّ بالسّن والملك وأوصلك إليه حتىٰ تقرأ الكتاب عليه، ثم قال: أخبرني بما يأمر به وينهىٰ عنه قلت: يأمر بطاعة الله عزّ وجلّ وينهىٰ عن معصيته، ويأمر بالصلة والبر وينهىٰ عن الظلم والعدوان والزنا وشرب الخمر وعبادة الأوثان، قال: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه!، ولو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد، ولكن أخي أظنه يبخل بملكه، قلت: إن أسلم ملّكه رسول الله ﷺ على قومه، قال: فمكثت ببابه أياماً وهو يصل إلى أخيه كل خبري، فما زالا يقدمان رِجلاً ويؤخران أخرىٰ حتىٰ وفّقها الله تعالىٰ للإسلام.(٤٩)

(وللمنذر) بن ساوىٰ العبدي ملك البحرين بعث ﷺ (العلاء) بن الحضرمي قبل منصرفه من الجعرانة، وقيل: قبل الفتح فأسلم وصدّق، (فما

(٤٩) انظر زاد المعاد (٣/٦٩٣ - ٦٩٦) وابن سيد الناس (٢/٢٦٧ - ٢٦٩) وشرح المواهب (٣/٣٥٢ - ٣٥٥) ونصب الراية (٤/٤٢٣ - ٤٢٤).

تعدّىٰ) عن الحقّ لما رآه فكتب في جواب مكتوبه ﷺ :

أمّا بعد يا رسول الله فإني قرأت كتابك علىٰ أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام ودخل فيه ومنهم من كرهه، وبأرضي يهود ومجوس فأحدث إليّ في ذلك أمرك، فكتب إليه ﷺ مكتوباً فيه أما بعد:

فإني أذكرك الله عزّ وجلّ، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، وإنه من يطع رسلي فقد أطاعني، وإنّ رسلي قد أثنوا عليك خيراً، وإني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم، ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية[٥٠].

مُهاجِرٌ لِلْحارِث ابنِ الحِمْيَرِي ... لِيَمَنِ مُعاذُهُم وَالأشْعَري

(ومهاجر) بن أبي أمية المخزومي (للحارث) بن عبد كلال (الحميري) بتخفيف الياء للوزن وكان باليمن فأجاب بأنه سيظهر في اليمن أمره (ليمن معاذهم) بضم الميم وهو معاذ بن جبل (و) أبو موسىٰ (الأشعري) بعثهما ﷺ إلى اليمن وقت انصرافه من تبوك، وقيل: في شهر ربيع الأول سنة عشر داعييْن إلىٰ الإسلام فأسلم عامة أهلها وملوكهم طوعاً من غير قتال، وبعث جرير بن عبدالله البجلي إلىٰ ذي الكلاع وذي عمرو يدعوهما إلى الإسلام فأسلما، وتوفي رسول الله ﷺ وجرير عندهم[٥١]، وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى مسيلمة الكذاب وكتب إليه بكتاب آخر مع السائب بن العوام أخي الزبير فلم يسلم، وبعث إلى فروة بن عمرو الجزامي يدعوه إلى الإسلام، وقيل: لم يبعث إليه، وكان فروة عاملاً لقيصر بعمان فأسلم، وكتب إلى النبي ﷺ بإسلامه

(٥٠) انظر زاد المعاد (٦٩٢/٣ - ٦٩٣) وابن سيد الناس (٢٦٦/٢- ٢٦٧) وشرح المواهب (٣٥٠/٣ - ٣٥٢) والإصابة (٢١٤/٦ - ٢١٦).

(٥١) انظر الإصابة (٤٢٧/٢ - ٤٣٠).

وبعث إليه هدية مع مسعود بن سعد، وهي بغلة شهباء يقال لها: فضة، وفرس يقال لها: الضَّرِب وحمار [له] يقال له: يعفور، وأثواب وقباء سندس مخوص بالذهب فقبل النبي ﷺ هديته، وأجاز مسعود بن سعد اثنتي عشرة أوقية ونشاً[52].

(كتّابه صلى الله عليه وسلم)

كُتَّابُهُ فَالخُلَفاءُ الأَرْبَعَة   أُبَيٌّ مَعْ زَيدٍ وَثابِتُ مَعَه)

(أما كتابه) فكثيرون جمعهم بعض المحققين للحديث [بعض المحدثين] في تأليف (فالخلفاء الأربعة) منهم أبو بكر فعمر فعثمان فعلي رضي الله عنهم (وأبيّ) بضم ففتح كاتب الوحي كان من سباق الأنصار، وهو أحد الستة الذين حفظوا القرآن على عهده ﷺ توفي بالمدينة سنة تسع عشرة، وقيل: عشرين (مع زيد) بن ثابت بن الضحاك الأنصاري البخاري مشهور بكتْبِ [بكاتب] الوحي توفي سنة خمسين أو ثمان وأربعين.

(وثابت) بن قيس بن شماس استشهد يوم اليمامة (معه) أي مع زيد ومع من ذكر وهو تتميم للبيت.

فَالخالِدانِ عامِرٌ مُعاوِيَة   وَطَلْحَةُ الزُبَيْر عُمَرُوٌ حَنْظَلَة

(فالخالدان) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي سيف الله المسلول أسلم بين الحديبية والفتح كما سبق، مات سنة إحدى أو اثنتين وعشرين، وخالد بن سعيد ابن العاص بن أُمَيَّة (وعامر) بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه

(52) انظر الإصابة (٥/٣٨٦ - ٣٨٧).

(ومعاوية) بضم الميم ابن أبي سفيان صخر بن حرب ولّي لعمر الشام وأقره عثمان رضي الله عنه، قال ابن إسحق: وكان أميراً عشرين سنة، وخليفةً عشرين سنة، وفي مسند الإمام أحمد من حديث العرباض قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللّهم علّم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب» (٥٣) أسلم يوم الفتح، وتوفّي في رجب سنة ستين، وقد قارب الثمانين (وطلحة بن عبيدالله القرشي أحد العشرة أسلم قديماً، وشهد المشاهد غير بدر لأنه ﷺ، بعثه مع سعيد بن زيد يتعرّفان خبر عير قريش التي مع أبي سفيان، قتلى يوم الجمل سنة ست وثلاثين، ودفن بالبصرة (والزبير) بن العوام بن خويلد أحد العشرة قتل يوم الجمل ستة ست وثلاثين قتله عمرو بن جرموز بوادي السباع وهو نائم (وعمرو) بن العاص بن وائل السهمي فاتح مصر في خلافة عمر رضي الله عنه، أسلم عام الحديبية، وولّى إمارة مصر مرتين، ومات بها سنة نيف وأربعين (وحنظلة) بن الربيع الأسيدي الذي غسلته الملائكة لما استشهد بأحد كما سبق (٥٤).

مُغيرة وأرقَمُ بنُ الأرقَمِ كَذا الجُهيمَانُ حُذَيفَةِ اعلَمِ

(ومغيرة) بن شعبة الثقفي، أسلم قبل الحديبية، وولّى إمارة البصرة، ثم الكوفة توفي سنة خمسين على الصحيح و(أرقم) ابن أبي الأرقم المخزومي، أسلم قديماً (و) عبدالله (بن الأرقم) القرشي [القريشي] الزهري، كان يكتب الرسائل عن رسول الله ﷺ إلى الملوك وغيرهم، وكتب بعده لأبي بكر، ثم لعمر بعده، واستعمله على بيت المال، ويقول: ما رأيت أخشىٰ لله منه، مات في

---

(٥٣) رواه أحمد (١٢٧/٤) والبزار (٢٧٢٣ كشف الأستار) والطبراني في الكبير (ج١٨ رقم٦٢٨) وانظر تعليقنا عليه.

(٥٤) حنظلة الكاتب هذا ليس هو الذي غسلته الملائكة، بل هو حنظلة بن عامر.

خلافة عثمان رضي الله عنه (كذا الجُهيَيان) تثنية جُهَيم بالتصغير، أحدهما جُهَيم ابن الصلت كما في عيون التواريخ، والآخر لا أستحضره الآن (٥٥) (وحذيفة) بن اليمان من السابقين الأولين، وصح في مسلم أنه ﷺ أعلمه بما كان ويكون إلىٰ أن تقوم الساعة، مات في صدر خلافة علي رضي الله عنه سنة ست وثلاثين (اعلم) تكميل للبيت، قال الشرف الدمياطي: وألزمهم للكتابة معاوية وزيد بن ثابت، وله ﷺ كتّاب أُخَرُ ذكرهم بعض المحدثين وأول كاتب له شُرحبيل بن حَسنة كما في المواهب، وأول من كتب له في المدينة: أبيّ بن كعب كما، قاله الحافظ ابن حجر، وأول من كتب له بمكة من قريش عبدالله بن سعد بن أبي سرح، ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام يوم الفتح، ومن كتّابه: عبدالله بن رواحة الخزرجي الأنصاري شهد بدراً، واستشهد بمؤتة، ومعيقيب كمُقَيْتيح ابن أبي فاطمة الدوسي من السابقين شهد المشاهد، ومات في خلافة عثمان أو علي رضي الله عنهما (و حويطب) بن عبد العزىٰ العامري أسلم عام الفتح مات سنة أربع وخمسين والعلاء بن الحضرمي، وأبو سفيان بن حرب وابنه يزيد أخو معاوية، وكان يزيد من سادات الصحابة أسلم يوم الفتح أمّره عمر رضي الله عنه على دمشق حتىٰ مات بها سنة ست عشرة بالطاعون، فوليها معاوية إلى أن رقىٰ منها إلى الخلافة وأبان بن سعيد بن العاص، ومحمد بن مسلمة، وأبو أيوب الأنصاري.

(أمراؤه صلى الله عليه وسلم)

وَالأُمَرا بازانُ كِسرىٰ وَابنُـهُ   مُهاجِرُ وَصَخْرُ حَرْبٍ وَابنُـهُ

(والأمرا) بالقصر للوزن (باذان) بموحدة في أوله وذال معجمة في وسطه ونون في آخره، وقد يقال: باذام بالميم وهو ابن ساسان بن بلاش من أحفاد الملك

(٥٥) انظر الإصابة (١/٥١٢ و ٥٢٤) والثاني هو جهم بن سعد.

يزدجرد بن الملك بهرام جور الفارسي، أمّره رسول الله ﷺ على اليمن كلها بعد موت كسرىٰ، فهو أول أمير في الإسلام على اليمن، وأول من أسلم من ملوك العجم، كما قاله ابن جماعة وغيره وقوله: (كسرىٰ) إما عطف بيان له لأنه كان من ملوك الفرس كما مرّ آنفاً، أو مضافاً إليه للاختصاص لكونه من نوابه، (و) بعد موت (باذان) (ابنه) شهر بن باذان، أمّره ﷺ على صنعاء وأعمالها[٥٦] (ومهاجر) بن أبي أمية المخزومي (و) أبو سفيان (صخر) بن (حرب) بن أمية، أمّره على نجران (وابنه) أي ابن صخر وهو يزيد أخو معاوية، أمّره ﷺ على أهل تيماء.

زيادُ وَابنُ جَزءِ صَديقُ عليٰ حَجٌّ وَعُثمانُ أبي العَاصِ العلىٰ
عتّابُ مَعْ بني سَعْدٍ وَعلي وَالأشعري وعُمروُ عاصٍ وَعدي

(وزياد) بن لبيد الأنصاري [أنصاري]، أمّره على حضرموت ناحية باليمن (و) الحارث بن (جَزء) بفتح الجيم غير منصرف للضرورة، وهو جزء ابن الحل من خدامه ﷺ (وصدّيق) أبو بكر رضي الله عنه، أمّره ﷺ على إقامة الحج سنة تسع، وبعث في أثره علياً فقرأ على الناس: براءة، فقيل: لأن أولها نزل بعد أن خرج أبو بكر إلى الحج، وقيل: أردفه غوثاً ومساعداً، ولهذا لما قال له الصديق: أمير أو مأمور: بل مأمور، وأما الرافضة [الرفضة] فقالوا: بل عزله وهو من تقوّلهم وافترائهم (وعثمان) بن عفان بن أبي العاص بن أمية، أمّره على الطائف كما قيل (والعلا) بن الحضرمي على البحرين، (وعتّاب) بفتح فتشديد المثناة ابن أُسيد بوزن أُمير، أمّره على مكة وإقامة الموسم والحج بالمسلمين سنة ثمان (مع) بسكون العين خالد (بُنَيْ) بالتصغير وتخفيف الياء للوزن والأولى

---

(٥٦) انظر الإصابة (١/٣٣٨ - ٣٣٩).

نجل (سعيد) ليتخلص عن الضرورة، أمّره ﷺ خالد بن سعيد بن العاص على صنعاء (وعلي) بتخفيف الياء، أمّره على القضاء باليمن سنة عشر، وأرسله أميراً على النداء: أن لا يحجّ بعد العام مشرك، لما حجّ أبو بكر سنة تسع كما مرّ (و) أبو موسى (الأشعري) أمّره عى زبيد وعدن باليمن، (وعمرو) بن (عاص) أمّره على عمان وأعمالها (وعدي) بتخفيف الياء للوزن وهو عدي بن حاتم الطائي، أمّره على الصدقات، وكان بلال المؤذن على نفقاته، ومعيقيب الدوسي على خاتمه، وكان قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري منه ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير، ووقف المغيرة بن شعبة على رأسه بالسيف كما مرّ يوم الحديبية.

(وأما شعراؤه الذين يذبون عن الإسلام)

ويحاربون [ويجاوبون] عن هجاء المشركين وأشعارهم، فهم: كعب بن مالك السلمي، وعبدالله بن رواحة الخزرجي الأنصاري، وكان يحدو بين يديه في السفر، وحسان بن ثابت الأنصاري الذي دعا ﷺ له بقوله: «اللهم أيّده بروح القدس»(٥٧) فيقال: إن جبرائيل عليه السلام أعانه بسبعين [ألف] بيتاً، وعاش مائة وعشرين سنة، وخطيبه ﷺ: ثابت بن قيس بن شماس، وفارسه: أبو قتادة الأنصاري.

(الذين يضربون أعناق الأعداء بحضرته صلى الله عليه وسلم)

وَضَارِبُو عُنُقِ العدىٰ بِحَضْرَتِهِ زُبَيْرُ وَالضَّحاكُ وَابنَ مَسلَمَة

(وضاربو) اسم فاعل حذف نون جمعه لإضافته إلى (عنق) بسكون النون

(٥٧) رواه أبو داود (٥٠١٥) والترمذي (٣٠٠٣ و ٣٠٠٤) والطبراني في الكبير (٣٥٨٠).

(العدىٰ) بكسر العين وضمها اسم جمع بمعنىٰ الأعداء، والمراد هنا الكفار (بحضرته) ﷺ وهو مثلثه الحاء بمعنى وهو حاضر كحضر [كحضره] وحضرته محركتين.

عَلِيٌّ وَالمِقْدادُ وَابنُ عَمَّتِهْ وَعَاصِمُ بنُ ثَابِتٍ مَنتظِمَة

(عليّ) بترك التنوين بن أبي طالب، كرّم الله وجهه (والمقداد) بن عمر الكندي (وابن) صفية (عمته) ﷺ وهو (زبير) بن العوام أول مَن سلّ السيف في سبيل الله تعالىٰ، شهد المشاهد كلها معه ﷺ، وفي الحديث: «إن لكل نبي حوارياً أي ناصراً وحواريّ الزبير»(٥٨) (والضحاك) بفتح الضاد ابن سفيان الكلابي (ومحمد بن مسلمة) بفتح فسكون ففتح الأنصاري (وعاصم بن ثابت) ابن أبي الأفلح، وقوله: (منتظمه) تتميم للبيت وهؤلاء منتظمة في سلك النظم والتعداد.

(مؤذنوه صلى الله عليه وسلم)

مُؤذِنوهُ أربَعَةٌ أعْدُدْ أبا مَحذورَةٍ مِعيرِ عَمرٍو بِقُبا

(مؤذنوه) ﷺ أربعة (أُعدُد) منه (بلالاً) بن رباح مولىٰ أبي بكر رضي الله عنه، وهو أول من أذّن له ﷺ، ولم يؤذن لأحد من الخلفاء بعده إلاّ أنّ عمر رضي الله عنه لما قدم الشام حين فتحها، أمره أن يؤذن، فتذكر الناس النبي ﷺ، قال أسلم مولى عمر: فلم أر باكياً أكثر من يومئذ، وفي المواهب: توفي بداريّا قرية بالشام، وله بضع وستون سنة، وقيل: دفن بدمشق وقيل: بحلب انتهى، وقد مرّ تصحيح دفنه بدمشق.

---

(٥٨) رواه البخاري ومسلم (٢٤١٥) وغيرهما.

وأعدد (أبا محذورة) بالذال المعجمة أوس بن مِعيَر الجمحي مؤذناً له بمكة (وعمرو) بترك التنوين ابن أم مكتوم القرشي العامري الأعمى، أعددْ مؤذناً له ﷺ بالمدينة كبلال. (وسعداً) الملقب بسعد القرظي ابن عائذ مولى عمّار بن ياسر، أعدده مؤذناً له ﷺ (بقباء) بالضم والقصر قرية بقرب المدينة كما سبق، وبقي سعد إلى ولاية حجاج [الحجاج] على الحجاز سنة أربع وسبعين.

(دوابه صلى الله عليه وسلم)

وَخَيْلُه الوَرْدُ اللِّزازُ السَّكْـبُ　　مَرتَجِـزٌ مُـلاوِحٌ وَالضَّـرِبُ

(وخيله) ﷺ كثيرة، سبعة متفق عليها، وقد نظمها بدر الدين بن جماعة [في بيت] فقال:

والخيل سكب لحيف سبحة ظرب　　لـزاز مـرتجز ورد لهـا أسرار

والبواقي مختلف فيه [فيها] (الورد) أهداه له تميم الداري (واللزاز) في القاموس اللزاز ككتاب الخشب التي يكزّ أي يشدُّ بها الباب، وبلا لام فرس له ﷺ، أهداه المقوقس له انتهى، فعلم أن الصواب في النظم لزاز بدون الألف واللام لإستقامة نظم به أيضاً وفي المواهب: وسمي به لشدةِ تلذذه واجتماع خلقه، ويقال لزَّ به الشيء أي لزق به كأنه يلتزق بالمطلوب لسرعته.

(والسكب) من سكب الماء أي انصبَّ، سمي به لكثرة جَريِهِ، وهو أول فرس ملكه ﷺ، اشتراه من أعرابي بعشر أواقي، وكان أغر محجلاً طلق اليمين كميتاً، وقيل: كان أدهم، واسمه عند الأعرابي الضرس بالضاد والسين في آخره ككتف، فغيره ﷺ إلى السكب كما قاله ابن جماعة والمجد في القاموس وغيرهما (ومرتجز) اسم فاعل بجيم وزاء في آخره، سمي به لحسن صهيله من الرجز وكان أبيض.

(وملاوح) اسم فاعل بحاء مهملة في آخره، عدّه منها ابن خالويه.

(وظرب) بالظاء المنقوطة وبالباء في آخره على وزن كتف كما في القاموس، وسكن الناظم الراء للوزن، وفي المواهب الظرب ككتف واحد الظراب سمي به لكبره وسمنه، وقيل لقوته وصلابة حافره انتهى. والطرب بالطاء المهملة ككتف كما في القاموس أيضاً فرس آخر له ﷺ والطرف بكسر المهملة فسكون الراء آخره فاء فرس آخر له كما ذكر ابن قتيبة.

لَحيفُ وَالضَّرِسُ ثُمَّ سَبْحَةُ بِغالُهُ فَدُلْدُلُ وَفِضَّةُ

(ولحيف) بترك التنوين، وفي المواهب وهو بالحاء المهملة فعيلة بمعنى فاعل سمي به لكبره وسمنه، كأنه يلحف الأرض أي يغطيها بذنبه لطوله، أهداه له ربيعة بن أبي البراء انتهى. وفي القاموس: هو كأمير أو زبير فرس لرسول الله ﷺ، كأنه كان يلحف الأرض بذنبه، انتهى، وقد يقال لخيف بالخاء المعجمة كما قاله البخاري في جامعه.

(والضَرِسُ) بالضاد المعجمة والسين المهملة على وزن كتف، كما رأيناه في النسخ، وكذا في مختصر ابن سيد الناس، لكن قد حققنا آنفاً أن الضرس والسكب واحد، فلعله محرف من الضرمن وهو في الأصل الضرم للفرس العداء، ثم زيدت فيه النون مبالغةً، كما في ضيغن، فإن السهيلي ذكر الضرمن في أفراسه ﷺ.

(ثم) سبحة بفتح فسكون من قولهم فرس سابح أي حسن الجري، قيل اشتراه من أعرابي بعشر من الإبل، ومن أفراسه ﷺ البحر اشتراه من التجار [تجار] من اليمن، فسبق عليه ثلاث مرات، فمسح ﷺ على وجهه، فقال «ما أنت إلا بحر» فسمي به حكاه الدمياطي، ومرتجل وسرحان ذكرهما ابن خالويه، وذو اللمة ذكره ابن حبيب، والسجل والنجيب ذكره ابن قتيبه، واليعبوب

واليعسوب ذكرهما قاسم بن ثابت، والمرواح والمندوب ذكرهما بعضهم.

(وأما بغاله صلى الله عليه وسلم)

(فدلدل) بدالين مضمومين أهداها له ﷺ المقوقس، وكانت شهباء، وقد كبرت حتى زالت أضراسها، وكان علي رضي الله عنه يركبها بعده ﷺ، وروي أن عثمان رضي الله عنه كان يركبها، ثم يركبها الحسن، ثم الحسين ثم محمد ابن الحنفية حتى عميت من الكبر.

(وفضة) أهداها فروة الجزامي.

إيلُـــهُ وَمَـــا لَـــهُ حَميرُ　　إلاَّ عَفيرٌ وَكَـــذا يعَفُـــورُ

وأيلية أي بغلة منسوبة إلى أيلة بفتح الهمزة بلد بين مصر وينبع، ونسبت إليها لأنها أهداها له ﷺ صاحب أيلة، وكانت شهباء، وله بغلة أخرى أهداها له صاحب دومة الجندل، وأخرى من عند النجاشي، فكان ﷺ يركبها.

(وما له حمير) إلا حمار أهداه [له] المقوقس يقال له (عفير) بالتصغير وكذا له حمار آخر، أهداه فروة الجذاميُّ يقال له (يعفور) ويقال: إنهما واحد، وروي أن سعد بن عبادة أعطى النبيَّ ﷺ حماراً وركبه.

(نعمه صلى الله عليه وسلم)

نَعَمــهُ مِـنْ إبِـلٍ قَـد مَلَكَـا　　عِشرينَ لقحة لها قَدْ تَـرَكَـا

(نعمه) ﷺ التي كانت له في حياته، وهو مبتدأ خبره الجملة [التي] بعده، وهل النعم بفتحتين شامل للإبل والشاء، أو هو مختص بالإبل قولان، فعلى الأول الأشهر قوله: (من إبل) تخصيص وعلى الثاني بيان، والإبل اسم يقع على الذكر

والأنثى، والواحد والجمع (قد ملكا) ﷺ منها (عشرين لقحة) بكسر اللام وقد تفتح وهي الناقة ذات لبن، واقتصاره على عشرين موافق لما في مختصر ابن سيد الناس، وعبارة القسطلاني كابن جماعة، وكانت له خمس وأربعون لقحة واللام في (لها) زيدت لتقوية العمل لضعف العامل بتقديم معموله عليه كما تقرر في النحو (قد تركا)، الظاهر أن معناه خلفها بعد موته، فينافيه رواية الترمذي في شمائله عن عمرو بن حارث قال: ما ترك رسول الله ﷺ إلا سلاحه وبغلته البيضاء دلدل، وأرضاً جعلها صدقة[٥٩] وروايته أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا شاةً ولا بعيراً، قال الراوي: والشك [وأشك] في العبد والأمة[٦٠] وروايته أيضاً من حديث أنس رضي الله عنه: ولقد كان له ﷺ درع عند يهودي أيْ رهناً من آصع شعير، فما وجد ما يفكها حتى مات ﷺ[٦١]، وقد استشكل عليّ من زمان أمثال هذا مع كلام أهل السير الدال على أنه ﷺ خلّف أشياء كثيرة من نعم وغيرها، ولم أر مَن نبه على الإشكال والجواب، ثم رأيت ابن حجر في شرح الشمائل وأشار إلى الإشكال ولم يتكلم على الجواب بما يشفي، فقال في الحديث الأول:

الظاهر أن الحصر المستفاد من قوله: ما ترك إلاّ سلاحه إلى آخره إضافي، لأنه ترك ثياب بدنه وأمتعة بيته أيضاً، ولعل حكمة سكوت الراوي عن هذه كونها حقيرة بالنسبة للمذكور [للمذكورين] فلم يعتدّ به لكن ذكر بعض أهل السير أنه ﷺ خلّف إبلاً كثيرةً، وأنه كان له عشرون ناقةً يرعونها حول

(٥٩) رواه البخاري: (٢٧٣٩ و ٢٨٧٣ و ٢٩١٢ و ٣٠٩٨ و ٤٤٦١) وأحمد (٢٧٩/٤) ودلدل غيرها على الأصح، ورواه الترمذي في الشمائل: (٣٩٩).

(٦٠) رواه الترمذي في الشمائل (٤٠٥) ورواه مسلم (١٦٣٥) وغيرهما.

(٦١) رواه أحمد (١٠٣/٣ و١٣٣ و٢٠٨ و٢٣٨) والبخاري (٢٠٦٩ و٢٥٠٨) وغيرهما بألفاظ مختلفة.

المدينة، ويأتون بألبانها إليه كل ليلة، وكان له سَبْعُ بقرات يشربون لبنها كل ليلة انتهى[٦٢].

أقول: يمكن الجمع بأنّ عادته ﷺ أن لا يدّخر لنفسه شيئاً ويدّخر لأزواجه وأهله قوت سنة كما صحّ في الأحاديث، فمن نفى الترك أراد لنفسه ومن أثبته أراد لأهله وضيوفه، وأما معنى: فما وجد ما يفكها في الحديث الآخر، فلعله: فما أمسك ما يفك به رهنه لسعة جوده وسخائه، وإلا فقد وجد من الغنائم ما لا يحصى، فقد صح في البخاري: لما قسّم غنائم حنين فطفق ﷺ يعطي رجالاً المائة من الإبل يتألفهم بذلك الحديث، وصح أنه ﷺ أعطى صفوان بن أمية يوم حنين مائة من الغنم، وأعطى أعرابياً سأله غنماً بين جبلين، وغير ذلك مما هو مشهور في الأحاديث، وفي كتب السيرة، على أن أهل السير مثبتون، وغيرهم نافون، والمثبت مقدم على النافي، لمزيد علمه كما هو مقرر فتأمله، فإن قلت: أداء الدين أحق فلم لم يمسك ﷺ ما يؤدي به دينه؟ قلت: إنما استدان من اليهودي إخفاءً لحاجته عن [من] أصحابه كما هو دأب الكريم، لعلمه بأنهم لا يتقاضون منه الدين، وإعلاناً بجواز المعاملة مع اليهودي، وإلاّ فكان في أصحابه من يكفيه ﷺ ذلك، فلما رهن عنده درعه تساهل في أدائه، وفك الرهن، لعلمه بأن درعه أحسن من آصع شعيره، وقيامه [وقيام رهنه] مقام أدائه، لا لعدم وجدانه ما يفكه، فاندفع بما قررته بحمدالله الإشكالات فاحفظه.

وَالنّاقَةُ القَصواءُ مَعْ مَهْرَيَـه وَمِائَـةُ الغَنَـمِ مَعْ شُـوَيْهيَـة

(٦٢) قال علي القاري في شرح الشمائل (٢/٢٢٤ - ٢٢٥) والظاهر أن الإبل الكثيرة هي من إبل الصدقة، وأن النوق والمعز كانت من المنائح كما جاءت به الروايات الصرائح، وسيجيء في رواية عائشة عند المصنف أنه ما ترك ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً، فيتعين التأويل الذي ذكرناه.

والعجب من ابن حجر حيث ذكر ما نقل عن أهل السير وسكت عنه.

(و) مما ملكه ﷺ من النعم (الناقة) التي هاجر عليها من مكة إلى المدينة، وكان لا يحمله إذا نزل عليه الوحي غيرها وتسمى (القصواء) والعضباء والجدعاء، ولم يكن بها عضب أي شق الأذن، ولا جدع أي قطع أنف أو أذن، وإنما صارت ألقاباً لها على الأصح، وجزم به في القاموس، وقيل: بل هن ثلاث، والعضباء هي التي كانت لا تُسبق، فجاء أعرابي على قعود فسبقها، فشق ذلك على المسلمين، فقال ﷺ: «إنَّ حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً إلاّ وضعه» (مع مهريّه) بفتح الميم أي ناقة منسوبة إلى مهرة، قبيلة، قال ابن جماعة: أرسل بها إليه سعد بن عبادة من نعم بني عقيل، ورمى ﷺ في حجة الوداع على ناقة صهباء أي شقراء، وغنم ﷺ يوم بدر جملاً مهرياً لأبي جهل في أنفِهِ برة من فضة، فأهداه يوم الحديبية ليغيظ بذلك المشركين، (و) كانت له من النعم أيضاً (مائة من الغنم) لا يريد زيادتها بل لبنها، فكلّما زاد واحدة ذبح مكانها شاة، كما قاله ابن جماعة (مع شويهة) يختص ﷺ بشرب لبنها، وتسمى غوثة أو غيثة، وشويهة تصغير شاة لأن أصلها هاء، وكانت له شاة أخرى تسمى قمرا وغنم [وعنز] تسمى اليُمْنَ.

قال ابن جماعة: وكان له سبع أعْنُز ذات نتائج ولبن ترعاهنّ أم أيمن، وكان له ديك أبيض، وقال ابن سيد الناس: لم ينقل أنه ﷺ اقتنى من البقر شيئاً انتهى، ويعارضه نقل ابن حجر لسبع بقرات كما مر.

(سلاحه صلى الله عليه وسلم)

سُيوفُهُ الـمَـأثـورُ ذُوالفِقَـارِ غُنِـمَ مِـنْ بَـدْرٍ مَـعَ البَتّـارِ
وَالقَلِعيُّ وَالحَتْفُ وَالرَسُـوبُ وَمِجذمُ وَالقضْـبُ وَالقَضيـبُ

(سيوفه) ﷺ (تسعة) (المأثور) بالثاء المثلثة يقال للسيف الذي في متنه أثر، أو متنه حديد أنيث وشفرته حديد ذكر، أو الذي يفعله الجن كما في

القاموس، وهو أول سيف ملكه إرثاً من أبيه، ويقال: إنه قدم به في الهجرة إلى المدينة.

(وذو الفقار) بفتح الفاء وكسرها كما في المواهب لأنه كان في وسطه مثل فقرات الظهر، وكان ﷺ لا يفارقه في حرب (غُنِمَ) ذو الفقار وصار إليه ﷺ (من غزوة بدر) وكان للعاص بن منبّه قتل كافراً، وكانت قائمة ذلك السيف وقبيعته وحلقته وذؤابته وبكراته ونعله من فضة، وأعدد ما مرّ من سيوفه (مع البتّار) أي القاطع (والقُلَعي) بضم القاف وفتح اللام، أصابه من قلع موضع كما في المواهب وفي القاموس: ومرج القلعة محركةً موضع بالبادية، ينسب إليها السيوف (والحتف) وهو في الأصل الموت، وهذه الثلاثة أصابها من بني قينقاع (والرسوب) بفتح الراء وهو الذي يمضي فيما ضُرب فيه ويغيب من رسب إذا ذهب إلى أسفل (وَمِخذَم) كمنبر هو القاطع من الخذم بالخاء والذال المعجمتين وهو القطع (والعَضبُ) بسكون الضاد المعجمة وهو في الأصل القطع والضرب أرسله إليه ﷺ سعد بن عبادة حين سار إلى بدر.

(والقضيب) بفتح القاف وكسر الضاد المعجمة أول سيف تقلد به رسول الله ﷺ على ما قاله ابن سيد الناس.

قِسِيَّـهُ سِـتٌ وَسَبْـعُ أَدْرُعُ ۞ ثَلاثُ أتراسٍ رِمَاحٌ أَرْبَعُ

(قِسِيّه) بكسرتين فمثناة مشدودة جمع قوس بالقلب كما عرف في محله (ست) الزوراء، وثلاثة أصابها ﷺ من بني قينقاع: الروحاء والصفراء والبيضاء، والكتوم كسرت يوم أحد، فأخذها قتادة بن النعمان، والسداد وذكره ابن جماعة وغيره، وقيل: كان قسيه أربعة.

(وسبع أدرع) جمع درع أي وأدرعه سبع، ذات الفضول بالضاد المعجمة لطولها، أرسل بها إليه ﷺ سعد بن عبادة، حين سار إلى بدر، وهي التي رهنها

عند أبي الشحم اليهودي على آصع شعير لعياله، وكان الدين إلى سنة، وذات الوشاح، وذات الحواشي، والسُغدية بضم السين وسكون الغين المعجمة أو المهملة نسبة إلى سُغد، موضع وقيل: إنها درع داود عليه السلام التي لبسها حين قتل جالوت، وفضّة والبتراء لقصرها، والخِرنق سميت باسم ولد الأرنب، وكان ﷺ لبس يوم أحد درعين ذات الفضول، وفضة، ويوم خيبر أيضاً درعين ذات الفضول، والسغدية ذكره القسطلاني.

(أتراسه صلى الله عليه وسلم)

(وله) ﷺ (ثلاث) بحذف التاء للوزن (أتراس) جمع ترس وهو ما يتترس به واحد منها يقال له: الزلوق لزلق السلاح عنه، وآخر يقال له الفتق، وآخر أهدي إليه ﷺ، وفيه تمثال عقاب أو كبش، فوضع يده عليه فأذهب الله ذلك التمثال.

(رماحه صلى الله عليه وسلم)

(وله رماح أربع) المثنى وثلاثة أخر أصابها من بني قينقاع، واحد منها يسمى المثوي لأنه يثبت المطعون به ويُقعِده من الثوى وهو الإقامة قاله في النهاية.

عَنَــزَةٌ وَحَــرَبَتَـــانِ جَعْبَــةُ   وَمِغفــرانِ مِحجَـنُ مِخصَـرَةُ

وله ﷺ (عَنَزَةٌ) بفتح العين المهملة والنون رُمَيْحٌ أطول من العصى وأقصر من الرمح، وكان يمشي بها وتحمل بين يديه في العيد، وتركز أمامه ويصلي إليها.

(حِرَبُه صلى الله عليه وسلم)

(وحربتان) بفتح الحاء أحداهما كبيرة يقال لها البيضاء والأخرى صغيرة شبه العكاز يقال لها النبعة. (وجعبة) بفتح الجيم وسكون العين كنانة النشاب (و مغفران) تثنية مغفر كمنبر وهو ما ينسج من الدرع يلبس تحت القلنسوة، أحدهما

يقال له ذو السبوغ والآخر الموشح، (ومِحجَن) بكسر الميم وتقديم الحاء على الجيم عصا معوج يشبه الصولجان (ومخصرة) بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة تسمى العُرجون، في القاموس: المخصرة ما يتوكأ عليه كالعصا، وما يأخذه الملك يشير به إذا خاطب غيره.

عَصًا قَضيبٌ رايَةٌ سَوداءُ   مِنطِقَةُ قَدْ فُضِضَتْ لِواءُ

وكانت له ﷺ هراوة، وهي عصاً لها ذكر في حديث الحوض يذود بها عنه (و قضيب) من الشوحط يسمى الممشوق، ومن أسمائه ﷺ: صاحب الهراوة وصاحب القضيب، وفسر القضيب بالسيف وبالعصا الممشوق الذي كان يمسكه، وهو الآن عند الخلفاء، ذكره ابن جماعة، وكانت له ﷺ (راية) وهو العلم الضخم (سوداء) من برد لعائشة رضي الله عنها كما مرّ في غزوة خيبر، وتسمّى العُقاب لأن لونها كلون العقاب.

وروي أنه مكتوب على راياته: لا إلّه إلاّ الله محمد رسول الله (ومنطقة) بكسر الميم وفتح الطاء ما يشدّ به الوسط كما في القاموس وغيره، وكانت من أديم مبشور (قد فُضِّضت) أي جعلت فيها الفضة، قال ابن جماعة: فيها ثلاث حلق من فضة، زاد ابن سيد الناس وكان ابزيمها فضةً والطرف فضة، وكان له (لواء) وهو العلم الذي يحمل في الحرب يعرف به موضع صاحب الجيش، وقد يحمله أمير الجيش، وقد يدفعه لمقدم العسكر، وصرح جماعة من أهل اللغة بترادف اللواء والراية، لكن روى الإمام أحمد والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما: كانت راية رسول الله ﷺ سوداء ولواؤه أبيض، ومثله عند الطبراني [٦٣] وهو ظاهر في تغايرهما، فلعلّ التفرقة بينهما عرفية.

---

(٦٣) رواه الترمذي (١٧٣٢) وابن ماجه (٢٨١٨) والطبراني في الكبير (١١٦١ و١٢٩٠٩) والحاكم (١٠٥/٢) والبغوي في شرح السنة (٢٦٦٤) ولم أره عند أحمد.

(أثوابه ولبسه وأثاثه صلى الله عليه وسلم)

أثْـوابُـه مُـذ مُـاتَ وَالأثـاثُ   فجُبَّـةٌ خَميصَـةٌ ثَـلاثُ
أو أربَـعٌ لـواطِيئـاً قلانِسـا   ثوبًا صَحاريٍ قميصٌ وَكسَا

(أثوابه) ﷺ التي تركها (مذ) حين (مات) (و) كذا (الأثاث) بفتح الهمزة وبالثاء المثلثة متاع البيت يأتي ذكرها، أمّا أثوابه: (فجبّة) يمنية، ولبس ﷺ في وقت جُبَّةً شامية ضيقة الكمين، وفي وقت قباء، وفي المواهب تبعاً لابن جماعة: وكان له ﷺ ثلاث جبّات، يلبسها في الحرب، فيها جبّة سندس أخضر (وخميصة) كساء مربع أسود له علمان، فإن لم يكن معلماً، فليس بخميصة، وكان له ﷺ (ثلاث أو أربع) شك من الراوي حال كونها (لواطئاً) جمع لاطئة من لطىء أي لزق أي لاصقة بالرأس غير مرتفعة، وليست مثل المضرّبة المرتفعة التي اعتادها أهل الروم، وقوله (قلانسا) جمع قلنسوة ما يلبس في الرأس تحت العمامة تمييز لقوله: ثلاث أو أربع، وكان يلبس القلانس البيض والمزورات وذوات الآذان كما قاله ابن جماعة وله (ثوباً صحاريّ) تركيب إضافي، وصحار بضم الصاد قرية باليمن من أعمال عمان، ينسب إليها الثياب كما في النهاية، وبه يعلم أن حق ما في النظم ثوبا صحار أو ثوبان صحاريين كما عبر به غيره (وقميص) من قطن قصير الطول، وقصير الكمّ إلى الرسغ صحاريّ وآخر سحولي (وكسا) بالقصر للوزن وهو كساء أبيض، ولو قال: ثوبا صحار وقميص وكسا بزيادة الواو على قميص كما قدرته لتخلص مما أوردته، فلعله من تغيير النساخ.

إزارُ ثـوبـا حِبَـرةٍ مِلحَفَـةُ   ثوبانِ يَـومَ جُمُعَـةٍ عِمامَـةُ

(وله إزار) بترك التنوين للوزن وهو الساتر لما بين السرة والركبة، أو أكثر

إلى الكعبين، وفي الصحيح أن عائشة رضي الله عنها أخرجت كساءً ملبّداً وإزاراً غليظاً فقالت: نزع روح النبي ﷺ في هذا[٦٤] (وثوبا حبرة) بكسر الحاء وسكون الباء للوزن، والإضافة للبيان، وفي النهاية: يقال برد حبرة بوزن عنبة على الوصف والإضافة وهو بُردٌ يمان انتهى. قال ابن جماعة كان أحب الثياب إليه القميص والحبرة، وهو ضرب من برود اليمن فيه حمرة، وكان يحب البياض انتهى. (وملحفة) بوزن مِكْنِسَة وهو كالمِلْحَفَةِ واللِّحَاف ما يتغطى به فوق سائر اللباس لدفع البرد ونحوه، وملحفته ﷺ كانت مورسة، وكل ما ذكره الناظم جزم به ابن سيد الناس بأنه من تركته ﷺ، ونقله العز بن جماعة، وعبارته: ترك ﷺ ثوبي حبرة وإزاراً عمانياً، وثوبين صحاريين، وقميصا سحولياً، وجبةً يمانيةً، وخميصة وكساءاً أبيضاً، وقلانس صغاراً لاطئة ثلاثاً أو أربعاً، وإزاراً طوله خمسة أشبار، وملحفةً مورسّة انتهت، ولم يجزم بغير هذه وله (ثوبان) كان يلبسهما (يوم جمعة) غير ثيابه التي يلبسها في سائر الأيام، وعن الواقدي أن بردة النبي ﷺ كانت يمنية طولها ستة أذرع في عرض ثلاثة وشبر، وأن إزاره من نسج عمان طوله أربعة أذرع وشبر في عرض ذراعين وشبر، كان يلبسهما يوم الجمعة والعيدين ثم يطويان، وعن جابر كان يلبس برده الأحمر في العيدين والجمعة[٦٥]، وكان له بردان أخضران وكساءاً أسود وكساءاً أحمر ملبداً وكساءاً من شعر ذكره ابن جماعة، وكانت له (عمامة) تسمى السحاب وهبها علياً، فكان ربما قال إذا رآه مقبلاً وهي عليه: «أتاكم عليٌّ في السحاب» وكان ﷺ إذا اعتم أرخىٰ عذبته بين كتفيه وكان أحياناً يديرها ويغرزها وراءه،[٦٦]. ولبس يوم الفتح عمامة سوداء[٦٧] وروي في لباسه غير ذلك.

---

(٦٤) رواه أحمد (٦/٣٢ و ١٣١) والبخاري (٥٨١٨) وغيرهما.

(٦٥) رواه البيهقي (٣/٢٤٧) وإسناده ضعيف.

(٦٦) رواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر كما في مجمع الزوائد (٥/١٢٠) وانظر سلسلة الصحيحة (٢/٣٤٣ - ٣٤٦) لشيخنا محمد ناصر الدين الألباني.

(٦٧) رواه مسلم (١٣٥٨) والنسائي (٨/٢١١) وغيرهما.

(أثاثه صلى الله عليه وسلم)

وَقَــدَحٌ بِفِضَّــةٍ مُضَبَّــبُ   كَذا زُجَاجٌ قِصعَةٍ وَمِخضَبُ

وأمّا أثاثه فمنها (قدح بفضة) متعلق بقوله (مضبب) ضُبِّب بسلسلة من فضة في ثلاثة مواضع وكان فيه حلقة يعلق بها، وكان له قدح يسمى [الريان] ريّان، وآخر يسمى مغيثا، وآخر من عيدان، يوضع تحت سريره يتبول فيه من الليل، والقدح بفتحتين إناء يروي الرجلين أو اسم يعم الصغار والكبار (كذا) له (زجاج قصعة) الإضافة بيانية (و) له (مِخضَب) بوزن منبر.

مِنْ شَبَهٍ لأجْـلِ حِنّـا وَكَتَـمْ   مُدٌّ سَرِيرٌ وَفِـراشٌ مِـنْ أَدَمْ
بِحشوِ ليفٍ مِغسَلٌ مِنْ صُفـرِ   صاع بِهِ يعطـي زُكَـاةُ الفِطْـرِ

(متخذ من شبه) بفتحتين النحاس الأصفر كما في القاموس، اقتناه ﷺ (لأجل) جمع (حِنّا) بكسر الحاء وتشديد النون وبهمزة، وخففها الناظم للوزن، وهو معروف (وكتم) فيه وهو بفتحتين نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر، فيبقى لونه، وله (مدّ) مكيال يسع رطلاً وثلثاً عند الشافعي رضي الله عنه، ورطلين عند أبي حنيفة رضي الله عنه بالرطل العراقي، (وسريرٌ) لنحو نوم قوائمه من ساج، أهداه له سعد بن زرارة (وفراش من أَدَم) بفتحتين أي جلد ملتبساً (بحشو ليف) الحشو ما يجعل في الوسادة ونحوها، والليف بالكسر ليف النخـل، وهو معروف عندهم، والإضافة بيانية، كما يصرح به عبارة غيره: فراش من أدم حشوه ليف (وَمَغسل من صفر) في القاموس كالصحاح: ومغسل كمقعَد ومنزِل موضع اغتسال الميت انتهى. وفي القاموس أيضاً، ومغسل كمنبر ما يغسل به الشيء انتهى، فإن قرىء بفتح الميم فلا بد أن يراد مجرد موضع الغسل لا

بخصوص الميت، ويدل له عبارة القسطلاني وغيره: وله مغتسل من صفر، أو بكسرها فليجعل اسم آلة كمحلب أي آلة يجمع فيه الماء للغسل، ويومىء إليه عبارة العز بن جماعة: وله مِغسل من صفر ومُدْهَن (وصاع به يعطي زكاة الفطر).

تَوْرٌ حِجارٌ خاتِمٌ مِنْ فِضَّة　　خُفّانِ وَالمِنديلُ مَعْ قَطيفَه
في رِبْعَةٍ فَمِشطُ عاجٍ فكْحَلَة　　سِواكُ مِقَصٌّ مِرآةٌ كانَ لَهْ

وله (تور) بفتح التاء المثناة أي إناء (من حجارٍ) أي حجارة فحذف الهاء للوزن، يقال له المخضب يتوضأ منه، وكانت له قصعة تسمّى الغرّاء يحملها أربعة رجال، لها أربع حلق كما في المواهب وغيره، وركوة أي حوض تسمّى الصادرة، وقَعْبٌ أي قدح من خشب يسمّى السعة (وخاتم) متخذ (من فضة) فضّه منه، ونقشه: محمد رسول الله، وهو الذي يتختم به بعد النبي ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم، ثم سقط من عثمان في بئر أريس، ولم يقدر عليه (وخفّان) أهداهما له النجاشي فلبسهما ومسح عليهما، وكان له أربعة أزواج من الخفاف أيضاً، أصابها من خيبر، وكان له نعلان سبتيتان مخصوفتان ذواتا قبالين كما قاله ابن جماعة.

(والمونديل) بكسر الميم يمسح به وجهه من الوضوء (مع قطيفة) كساء له خمل كما في النهاية. وأمّا ما كان ﷺ يجعله (في ربعة) وهو بفتح الراء إناء مربّع مثل جؤنة العطّار، وصندوق المصاحف، أهداها له المقوقس مع ماريّة، ومن ثمة تسمّى الربعة [المربعة] الاسكندرانية (فمشط) بتثليث الميم (من عاج) في القاموس: العاج الذَّبْلُ وعظم الفيل انتهى، وأراد به الذبل، لأن العاج الذي هو عظم الفيل نجس عند الشافعي، وطاهر عند أبي حنيفة رضي الله عنهما، والذبل جلد السلحفاة البحرية، أو عظام ظهر دابة بحرية، يتخذ منها الأمشاط والأسورة

كما في القاموس (ومُكْحَلَة) بضم الميم ظرفاً للكحل، وكان يكتحل من إثمد فيها عند النوم ثلاثاً في كل عين، وفي رواية في اليمن ثلاث مرات وفي اليسرىٰ مرتين (وسواك) بترك التنوين (ومـرآة) ينظر فيها، وربما ينظر في الماء إذا لم تكن حاضرةً عنده (ومقصّ) بكسر الميم وهو المقراض كما في القاموس، وفيه كلام بينته في تلخيص درة الغوّاص في أوهام الخواص (وكان له) ما ذكر من المشط وما بعده كلها مجعولاً في الربعة إلى وقت الحاجة.

(صفته صلى الله عليه وسلم)[٦٨]

صِفَتُـهُ حَسْـبَ مَـا قَـدْ نُقِلاَ   كَانَ وَضِيئـاً رِبعَـةً مُعتَـدِلاَ

(صفته) أي محاسن ذاته الظاهرة التي جبله الله تعالىٰ عليها ولم تجتمع في مخلوق قط سواه (حسب) أي وفق (ما قد نُقلا) بالبناء للمجهول وألف الإطلاق أي نقله الأئمة الحفاظ في الأحاديث الصحيحة الشهيرة عن أكابر الصحابة كعليّ وأنس بن مالك وأبي هريرة والبراء بن عازب وابن عباس وجابر بن سمرة وعائشة وأم معبد وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين، منها أنه ﷺ:

(كان وضيئاً) فعيل من وضأ أي حسن وأشرق فهو بمعنىٰ رواية: كان أزهر اللون أي نيّره وحسنه (ربعةً) بفتح فسكون وقد تحرك لاهناً أي متوسطاً بين الطول والقصر، لكن إلى الطول أقرب كما في رواية البيهقي وغيره، وتأنيث الربعة باعتبار النفس ولذا استوىٰ فيه المذكر والمؤنث (معتدلاً) بدل منه بمعنى رواية ليس بالطويل ولا بالقصير، ورواية ليس بالطويل البائن المفرط ولا بالقصير المتردد أي المجتمع بعضه في بعض، هذا إذا مشىٰ وحده أو مع قصير،

---

(٦٨) ترى تخريج أحاديث صفته ﷺ في تعليقنا على المحاسن الغرر للمؤلف، ولذلك لم نتعرض لتخريجها هنا.

وإن مشىٰ مع طويل أياً كان غلبه في الطول، وروي أنه كان إذا جلس مجلساً يفوق بكتفه كل من [كان] في ذلك المجلس،ـوكان ﷺ كما رواه البخاري وغيره.

بَعيدَ ما بَينَ مَنْكِبَينِ ذٰا أَفلَـجْ باهٍ ضَلَيــعِ الفَــمِ أَشنَــبْ

(بَعيدَ) بفتح فكسر وقيل: بالتصغير وهو غريب بل في صحته نظر (بين مَنْكِبَيْنِ) أي ما بين المنكبين كما في روايات، ففيه حذف الموصول وهو كثير في الشعر، والمنكب مجمع عظم العضد والكتف والمعنى عريض أعلى الظهر وهو مستلزم لعرض الصدر، ومن ثم فسرّوه بعرض الصدر، وكان ﷺ أشعر المنكبين والذراعين وأعالي الصدر، عظيم الذراعين، رحب الراحة أي واسع الكف سائل الأطراف أي ممتد الأصابع في اعتدال، وكل ذلك يدل على كمال قوته، وكان موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عارِيَ الثديين والبطن مما سوى ذلك (ذا أفلج [فلج]) بفتحتين أي تفرق الأسنان، كما في رواية: أفلج الأسنان أي متفرقها، وفي رواية ابن عباس كان أفلج الثنيتين، إذا تكلم رُئِيَ كالنور يخرج من ثناياه وقوله (باه) اسم فاعل من بَهِي أو بَها نعت أفلج أي فلج واسع ظاهر أو حسن، احتراز عن فلج يشينه، ولا ينبغي عدّه وصفاً آخر له ﷺ بجعله بمعنىٰ واسع الفم من قولهم: بئر باهية أي واسعة الفم لأنه يأبىٰ عنه جرّه، إلاّ بتكلف ويغني عنه قوله: (ضليع الفم) كما رواه مسلم أي واسعه والعرب تمدح بواسع الفم [بسعة الفم] وتذم بصغره (أشنَبَ) أي ذا شَنَب الأسنان وهو رونقها وماؤها، وقيل: رقتها يعني أن أسنانه في غاية اللمعان كما في رواية عليّ: برّاق الثنايا (أزَجّ) أي ذا زجج، وهو دقة الحاجبين يعني هو مقوس الحاجبين مع كثرة شعرها ودقتها مع طول.

أَبْيَضُ لون مشرَّباً بحِمرةٍ لَمْ يَبْلُغَن في الشَّيبِ عِشري شَعْرَةٍ
شعرةُ يَبلُـغُ شحمَيْ أذنِـهِ كــالبَدرِ وَجـهُهُ وَفَــوقَ حُسْنِـهِ

(أبيض لون) بياضاً نيّراً (مشرباً) اسم مفعول بتخفيف الراء وتشديدها، وتعين الأول هنا للوزن أي مشوباً (بحمرة) وهو أحسن ألوان الدنيا. (واعلم) أن الأخبار كثرت وتعارض بعضها في بيان لونه الشريف، وجمع بحمل الأحاديث الدالة على كونه مشوباً بحمرة على الوجه والدالة على البياض الصافي على باقي البدن، ومن ثم قلت في منظومتي المسماة بنظم المحاسن:

تعارضت في لونه الأخبار   نحا لجمع معشر أخيار
أبيض وجه مشرب بحمرة   وغير وجه أبيض ذو شهرة

(لم يبلغن) ﷺ وهو مؤكد بالنون الخفيفة (في الشيب) أي فيما شاب من رأسه ولحيته (عشري) حذف نونه لإضافته إلى (شعرة) وإنما قلَّ شيبه ﷺ لأن النساء يكرهنه غالباً، ومن كره منه شيئاً كفر، ومن ثم صح عن أنس رضي الله عنه: ولم يشنه الله بالشيب[69]، وأما خبر: «الشيب وقار ونور[70]» فأجيب عنه بأنه وإن كان كذلك لكنه يشين عند النساء غالباً كما تقرر (شعره) ﷺ (يبلغ) أحياناً (شحمي) بحذف التاء أي شحمتي (أذنه) إذا طوّله، وأحياناً يبلغ إلى كتفه، وإذا قصّره فإلى أنصاف أذنيه (كالبدر وجهه وفوق حسنه) أي حسن وجهه أحسن من القمر ليلة البدر، وإنّما جرى التشبيه بالبدر على عادة العرب، وإلاّ فلا شيء يحاكي حسنه، روى الشيخان من حديث البراء قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً[71]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه:

ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تجري في وجهه رواه

(٦٩) رواه أحمد (٣/١٠٨ و١٧٨ و١٨٨ و٢٠١ و٢٥٤).

(٧٠) لم أره بهذا اللفظ.

(٧١) رواه البخاري (٣٥٤٩) ومسلم (٢٣٣٧).

الترمذي وغيره(٧٢). وقال الطيبي: شبه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه ويحتمل جعله من تناهي التشبيه فجعل وجهه مقراً للشمس.

أَسْهَلُ خَدٍّ واسِعُ الجَبِينِ   أَدعَجُ عَيْنَيْنِ أقنأ العِرنَينِ

(أسهَل خدٍّ) أي سهل الخدين بمعنى سائلهما من غير ارتفاع في وجنتيه، وذلك أحلىٰ عند العرب، وفي رواية البزار والبيهقي كان أسيل الخدّين وهو بمعنىٰ ما ذكر (واسع الجبين) أي واضحه، والجبين حرف الجبهة بين الصدغ متصلاً بحذاء الناصية، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها (أدعج عين) أي شديد سواد حدقة العينين كما في رواية: كان أسود الحدقة وكان أهدب الأشفار أي طويلها جمع شفر بالضم وهو شعر العين، جليل المشاش أي عظيم رؤوس العظام كالمرفقين والركبتين والمنكبين، حسن العنق كأنه جيد دمية في صفاء الفضة، كثّ اللحية بفتح الكاف أي غير دقيقها ولا طويلها مقرون الحاجبين من بعد وغير مقرنهما من قرب للناظر وبه يجمع اختلاف الروايات في ذلك ضخم اليدين لينهما عظيم الهامة أي الرأس إلى غير ذلك من صفاته ﷺ التي استوعبتها في نظم المحاسن (أقنأ العرنين) أقنىٰ صفة من القنا كالعصا وهو طول الأنف، ودقة أرنبته مع حدب في وسطه والعِرنين بكسر العين أعلى الأنف، وهو ما تحت مجمع الحاجبين، فهو بمعنى رواية: أقنى الأنف، وفسّر بالسائل المرتفع وسطه، وفي رواية ابن أبي هالة: أقنىٰ العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشمّ، والأشم الطويل قصبة الأنف، فعلم أن أقنىٰ غير مهموز، لكن الناظم قلب الألف همزةً إجراء للوصل مجرى الوقف على لغة ضعيفة تقلب كل ألف همزة في الوقف.

---

(٧٢) رواه أحمد (٣٥٠/٢ و٣٨٠) والترمذي (٣٦٥٠) وفي الشمائل (١٢٢) وأبو الشيخ (ص٢٤٨).

أجملُ خَلقٍ أكمَلُ المُروَةِ في كَتِفِهِ خاتِمُ النُّبُوةِ

ويجب على كل أحد اعتقاد: أنه ﷺ كان (أجمل خلق الله) تعالى في جميع أعضائه لأن حسن ظاهره دليل على كمال باطنه (أكمل المروة) أي الإنسانية وأصله المروءة بالهمزة، فقلبت واواً وأُدغمت (في) ما بين (كتفيه خاتم) علامة (النبوة) وتصريح بعض الروايات بكونه بين كتفيه تقريبي، وإلاّ فالصحيح كما قاله السهيلي: أنه كان عند أعلىٰ كتفه الأيسر، ووقع التصريح به في خبر مسلم[٧٣]. واختلفوا هل وُلد ﷺ به أو وضع بعد ولادته قولان، لكن في حديث أبي ذر عند البزار وغيره التصريح بأنه ﷺ: أتاه ملكان ببطحاء مكة فأمر أحدهما صاحبه بشق بطنه وإخراج قلبه وغسلها، ثم خاط بطنه وجعل الخاتم بين كتفيه[٧٤]، وعند أبي نعيم: أنه لما ولد أخرج الملك صرة من الحرير الأبيض فيها الخاتم فضرب على كتفيه كالبيضة[٧٥]، وأخرج الحاكم في المستدرك عن وهب بن منبه لم يبعث الله تعالىٰ نبياً إلاّ وعليه شامة النبوة في يده اليمنىٰ إلاّ نبينا فإن شامة نبينا بين كتفيه[٧٦]، وعلى هذا فوضع الخاتم بين كتفيه بإزاء قلبه من خصائصه ﷺ، واختلفت أقوال الرواة في بيان كيفيته.

الأول: مثل زرّ الحجلة، الثاني: جمع عليه خيلان كأنها الثآليل السود عند نغص أي أعلىٰ كتفه الأيسر أو الأيمن، والأول أشهر، الثالث: كبيضة الحمامة، الرابع: شعر مجتمع، الخامس: مثل السلعة، السادس: بضعة ناشزة، السابع: مثل البندقة، الثامن: كالتفاحة، التاسع: كأثر المحجمة القابضة على اللحم، العاشر:

---

(٧٣) رواه مسلم (٣٤٦) من حديث عبدالله بن سرجس.

(٧٤) رواه البزار (٢٣٧١ كشف الأستار) وفيه من هو متكلم فيه.

(٧٥) رواه أبو نعيم في دلائل النبوّة (٣٣٠) من حديث ابن عباس.

(٧٦) رواه الحاكم (٥٧٧/٢).

شامة خضراء مختضرة في اللحم، الحادي عشر: شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات كأنها عرف الفرس، الثاني عشر: ثلث شعرات مجتمعات، الثالث عشر: كبيضة حمام مكتوب بباطنها: الله وحده لا شريك له وبظاهرها: توجه حيث شئت فإنك منصور، الرابع عشر: كان نوراً يتلألأ، الخامس عشر: مثل البندقة مكتوب فيه [باللحم] محمد رسول الله، وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها كتينة صغيرة تضرب إلى الدهمة، قالت: فلمسته حينما توفي فوجدته قد رفع حكىٰ ما ذكر كله الحافظ مغلطاي وغيره، قال الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر في فتح الباري ورواية كأثر المحجم أو كشامة خضراء أو سوداء مكتوب فيها: محمد رسول الله، أو سر فإنك المنصور لم يثبت منها شيء، وتصحيح ابن حبان ذلك وهم منه ولا تغتر به انتهىٰ وأقرّوه[٧٧]، قال بعض الأئمة وليست هذه الروايات مختلفة حقيقة، بل كلّ شبّه بما سنح له عند رؤيته، وتلك الألفاظ كلّها مؤدّاها واحد، وهو قطعة لحم، ومن قال: شعر فلأن الشعر متراكب عليه كما في الروايات الأُخَر، وقال القرطبي: الأحاديث الواردة الثابتة تدل على أن خاتم النبوة كان شيئاً بارزاً أحمر عند كتفه الأيسر إذا قلّل جعل كبيضة الحمام وإذا كبّر جُعِلَ كجمع اليد، وقال القاضي عياض: رواية جمع الكف تخالف بيضة الحمام وزرّ الحجلة، فتأول على وفق الروايات الكثيرة أي كهيئة الجمع لكنه أصغر منه في قدر بيضة الحمام.

---

(٧٧) انظر فتح الباري (٥٦٣/٦) وروى ابن حبان (٢٠٩٧ موارد) من طريق إسحاق بن إبراهيم قاضي سمرقند عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عمر قال: كان خاتم النبوة في ظهر رسول الله ﷺ مثل البندقة من لحم عليه مكتوب محمد رسول الله.

قال الحافظ الهيثمي: اختلط على بعض الرواة خاتم النبوّة بالخاتم الذي كان يختم به الكتب..

قال الحافظ ابن حجر: البعض هو إسحاق فهو ضعيف.

قالت: وفيه أيضاً عنعنة ابن جريج وهو مدلس.

(خلقه وشيمه صلى الله عليه وسلم)

(اعلم) أن الخلق بضمتين وبسكون اللام خصّ استعماله بالأفعال السجية والقوىٰ المدركة بالبصيرة كالحلم والكرم وغيرهما وبالفتح مع سكون اللام خصّ استعماله بالهيئات والصور المبصرة، وإن كانا في الأصل بمعنى واحد قاله الراغب. ثم الذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة أنّ أصول الأخلاق جبلية لا دخل للإنسان فيها، وزيادتها للكسب دخل فيها، فمن ثمة أمر بالمجاهدة والرياضة لتكميلها وعرّفوا حسن الخلق بأنه ملكة يسهل على صاحبها فعل الجميل وتجنّب القبيح، ولمّا اجتمع فيها ﷺ من خصال الكمال ما لا يحصره حدّ أثنىٰ الله عزّ وجلّ في كتابه الكريم عليه بقوله: [وإنك لعلىٰ خلق عظيم] وفي الموطأ بلاغاً [بعثت لأتمم مكارم الأخلاق][76] فكل خلق حميد اندرج في خلقه ﷺ.

كَـانَ النَّبيُّ خُلُقُـهُ القُـرآنُ   فَهـوَ لِمَـا يُغْضِبُـهُ غَضبـانُ
وَهُوَ لِمَا يرضَاهُ راضٍ وَهُوَ لَمْ   يَكُنْ لأجـلِ نَفسِـهِ بِمُنْتَقِـمِ

ومن ثمة قالت عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن أخلاقه ﷺ: (كان النبي خلقه القرآن)[77] قال السهروردي رحمه الله تعالىٰ في عوارفه: وفي قولها إيماء خفيّ ورمز [غامض] إلى الأخلاق الربانية، فاحتشمت [من] الحضرة الإلٰهية

(٧٦م) رواه متصلاً أحمد (٣٩٨/٢) والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣) وابن سعد (١٩٢/١) والحاكم (٦١٣/٢) وتمام في الفوائد ٢٧٦) والقضاعي في مسند الشهاب (١١٦٥) وابن عساكر (١/٢٦٧/٦) وهو حديث صحيح والبزار (٢٤٧٠ كشف الأستار).

(٧٧م) رواه أحمد (٥٣/٦ - ٥٤ و٩١ و٩٤ - ٩٥ و١١١ و١٦٣ و١٨٨ و٢١٦) ومسلم (٧٤٦) وأبو داود (١٣٤٢) وغيرهم.

أن تقول: كان متخلقاً بأخلاق الله تعالىٰ فعبرت عن المعنىٰ بقولها: كان خلقه القرآن، استحياءً [من سبحات الجلال] وستراً للحال بطيب [بلطف] المقال، وهذا من وفور عقلها [علمها] وكمال أدبها انتهىٰ(٧٨).

وقال بعض العارفين: لما خلقه الله أعظم خلق بعثه إلى جميع العالمين، وعلم من كلام عائشة رضي الله عنها: أن كمالات خلقه لا تتناهىٰ كما أن معاني القرآن لا تتناهى، وأن التعرض لحصر جزئياتها غير مقدور للبشر، كما ذكره بعض المحققين (فهو) ﷺ (لما يغضبه) أي يغضب القرآن من أغضبه ضد أرضاه (غضبان) خبر هو أي كان يغضب على ما يغضب عليه القرآن من مخالفة أمر الله تعالىٰ (وهو) ﷺ أيضاً (لما يرضاه) أي يرضا القرآن به من أوامر الله تعالى عزّ وجلّ (راض، وهو لم يكن لأجل نفسه بمنتقم) ولفظ الحديث: كان خلقه القرآن، يغضب لغضبه ويرضىٰ لرضاه، ولا ينتقم لنفسه ولا يغضب لها إلاّ أن تنتهك حرمات الله فينتقم لله، وإذا غضب لم يقم لغضبه أحد».

روىٰ البخاري أن أعرابياً جذبه ﷺ حتىٰ أثرت حاشية البرد في عنقه الشريف من شدة جذبته، فقال: يا محمد مُر لي من مال الله الذي عندك فضحك، ثم أمر له بعطاء(٧٩) وفي رواية أبي داود: ثم أمر له بحمل بعير تمراً أو بعير شعيراً. وروىٰ الترمذي عن عائشة رضي الله عنها: لم يكن النبي ﷺ فحّاشاً ولا متفحشاً ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح(٨٠)، ولا ينافي ما ذكر أنه لم ينتقم لنفسه، أمره ﷺ كما سبق بقتل عقبة بن أبي معيط وعبدالله بن خطل وغيرهما ممن كان يؤذيه ﷺ لأنهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله فأيس من إيمانهم.

---

(٧٨) عوارف المعارف (ص١٨٦).

(٧٩) رواه البخاري (٣١٤٩ و٥٨٠٩ و٦٠٨٨) ومسلم (١٠٥٧) ولم أره عند أبي داود.

(٨٠) رواه الترمذي في الجامع (٢٠١٧) والشمائل (٣٤٦) وأبو داود الطيالسي (٢٤٢٣) وأحمد (١٧٤/٦ و٢٣٦ و٢٤٦).

وَأشجَعُ الوَرىٰ وَأجـودُ الـمَلاٰ   مٰـا قالَ لا قطُّ لِشَـيءٍ سُئِـلاٰ

وكان ﷺ (أشجع الورىٰ) أي الخلق (وأجود الملا) بقلب الهمزة ألفاً وهو في الأصل الجماعة من الأشراف وأراد به جميع الخلق، وصح عن أنس: كان ﷺ: أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس وإن أهل المدينة فزعوا ليلةً فخرجوا فرأوه ﷺ راجعاً من جهة الصوت متقلداً سيفه على فرس لأبي طلحة فقال لهم: «لن تراعوا ما رأينا من بأس»[٨١] وصارع ﷺ أبطالاً معروفين بأنهم لا يصرعون فصرعهم وغلبهم، ومن باهر شجاعته ثباته يوم حنين كما سبق، وصح أنّ الصحابة قالوا: كنا إذا احمرّ البأس اتقينا برسول الله ﷺ أي جعلناه بيننا وبين العدو وقمنا خلفه نحتمي به[٨٢] (ما قال) ﷺ (لا) أي لا أعطي مثلاً (قط لشيء سُئِلا) مجهول ألفه للإطلاق أي رسول الله ﷺ إياه، لكونه أجود الخلق، وصحّ عن جابر رضي الله عنه: ما سئل رسول الله عن شيء قط فقال: لا[٨٣] أي لا ينطق بالردّ، بل إن كان عنده المسؤول ولم ير حفظه لما هو أهمّ أعطاه، وإلاّ سكت كما في حديث مرسل، ولا ينافي هذا قوله تعالىٰ: ﴿قلتَ لا أجد ما أحملكم عليه﴾ الآية، إذ لا يقولها منعاً للعطاء بل اعتذاراً حيث لا ينفع السكوت لنحو جهل السائل، وصحّ عن أنس رضي الله عنه: ما سئل ﷺ شيئاً إلاّ أعطاه، فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى [يخاف] الفقر[٨٤]، وأعطى ﷺ صفوان بن أمية يوم حنين حين أسلم مائة من الغنم [النعم]، ثم مائة، ثم

(٨١) رواه البخاري (٢٩٠٨ و٦٠٣٣) ومسلم (٢٣٠٧) وابن ماجه (٢٧٧٢) وألفاظهم قريبة من هذا اللفظ.

(٨٢) رواه أحمد (٦٥٤ و١٠٤٢ و١٣٤٦) من حديث علي بألفاظ مختلفة.

(٨٣) رواه البخاري (٦٠٣٤) ومسلم (٢٣١١) وغيرهما.

(٨٤) رواه مسلم (٢٣١٢) وغيره.

مائة، وقوّموا ما أعطىٰ يوم حنين فكان خمسمائة ألف ألف، وغير ذلك مما هو مشهور في الأحاديث ولهذا الجود الواسع الذي ما سمع لأحد مثله.

ولم يبت في بيته من درهم ‏ ‏ ‏ وكيف وهو منه أصل الكرم
لم يدخر شيئاً سوىٰ لأهله ‏ ‏ ‏ أيسر ما يوجده من سهله

(لم يبت) أي لم يدرك الليل ولم يمكث عنده (في بيته من) زائدة لتأكيد النفي (درهم) ولا دينار، فإن فضل شيء ولم يجد من يأخذه وفجأه الليل لم يرجع إلى منزله حتىٰ يبرىء منه إلى من يحتاج إليه (وكيف) يبيت في بيته ذلك (وهو منه أصل الكرم) وغيره تبع له (لم يدخر) أصله لم يذتخر بالذال المعجمة، والإدّخار هو الإتخاذ والإقتناء أي لم يأخذ ولم يختر (شيئاً) مما آتاه الله تعالىٰ (سوىٰ) قوت عام (لأهله) فقد كان ﷺ يدّخر قوت عياله سنةً كما في الصحيحين[٨٥] حال كون ما ادّخره لأهله (أيسر ما يجده من سهله) بيان ما يجده أي مما كان سهلاً تحصيله عنده، فيكون ما أخذه أسهل من كل سهل.

تمراً شعيراً ثم منه يُؤثِر ‏ ‏ ‏ فَرُبَّما احتاجَ لِمَا يَدَّخِرُ
وَأصدقُ الناسِ وَأوفىٰ ذِمّةً ‏ ‏ ‏ أهنىٰ عريكةً وأعلىٰ هِمّةً

وقوله: (تمراً شعيراً) بدل أو بيان، أو حال من أيسر بإسقاط العاطف أي تمراً وشعيراً ويفرق غير ذلك في سبيل الله (ثم منه) أي مما ادخره لقوت أهله (يؤثر) غير أهله فيعطيهم منه إذا سألوه لأنه كان لا يردّ السائل [سائلاً]، (فربّما احتاج) قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء (لما يُدَّخَرُ) بالبناء للمجهول أي

---

(٨٥) رواه البخاري (٥٣٥٨) ومسلم (١٧٥٧).

احتاج إلى ما يدّخر للإنفاق منه، والأولىٰ حذفه، وعبارة ابن سيد الناس كالغزالي في الإحياء: لا يأخذ مما آتاه الله تعالىٰ إلا قوت أهله عاماً فقط من أيسر ما يجده من التمر والشعير، ثم يؤثر من قوت أهله حتىٰ ربما احتاج قبل انقضاء العام انتهت(٨٦).

(و) كان ﷺ (أصدق الناس) لهجةً أي لساناً، وكان يسمى قبل نبوته الأمين (و أوفىٰ ذمّةً) أي أتم عهداً، وعن عبدالله بن أبي الحماء قال: بايعت النبي ﷺ ببيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه فقال: يا فتىٰ لقد شققت عليَّ أنا هٰهنا منذ ثلاث أنتظرك(٨٧) (أهنىٰ) أي ألينهم وأسهلهم (عريكةً) أي طبيعةً وأكرمهم عشيرةً، وأوسعهم صدراً، وأحسنهم خلقاً، والأخبار بذلك مشهورة (وأعلىٰ) الناس (همةً) بكسر الهاء وقد تفتح يعني ما هِمَّ به الشخص، وكان يهم بمعالي الأمور التي يقصر عن أدناها غيره كما قال حسّان:

له هِمَمٌ لا منتهىٰ لكبارها ... وهمته الصغرىٰ أجل من الدهر

أَجَلُّهُمْ أَشَدُّهُمْ حَيَاءَ ... أَخْشَعُهُمْ أَعظَمُهُمْ غَناء
أعفهم أشدهم إكراماً ... لصحبه يَبدؤُهم سَلاما
لم يتقدمْ ركبتاه أحدا ... في مجلس ومن يغب تفقدا

وكان ﷺ (أجلّهم أشدّهم حياءاً) وأكثرهم عن العورات إغضاءاً وتغافلاً عن أبي سعيد الخدري كان رسول الله ﷺ: أشد حياءاً من العذراء في خدرها(٨٨) أي في سترها وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه (أخشعهم) لله

---

(٨٦) انظر إحياء علوم الدين (١/٢٩٥).
(٨٧) رواه أبو داود (٤٩٩٦).
(٨٨) رواه أحمد (٣/٧١ و٧٩ و٨٨ و٩١ و٩٢) وعبد بن حميد (٩٧٧) والبخاري (٣٥٦٢ و٦١٠٢ و٦١١٩) ومسلم (٢٣٢٠).

تعالىٰ وهو ظاهر (وأعظمهم غَناءاً) بالفتح والمدّ ضد الفقر كالغنىٰ بالكسر والقصر، وكان أغنىٰ الناس بقلبه، واحتياجه في بعض الأحيان كان باختياره ولو شاء لسارت الجبال معه ذهباً، وكان ﷺ (أعفّهم) ظاهراً وباطناً (وأشدهم إكراماً لصحبه يبدؤهم سلاماً) وعن أنس رضي الله عنه: ما التقم أحدٌ أذن رسول الله ﷺ فينحّيَ رأسه حتّىٰ يكون الرجل هو الذي ينحّي رأسه، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر[89]. ولم ير مقدّماً ركبتيه بين يدي جليس له[90] وكان يبدأ من لقيه بالسلام، ويبدأ أصحابه بالمصافحة، ولم يُرَ قطّ ماداً رجليه بين أصحابه حتّىٰ يضيّق بهما على أحد، ويكرم من يدخل عليه، وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته، ويعزم عليه في الجلوس عليها، ويكني أصحابه، ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمةً لهم، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بانتهاء أو قيام، ومن ثَمّ قال: (لم يتقدم ركبتاه أحداً في مجلس) بل كان لا يخرج شيئاً من أطرفه في المجلس (ومَن يَغِب) عنه مدة من صحبه (تفقّدا) أي سأل عنه.

يعود من مرض من غاب دعا — له ومن مات عليه استرجعا
ومن يكن ظن أنه وجد — في نفسه شيئاً لبيته يفد
ويبسط ويستضيف إن يضف — يكرم أهل الفضل مع أهل الشرف

(يعود) ﷺ (مَن مرض) من الأصحاب (ومن غاب دعا له) برجوعه سالماً وغير ذلك (ومن مات عليه) حال مقدم أي (استرجعا) وقال: إنّا لله وإنا إليه راجعون متأسفاً عليه (ومن يكون) زائدة (ظن) ﷺ وخاف منه (أنه)

(٨٩) رواه أبو داود من حديث أنس (٤٧٩٤) بلفظ قريب من هذا،

(٩٠) انظر الحديث (٢٤٩٢) من جامع الترمذي.

أي ذلك الشخص (وَجَد) (في نفسه شيئاً) مما يُهمُّه (لبيته) أي إلى بيته متعلق بقوله (يَفِد) أي ينطلق إليه حتىٰ يأتيه في منزله، من وفد عليه يَفِدُ أي قدم عليه وورد (ويبسط) أي يباسط بجميل كلامه في منزله، حتىٰ يذهب همّه، وكان ﷺ يخرج إلى بساتين أصحابه (ويستضيف) أي يقبل ضيافتهم ويأكل منها (إن يُضف) بالبناء للمفعول من أضافه إذا أنزله ضيفاً أي أن يعمل له الضيافة (يكرم أهل الفضل مع أهل الشرف) ويؤلفهم ولا ينفّرهم، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم.

وليس يطوي بشره من أحد — يجي جميلاً مَن يجيء بالردي
يقولُ لاٰ تَمشوا ورائي وَاجعلوا — ظَهري لِلأملاكِ أي تَستَقبِلُ
وإن يكن يركب لاَ يَدع من — يكون ماش معه أو يحملن

(وليس يطوي) أي يصرف (بشره) بكسر الباء أي طلاقة وجهه وحسن خلقه (عن أحد) ولا يجفو عليه ويقبل معذرة المعتذر إليه والقوي وضده سواء عنده في الحق، ومع هذا كان من شدة حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد (يجي) بالقصر للوزن (جميلاً) أي به ويعطيه (مَن) (يجيء بالردّىٰ) بتخفيف الياء، وكان يمشي خلف أصحابه ولا يدع أحداً يمشي خلفه (ويقول: لا تمشوا ورائي واجعلوا ظهري للأملاك أي تستقبل) الملائكة ظهره (وإن يكن) أي النبي ﷺ (يركب) دابةً (لا يَدَعْ مَن) أي شخصاً (يكون ماشٍ) ولم يقل ماشياً للوزن كما في قوله: «ولو أن واشٍ باليمامة داره» حيث لم يقل واشياً (معه) ﷺ (أو) بمعنى إلاّ أو إلى أن وقوله (يحملن) مؤكد بالنون الخفيفة أي شاذاً للضرورة إذ لا مقتضي لدخوله كما عرف في محله، أي لا يترك إلى أن يحمله.

فإن أبىٰ قالَ تَقدَمْني إلىٰ — مكان ما تريده حتّى أصِلا

يُخدِمُ مَن خَدَمَهْ لا يَعتلي على العبيدِ والإما في مَأكَلِ
أمره في الشاة إذْ صَحَ الخَبَر في جُمْعِهِ الحَطَبَ وهُوَ في السَّفر

(فإن أبىٰ) عن الركوب معه تأدباً قال: (تَقَدَّمني إلىٰ مكان ما) أي موضع (تريد) (حتىٰ أصلا) إليه، وكان ﷺ (يخدم مَن خَدَمَه) وفي مختصر ابن سيد الناس قال أنس رضي الله عنه: خدمته لنحو [نحوا] من عشر سنين فوالله ما صحبته في حضر ولا سفر لأخدمه إلا كانت خدمته لي أكثر من خدمتي له وفي الشفاء قال أنس: خدمت رسول الله عشر سنين فما قال: أُفٍّ قط، وما قال لشيء صنعتُه لم صنعتَه؟ ولا لشيء تركتُه لِمَ تركتَه؟ (٩١) وعن أبي قتادة: وَفَد وَفْدٌ للنجاشي فقام النبي ﷺ يخدمهم فقال له أصحابه: نكفيك يا رسول الله، فقال: إنّهم كانوا لأصحابنا مكرِمين وإني أحبّ أن أكافئهم (لا يعتلي) ولا يتكبر (علىٰ العبيد والإما) بالكسر والقصر للوزن جمع أمة (في مأكل) أي في الأكل معهم وقال إنما أنا عبد آكل كما يأكل عبد وأجلس كما يجلس عبد وذلك لكونه أشدّ الناس تواضعاً، والأحاديث بذلك شهيرة، وقالت عائشة رضي الله عنها: ما كان أحدٌ أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلاّ قال: لبيك ذكره في الشفاء، (وأمره) أي حاله وشأنه ﷺ مشهور خارق للعادة في التواضع (في) قصة ذبح (الشاة إذ صح الخبر في جمعه) بدل من في الشاة أو متعلق بصحّ (الحطب) مفعول جمعه (وهو) ﷺ إذ ذاك كان (في السفر) رُوي أنه ﷺ كان في سفر فأمر بإصلاح شاة فقال رجل يا رسول الله: عليّ ذبحها، وقال آخر: عليّ سلخها وقال آخر: عليّ طبخها، فقال ﷺ: عليّ جمع الحطب، فقالوا: يا رسول الله نحن نكفيك، فقال: قد علمت أنكم تكفوني، ولكني أكره أن أتميز عليكم، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه، فقام وجمع الحطب.

(٩١) رواه البخاري (٦٠٣٨) ومسلم (٢٣٠٩) وأبو داود (٤٤٨٤).

كذاكَ حيث للصلاةِ نَـزَلا ثُمّ أتـى نـاقتـه ليعقـلا
وَكَـان لاَ يَجلِـسُ أو يقـومُ إلاَّ علىٰ ذكـر وَذا مَعلـومُ
وَكانَ حيثُ مَا انتهىٰ إلى نَفَر يَجلِسُ حَيثُ مَا انتهىٰ به المقَر
وكان يُعطي كُلَّ شَخص جالَسَه نَصيبَه بـاللّطـفِ والمؤانَسة

(كذاك) في السفر وقع له نظير ذلك (حيث للصلاة) متعلق بقوله (نزلا) (ثم أتىٰ) وكرّ راجعاً (ناقته ليعقلا) أي ليعقلها، قالوا نحن نعقلها يا رسول الله، قال: لا يستعن أحدكم بالناس ولو في قضمة سواك (وكان لا يجلس أو لا يقوم) وأو فيه بمعنى الواو (إلاّ علىٰ ذكر لله) تعالىٰ لأنه لكماله لا تشغله دنياه عن ربّه (وذا معلوم) ظاهر للصحابة وغيرهم، لأنه كان يذكر الله في كل أحيانه كما في الأحاديث (وكان) ﷺ من فرط تواضعه وحسن معاشرته مع أصحابه (حيث ما) زائدة (انتهىٰ) ووصل (إلى نفر) أي جماعة جلسوا، (يجلس) ﷺ مختلطاً بهم (حيث ما) زائدة أي في مكان (انتهىٰ) (به المقر) أي المجلس فلم يكن يُعرَف مجلسه من مجلس أصحابه (وكان يعطي كل شخص جالسه) أي من المجالسة (نصيبه) مفعول يعطي من حقوق المعاشرة حال كونه ملتبساً (باللطف) والشفقة (والمؤانسة) بالمواجهة إليه وفي حديث ابن أبي هالة: ويعطي كل جلسائه نصيبه، لا يحسب جليسه أنّ أحداً أكرم عليه منه، من جالسه لحاجة صابره، حتىٰ يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجةً لم يردّه إلاّ بها، أو بميسور من القول، قد وسع الناس بسطه وخلقه، فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء.

وكان لا يقوّم أن يقعدَ أحَـد إليـه حتى ينهـض الذي قعَـدَ
وإن طرا أمر لديـه استـأذنـا وفي أُمـورِهِ يـرى التَيـامُنـا
وعنـد خلعـه اليَسـار أوّلاً جلـوسـه أكثرهُ مُستقبلا
وكـان لا يقـابلـن أحـدا بما لـه يكـره وقتـاً أبـدا

(وكان لا يقوّم) ﷺ (أن يقعد أحد إليه حتىٰ ينهض) يقوم (الذي قعد) إليه (وإن طرا) أي عرض واستعجله ﷺ (أمْرٌ لديه) في حال جلوسه معه (استأذنا) ﷺ ذلك الجالس (و) كان (في أموره) ﷺ من تنعله وترجّله وطهوره وشأنه كله (يرىٰ) ويحب (التيامنا) أي الابتداء باليمين (وعند خلعه) ﷺ لنحو ثوب ونعل يرى (اليسار أوّلاً) (جلوسه أكثره) بدل منه إذا كان ﷺ (مستقبلاً) فيه القبلة، وكان في جلوسه أكثره محتبياً بثوب، وربما جلس القرفصاء، دائم السكوت يعرض عمن تكلم بغير جميل، كثير الذكر، ويستغفر في المجلس الواحد أكثر من مائة مرة، يسمعون ذلك منه، وكان مجلسه مجلس علم وحياء، لا ترفع فيه الأصوات، وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، وكل ذلك معلوم من الأحاديث (وكان) ﷺ (لا يقابلن) بالنون المؤكدة (أحداً بما له) اللام زائدة لتقوية العمل وهو متعلق بقوله: (يكره وقتاً أبداً) تأكيد، وذلك لشدة حيائه وكرم نفسه، وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان عنده رجل به أثر صفرة قال: وكان ﷺ لا يكاد يواجه أحداً بشيء يكرهه، فلما قام قال للقوم: «لو قلتم له يدع هذه الصفرة» أي يغسلها كما في رواية رواه الترمذي(٩٢)، وفي حديث عائشة رضي الله عنها: ما ضرب رسول الله ﷺ خادماً ولا امرأةً(٩٣).

ولم يكـــن محتقـــراً فقيرا ... لِفَقْـــرِهِ وإن يَكُـــنْ صَغِيراً
وَلَـم يعظـم ذاغنىً لـمُلكـه ... وَلا يَهـاب مَلِكـاً لِملكــه
وَلَم يَعِبْ شَيْئاً مِنَ الطعـامِ ... وَيبسُطُ الضيوفَ بـالإكـرامِ

---

(٩٢) رواه الترمذي في الشمائل (٣٤٥) وأبو داود (٤١٨٢ و٤٧٨٩) وأحمد (٣/١٣٣ و١٥٤ و١٦٠).

(٩٣) رواه الترمذي في الشمائل (٣٤٧) وابن ماجه (١٩٨٤).

(ولم يكن محتقراً فقيراً لفقره) وإنما احتقره لارتكاب منهي (وإن يكن) ذلك الفقير (صغيراً) (ولم يعظم ذا غنىً لملكه) (ولا يهاب) ولا يخاف (ملكاً) حاكماً أيّاً كان (لملكه) بضم الميم أي سلطنته وعظمته وفيما قبله بتثليث الميم بمعنى الشيء الذي يملكه ويقدر علىٰ التصرف فيه، والمراد أنه ﷺ لم يفرق في الدعوة بين الغني وغيره والملك وغيره، فكان في غاية تواضعه، يجالس المساكين ويؤاكلهم، ويرفع الأصوات عنده فيصبر، ويرىٰ اللعب المباح ولا ينكره، ما لم يكن محرّماً أو مكروهاً، وكان يعظم النعمة وإن قلّت، ولم يذم منها شيئاً (ولم يعب شيئاً من الطعام) قط إن اشتهاه أكله وإلاّ تركه (ويبسط الضيوف بالإكرام) ويكرم كل داخل عليه بالقيام له، حتىٰ ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع، فيعزم عليه على الجلوس عليه وما كان يأتيه أحد ذو حاجة من حرّ أو عبد أو أمة إلاّ قام معه في حاجته حتىٰ يقضيها كما في الأحاديث.

ويحفظ الجيران بالإنعام	وأكثر الناس من ابتسام
ولم يكن يمضي إليهم ساعة	في غير ما لله فيه طاعة
ولم يخير بين أمرين معاً	إلا ويختر الأخف الأطوعا

(ويحفظ الجيران) لاسيما الأقارب (بالإنعام) إليهم وكان ﷺ و(أكثر الناس من ابتسام) أي أكثرهم تبسماً فمن زائدة في التمييز قال جرير بن عبدالله: ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسّم(٩٤). وقال عبدالله بن الحارث: ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ(٩٥). وفي

(٩٤) رواه البخاري (٣٠٣٥ و٣٨٢٢ و٦٠٩٠) ومسلم (٢٤٧٥) وغيرهما.

(٩٥) رواه الترمذي (٣٦٤٥) وفي الشمائل (٢٢٧).

الشفاء: روي أنه كان لا يجلس إليه أحدٌ وهو يصلي إلاّ خفّف صلاته، وسأله عن حاجته، فإذا فرغ عاد إلى صلاته، وكان أكثر الناس تبسماً وأطيبهم نفساً (ولم يكن يمضي إليهم ساعةً في غير ما) أي عمل (لله) متعلق بطاعة (فيه) أي في ذلك العمل (طاعة) وذلك لعصمته من تسلط الشيطان عليه (ولم يخيّر بين أمرين معاً إلاّ) وكان ﷺ (يختار الأخفّ) الأيسر (الأطوعَ) لله تعالىٰ، وإن كان فيه إثم أو قطيعة رحم، كان أبعد الناس إليه كما في حديث الترمذي[٩٦]، وذلك لكمال تواضعه ورأفته بأمته، وقد خُيِّرَ بين أن يكون نبياً ملكاً وبين أن يكون نبياً عبداً فاختار العبودية تواضعاً لله تعالىٰ[٩٧]، ولما كذبه أهل الطائف وأغروا سفهاءهم ليخرجوه من بينهم أتاه جبريل فقال: إن الله قد سمع قول قومك، وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداه ملك الجبال، وسلم عليه، وقال مرني بما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين أي هما جبلان بمكة، فقال ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»[٩٨]. وعن عائشة رضي الله عنها والحسن وأبي سعيد الخدري وغيرهم في صفته ﷺ، وبعضهم يزيد في حديثه على بعض: كان ﷺ في بيته في مهنة أهله يغلي ثوبه ويحلب شاته.

يرقع ثوبه ويخصف نعله — ويركب الفرس ثم بغله
كذا الحمار ووراء يُردِفُ — لِصدره من البكاء يسمع

(يرقع ثوبه ويخصف) بسكون الفاء للوزن أي يخرز (نعله) ويخدم نفسه

---

(٩٦) رواه البخاري (٣٥٦٠ هو ٦١٢٦ و٦٧٨٦ و٦٨٥٣) ومسلم (٢٣٢٧) وأبو داود (٤٧٨٥) والترمذي في الشمائل (٣٤٨).
(٩٧) رواه أحمد (٧١٦٠) والبزار (٢٤٦٢ كشف الأستار) وأبو يعلى.
(٩٨) رواه البخاري (٣٢٣١ و٧٣٨٩) ومسلم (١٧٩٥).

ويَقِمُّ البيت أي يكنسه، ويعقل البعير ويعلق ناضحه، ويأكل مع الخادم، ويعجن معه، ويحمل بضاعته من السوق إلىٰ أهله، قال الغزالي رحمه الله عالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله ﷺ يعالج في بيته، ثم ذكر هذه وغيرها، ثم قال: فمن طلب التواضع فليقتد به فقد كان سيد المتواضعين وأعظم خلق الله، فلا رفعة لأحد إلاّ إن كان مقتدياً به، ومن رأىٰ في نفسه الإستنكاف من فعل هذه الأمور ولم يرض لنفسه بما رضي به فما أكثر جهله! وليتب إلى الله عزّ وجلّ(٩٩) (ويركب الفرس) أحياناً (ثم) يركب (البغله كذا) ويركب (الحمار) أحياناً وأمّا ركوبه الجمل فأكثر من أن يحصىٰ، ومن ثَمَّ سمي في الكتب السالفة براكب الجمل (و) (وراءَ) أي خلفه (يردف) من الإرداف على الدابة سواء كان ذلك المردَف (عبداً) أم (صبياً) أم (غيره لا يأنف) أي لا يستنكف من فعل ذلك، (لصدره) أي من صدره ﷺ متعلق بيسمع (من البكاء) حياءاً من ربه أو خوفاً من هلاك أمته (يسمع لدىٰ صلاته) وعند قراءة القرآن (أزيز) كأزيز المرجل بزائين معجمتين وهو غليان ليس بالشديد، مصدر أَزَّ القِدر يئزّ أزيزاً كما في القاموس (يقطع) مجهول أي يقطع ذلك الأزيز في غير نحو الصلاة.

يصوم الإثنين مع الخميس مع — بيض وعاشورا وغالب الجمع
تنام عيناه وعين قلبه — يقظة ينظر وحي ربّه
ينفخ إن نام ولا يغط — ولم ينم جميع ليل قط
بل قائم حتىٰ تورم القدم — لكن كل الليل لم يكن يقم

(يصوم الإثنين مع الخميس مَعْ) أيام (بيض) وكذا أيام سود (و) يوم (عاشورا) بالقصر للوزن وهو عاشر المحرم وكذا يوم عرفة (و) مع (غالب

---

(٩٩) إحياء علوم الدين (٣/٤٤١ ـ ٤٤٢).

الجمع) وكان أكثر صيامه في شعبان، وقد صام غير ذلك كما هو مبين في كتب الحديث والفقه.

(خصائصه صلى الله عليه وسلم)

ومن خصائصه ﷺ: أنّه (تنام عينه وعين قلبه يقظة)[١٠٠] بكسر القاف (ينظر) بقلبه (وحيَ ربّه) وأمّا نومه في الوادي حتىٰ فاتته وأصحابه صلاة الصبح فإنما هو للتشريع (ينفخ) بضم الفاء والنفخ ريح تخرج من الفم بلا ريق (إن نام) ﷺ (ولا يغطّ) بكسر الغين المعجمة والغطيط الصوت الذي يخرج مع نفس النائم وهو ترديده حيث لا يجد مساغاً كما في النهاية[١٠١] وفي مختصر ابن سيد الناس: وإذا نام نفخ ولا يغطّ وتبعه الناظم، لكن في البخاري وغيره: أنه ﷺ نام حتىٰ سمع غطيطه[١٠٢] فلعل ما ذكره الناظم غالبيّ (ولم ينم جميع الليل قطّ) بتشديد الطاء أو ضمها (بل هو قائم) بعبادة ربّه ومناجاته (حتى تورّم القدم) (لكنّ كلّ) أجزاء (الليل لم يكن يقم) غالباً ومن ثمة كره لغيره قيام كل الليل إلاّ ليالي مخصوصة كليالي العيدين[١٠٣]، وإلاّ لنحو عارف يلتذّ بمناجاة مولاه عزّ وجلّ.

ولم يكن للصدقات يَـأكُـلُ ... أمّا الهديـةُ فكـان يقبَـلُ
لكِـن يُكـافي رَبَّهـا عَلَيهـا ... مع عـدم احتيـاجٍ إليهـا

---

(١٠٠) رواه البخاري (٣٥٦٩) من حديث عائشة و(٣٥٧٠) من حديث أنس. وورد عن غيرهما.

(١٠١) النهاية (٣/٣٧٢).

(١٠٢) رواه البخاري (١١٧).

(١٠٣) لم يصح في قيام ليالي العيدين شيء.

(ولم يكن للصدقات) فرضاً أو تطوعاً (يأكل) لتحريمها عليه وأمّا غيره من بني هاشم والمطلب فلا تحرم عليه إلاّ صدقة الفرض كالزكاة على الأصح (أمّا الهدية) بالنصب (فكان) ﷺ (يقبل) أي يقبلها (لكن يكافي) أي يجازي (ربّها) صاحب الهدية (عليها) أي على الهدية (مع عدم احتياج إليها) والفرق بين الصدقة والهدية أنّ الأولى يقصد بها التوسعة على المتصدق عليه والثانية يقصد بها تعظيم المهدىٰ إليه.

فائدة مهمة: قال ابن حجر في أشرف الوسائل شرح الشمائل: يسنّ التأسّي به ﷺ في قبول الهدية والإثابة عليها، لكن محل ندب القبول حيث لا شبهة قوية فيها، وندبِ الإثابةِ حيث لم يظن المهدىٰ إليه أن المهدِي إنما أهدىٰ له حياءً لا في مقابل، أمّا إذا ظنّ أن الباعث على الإهداء إنما هو الحياء قال الغزالي: كمن يقدم من سفر ويفرّق هداياه خوفاً من العار فلا يجوز القبول إجماعاً، لأنه لا يحل مال امرىءٍ مسلم إلاّ عن طيب نفس ولأنه مكره في الباطن، فهو كالمكره في الظاهر، وأمّا إذا ظنّ أن الباعث عليه إنّما هو الإثابة فلا يجوز القبول إلاّ أن أثابه بقدر ما في ظنّه مما تدل عليه قرائن حاله، وإنما أطلت في ذلك لأن أكثر الناس يستهترون فيه فيقبلون الهدية من غير بحث عنها انتهىٰ.

وكان يعَصِبُ عَلى البَطنِ الحَجَـر   جُـوعـاً لِيَقتَـدي بِفِعْلِـهِ البَشَـر

(وكان) ﷺ (يعصب) بكسر الصاد أي يربط (على البطن) أي بطنه الشريف (الحجر) المعروف (جوعاً) أي لتسكين ألم الجوع فإن المعدة إذا امتلأت بالطعام اشتغلت حرارتها الغريزية به، وإذا خلت من الطعام تطلبت رطوبات الجسم وجواهره فيتألم الإنسان بها، فإذا ضمت على المعدة الأحشاء والجلد بربط الحجر عليها قلّت حرارتها لبرودة الحجر، وإنما اختار ﷺ الجوع مع أنه لو شاء لسارت معه جبال الذهب كما يأتي (ليقتدي) بسكون الياء للوزن

(بفعله البشر) لأن الجوع رأس الحكمة وليعلم أصحابه أنه لم يمسك عنده ما يستأثر به عليهم، وليذوق ألم الجوع كسائر الآلام الجسمية حيازةً للثواب وعظيم الأجر،

روىٰ ابن أبي الدنيا أصاب النبي ﷺ جوع يوماً فعمد إلى حجر فوضعه على بطنه، ثم قال: «ألا ربّ نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة، ألا ربّ نفس مكرم لها وهو لها مهين، ألا رُبَّ مُهين لنفسه وهو لها مكرم»[(١٠٤)].

وعن أنس بن أبي طلحة رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع ﷺ عن بطنه عن حجرين رواه الترمذي[(١٠٥)].

وفي الحديث الصحيح عن جابر يوم الخندق فقام رسول الله ﷺ وبطنه معصوب بحجر الحديث.[(١٠٦)]

تنبيه:

أنكر ابن حبّان: أحاديث وضع الحجر على بطنه، وحكم ببطلانها تمسكاً بما في الصحيحين: إنه ﷺ قال: لا تواصلوا، قالوا: إنّك تواصل، قال: لست كأحدكم إني أُطعَمُ وأُسقىٰ. وفي رواية: إني أظلّ عند ربّي يطعمني ويسقيني، قال: فإذا كان الله عزّ وجلّ يطعم رسول الله [رسوله] ويسقيه إذا واصل، فكيف يحتاج إلى شدّ الحجر علىٰ بطنه، قال: وإنما الذي في الأحاديث هو الحجز بالزاء المعجمة وهو طرف الإزار انتهى[(١٠٧)]. وردّ بأن الحق صحة تلك

(١٠٤) ورواه أيضاً ابن سعد في الطبقات (٤٢٣/٧) وهو حديث ضعيف.

(١٠٥) رواه الترمذي في الجامع (٢٤٧٦) وفي الشمائل (٣٧٠) لكن له شاهدان ذكرهما شيخنا في السلسلة الصحيحة (١٥١/٤ - ١٥٢) فهو بهما صحيح.

(١٠٦) رواه البخاري (٤١٠١).

(١٠٧) انظر فتح الباري (٢٠٨/٤).

الأحاديث، والجمع بأن ما ذكر محمول على حالة الوصال والجوع وربط الحجر على غير حالة المواصلة. قلت: ويمكن أن يكون المراد من قوله: إني أطعم وأُسقىٰ، إني أُعطىٰ قوة الطاعم والشارب ولا ينقصها ألم الجوع خرقاً للعادة، ويؤيده ما في المواهب وغيره: أنه ﷺ مع تألّمه بالجوع لتضعيف الأجر حُفِظَ قوته ونضارة جسمه حتىٰ إن من رآه لا يظن أن به جوعاً، بل جسمه الشريف يرىٰ أشدّ نضارةً من أجسام المترفهين بالنعم، ولا يشكل أيضاً على ما مرّ من ربط الحجر على بطنه جوعاً أحاديث: أنه ﷺ كان يدخر لأهله قوت عام، وأنه قسم بين أربعة من أصحابه ألف بعير مما أفاء الله عليه، وأنا أمر لأعرابي بقطيع من الغنم وغير ذلك، وأنه كان في أصحابه من أرباب الأموال من يبذل نفسه وماله بين يديه، لأن كل ذلك كان في حالة دون حالة، ولأن الجوع كان باختياره تارةً للإيثار، وتارة لكراهية الشبع حكاه في فتح الباري عن الطبري، ولأن ادخار القوت كان أواخر حياته ﷺ كما قاله النووي في شرح مسلم، لكن ربما تعرض عليه حاجة المحتاجين فيصرفه فيها حتى لم يبق عندهم شيء ولم يجدوا ما يشبعهم.

هٰذا وَقَدْ جاءت لَـهُ مفَـاتِـحُ   خَزائِنُ الأَرضِ وَذاكَ واضِـحُ

(هذا) أي فعل ﷺ ما ذكر (و) الحال أنه (قد جاءت له مفاتح خزائن) كنوز (الأرض) فأباها لعظم همته الشريفة ونفسه الزكية (وذاك واضح) أي معروف في الأحاديث:

أخرج الترمذي عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «عرض ربي عليّ ليجعل بطحاء مكة ذهباً، قلت: لا يا رب ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً، فإذا جُعتُ تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك»[١٠٨].

(١٠٨) رواه أحمد (٥/٢٥٤) والترمذي (٢٤٥٢) والطبراني في الكبير (٧٨٣٥) وسنده ضعيف.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ ذات يوم وجبرائيل على الصفا فقال ﷺ: يا جبرائيل والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد سفّة من دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هُدّة من السماء أفزعته، فقال ﷺ أمر الله القيامة أن تقوم، قال لا، ولكن أمر اسرافيل فنزل إليك حين سمع كلامك، فأتاه إسرافيل فقال: إن الله سمع ما ذكرت فبعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض، وأمرني أن أعرض عليك أسيّر معك جبال تهامة زمرّداً وياقوتاً وذهباً وفضة، فإن شئت نبياً مَلِكاً وإن شئت نبّياً عبداً فأومأ إليه جبرائيل أن تواضع، فقال: بل نبياً عبداً ثلاثاً رواه الطبراني بإسناد حسن (١٠٩) فانظر إلى همته العليا كيف اختار العبودية المحضة، وكيف اختار الضيق على التبسط الذي لا يلام عليه لو فعله، وفي شمائل الترمذي عن النعمان بن بشير: لقد رأيت نبيكم ما يجد من الدقل ما يملأ بطنه (١١٠) وفي رواية مسلم يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه (١١).

وقالت عائشة رضي الله عنها: إن كنا آل محمد نمكث شهراً ما نستوقد ناراً إن هو إلاّ الماء والتمر (١١٢) وقالت أيضاً: لقد مات ﷺ وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين رواه مسلم (١١٣)، وقالت أيضاً خرج ﷺ من الدنيا ولم يملأ بطنه في يوم من الطعامين [طعامين] كان إذا شبع من التمر لم يشبع من الشعير وإذا شبع من الشعير لم يشبع من التمر أخرجه ابن سعد (١١٤).

---

(١٠٩) رواه الطبراني في الأوسط قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١٥/١٠) وفيه سعدان بن الوليد ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(١١٠) رواه الترمذي في الجامع (٢٩٧٧) وفي الشمائل (٣٦٨) وأحمد (٢٦٨/٤).

(١١١) رواه مسلم (٢٩٧٧).

(١١٢) رواه أحمد (٢٤٤/٦) والبخاري (٢٥٦٧ و ٦٤٥٨) ومسلم (٢٩٧٢) وغيرهم.

(١١٣) رواه مسلم (٢٩٧٠).

(١١٤) رواه ابن سعد (٤٠٦/١).

وفي الصحيحين: ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام تباعاً حتى قبض[١١٥] وفي حديث الترمذي وصححه: كان ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً هو وأهله « يجدون عشاءً وإنما كان خبزهم [من] الشعير[١١٦].

واعلم أنه ورد في بعض الأحاديث أنه ﷺ لم يشبع، ففي الشفاء وغيره قالت عائشة لم يمتلأ جوف النبي ﷺ شبعاً قطّ، وفي حديث الترمذي عن عبدالرحمن ابن عوف: مات ﷺ ولم يشبع هو ولا أهل بيته من خبز الشعير[١١٧] وفي بعضها: أنه شبع كما في بعض الأحاديث المارة، وفي صحيح مسلم في حديث الأنصاري: فلما أن شبعوا ورووا[١١٨] أي النبي وصاحباه أبو بكر وعمر، قال النووي: في الحديث جواز الشبع، وما جاء في كراهته محمول على المداومة عليه[١١٩] وقال غيره: الأولى أن يحمل الشبع المنفي على الشبع المفرط الذي يثقل المعدة ويثبّط صاحبه عن القيام بوظائف العبادة، ويفضي إلى النوم والكسل، وقد تنتهي الكراهية إلى التحريم بحسب ما يترتب عليه من المفاسد، وليس المراد نفي الشبع النسبي المعتاد في الجملة انتهى.

وأكَلَ الدَّجاجَ والحُبارى   والخبزَ بالخَلِّ وَقَد أشارى

(وَأكَلَ) ﷺ (الدجاج) بفتح الدال على الأفصح، ويجوز ضمها وكسرها وفي حديث الترمذي قال أبو موسى الأشعري: رأيت رسول الله ﷺ يأكل لحم الدجاج[١٢٠] (والحُبارى) صوّب غير الجوهري: أنّ ألفها للتأنيث لعدم

(١١٥) رواه البخاري (٦٤٥٤) ومسلم (٢٩٧٠).
(١١٦) رواه الترمذي في الجامع (٢٣٦١) وفي الشمائل (١٤٤).
(١١٧) رواه الترمذي في الشمائل (٣٧٦) وسنده ضعيف.
(١١٨) رواه مسلم (٢٠٣٨).
(١١٩) شرح النووي على صحيح مسلم (٢١٤/١٣).
(١٢٠) رواه الترمذي في الجامع (١٨٢٧) وفي الشمائل (١٥٣) ورواه البخاري (٣١٣٣) وفي =

انصرافها معرفة ونكرة، وهو طائر معروف كبير العنق رمادي اللون شديد الطيران جداً، روىٰ أكله الترمذي أيضاً[121] وروى الشيخان: أنه أكل لحم حمار الوحش ولحم الجمل سفراً وحضراً ولحم الأرنب، وروى مسلم أنه أكل من دواب البحر وأكل لحم الضأن أيضاً كما في المواهب وغيره، وأكل اللحم يزيد سبعين قوة قاله الزهري.

وعن عليّ كرم الله وجهه: أنه يصفي اللون ويحسّن الخلق، ومن تركه أربعين ليلة ساء خلقه. وقال الشافعي رضي الله عنه: إن أكله يزيد في العقل، وفي الإحياء وغيره أحب الطعام إليه ﷺ اللّحم، ويقول: هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة[122] (و) أكل (الخبز بالخلّ) زاد في الإحياء والبطيخ والسكر[123] لكن قال القسطلاني وتبعه ابن حجر، ولم يصح أنه رأىٰ السكر فضلاً عن أكله (وقد أشارا) ﷺ إلى مدح الاقتصاد في المأكل والرضىٰ باليسير ما يوجد وإلى أن الخلّ إدام فاضل جيد.

في قوله نعم الإدامُ الخَلّ وبِالأصابِعِ الثلاثِ الأكل

(في قوله) كما رواه الترمذي (نعم الإدام) بكسر الهمزة وهو ما يؤكل مع الخبز مائعاً أو غيره، وفي رواية: نعم الأُدْمُ بضم فسكون وهو بمعناه (الخلّ) مخصوص بالمدح، لأنه سهل الحصول قامع للصفراء نافع لأكثر الأبدان، ثم الثناء عليه بذلك إنما هو بحسب مقتضى الحال الحاضر، لا لتفضيله على غيره خلافاً لمن ظنه لأن سبب الحديث: أن أهله كما في مسلم قدموا له ﷺ خبزاً فقال: ما من

= أماكن أخرى كثيرة ومسلم (١٦٤٩).

(١٢١) رواه الترمذي في الجامع (١٨٣٠) وفي الشمائل (١٥٤) وأبو داود (٣٧٩٧) وسنده ضعيف.

(١٢٢) انظر إحياء علوم الدين (٤٧٢/٢).

(١٢٣) انظر الإحياء (٤٧١/٢) وتخريج الحافظ العراقي.

أدم؟، فقال: ما عندنا إلاّ خل، فقال: «نعم الأدم الخلّ»[١٢٤] جبراً وتطيباً لقلب من قدمه إليه تفضيلاً له على غيره، إذ لو حضر نحو لحم أو عسل أو لبن لكان أحقّ بالمدح منه، وعلم من قوله: من أدم أن أكل الخبز مع الإدام من أسباب حفظ الصحة بخلاف الاقتصار على أحدهما، ومن ثم ورد: «ائتدموا ولو بالماء»[١٢٥] (وبالأصابع الثلاث) الإبهام والسبابة والوسطى، ورد في حديث الترمذي وغيره (الأكل) أي أكله ﷺ، ومحله إن كثف الطعام وإلا كما في المائع زاد بقدر الحاجة وعلى المائع يحمل ما في حديث مرسل أنه ﷺ كان إذا أكل أكل بخمس، وإنّما اقتصر ﷺ على الثلاث لأنه الأنفع، إذ الأكل بإصبع أكل المتكبرين ولا يستلذّ به الآكل، وبالخمس يوجب ازدحام الطعام على مجراه، فربما أوجب الموت لانسداد المجرى.

وفي شمائل الترمذي: كان ﷺ إذا أكل لعق أصابعه الثلاث وفي حديث الطبراني في الأوسط. رأيت رسول الله ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث بالإبهام والتي تليها والوسطى ثم رأيته يلعق أصابعه الثلاث قبل أن يمسحها، الوسطى ثم التي تليها ثم الإبهام[١٢٧]، وفيه بيان الأصابع وكيفية لعقها وفيه كرواية مسلم: أمر بلعق الأصابع، الردّ على من كره لعقها استقذاراً ممن ينسب للرياسة والترفه، وقال بعض الأئمة: والكلام فيمن استقذر ذلك من حيث هو لامع النسبة [نسبته] للنبي ﷺ، وإلاّ خشي عليه الكفر إذ من استقذر شيئاً من أحواله مع

(١٢٤) رواه مسلم (٢٠٥٢) وانظر تخريجنا لمسند الشهاب (١٣١٩).

(١٢٥) رواه الطبراني في الأوسط (١٥٩٥) قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥/٥) وفيه غزيل بن سنان ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(١٢٦) رواه الترمذي في الشمائل (١٣٧) وفي الجامع (١٨٠٤) ومسلم (٢٠٣٤) وأبو داود (٣٨٤٥) من حديث أنس.

(١٢٧) رواه الطبراني في الأوسط (١٦٧٠) قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٨/٥) وفيه الحسين بن إبراهيم الأذني ومحمد بن كعب بن عجرة ولم أعرفهما، وبقية رجاله ثقات. والحديث عن كعب بن عجرة.

علمه بنسبته إليه ﷺ كفر، ويسنّ لعق الإناء لخبر ابن ماجه وابن شاهين والدارمي وغيرهم(١٢٨): «من أكل في قصعة ثم لحسها استغفرت له القصعة» قال الترمذي: حديث غريب. وروى أبو الشيخ: «من أكل ما يسقط من الخوان أو القصعة أمن من الفقر والبرص والجذام، وصرف عن ولده الحمق» والديلمي: «من أكل ما يسقط من المائدة خرج ولده صباح الوجه ونفي عنه الفقر»(١٢٩).

وأكل البطيخ والقِثّاء برُطَبٍ واتّبعَ الدُّبَّاءَ

(وأكل) ﷺ (البطيخ) بكسر الموحدة وتشديد الطاء هو الأصفر (والقثاء) بكسر القاف وضمها وتشديد الثاء المثلثة نوع من الخيار أكل كلاً منهما (برطب) كما قاله [رواه] الترمذي وغيره.

وعن عائشة رضي الله عنها: أنه ﷺ أكل البطيخ والرطب جميعاً، وفي الطب لأبي نعيم من حديث أنس: كان ﷺ يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره فيأكل الرطب بالبطيخ، وكان أحب الفاكهة إليه وسنده ضعيف(١٣٠). قال الزين العراقي لم يبين الترمذي: كيفية أكل البطيخ بالرطب، هل تقارنا؟ أو أكل من هذا لقمة ومن هذا لقمة؟ وقد ورد التصريح بالثاني في خبر انتهى يريد خبر الطبراني في الأوسط عن عبدالله بن جعفر قال: رأيت في يمين النبي ﷺ قثّاءً وفي شماله رطباً وهو يأكل من ذا مرةً ومن ذا مرةً وفي سنده ضعف(١٣١).

وأشار ﷺ إلى علة أكل القثّاء بالرطب في الخبر الصحيح بقوله: «نكسر

---

(١٢٨) رواه أحمد (٧٦/٥) والترمذي (١٨٠٥) وابن ماجه (٣٢٧١ و٣٢٧٢) والدارمي (٢٠٣٣) وسنده ضعيف.

(١٢٩) راجع كشف الخفاء (٢٣٠/٢).

(١٣٠) حديث أكل البطيخ بالرطب رواه الترمذي (١٨٤٤) وأبو داود (٣٨٣٦) من حديث عائشة، وحديث أكل القثاء بالرطب رواه البخاري (٥٤٤٧ و٥٤٤٩) ومسلم (٢٠٤٣) والترمذي (١٨٤٥) وغيرهم.

(١٣١) لأن في إسناده أحرم بن حوشب وهو متروك.

حرّ هذا ببرد هذا »(١٣٢) أي لأن القثّاء باردة والرطب حارّ، فإذا جمع بينهما حصل الإعتدال وفي الحديث: أنه ﷺ كان مراعياً في أكله صفات الأغذية [الأطعمة] وطبائعها واستعمالها على قاعدة الطب، وفيه أيضاً حلّ أكلهما من غير كراهة، وحل الجمع بين إدامين وأكثر، وأنّ ذلك لا ينافي الكمال والزهد، سيما إن كان لغرض دينيّ، وكراهة بعض السلف له ينبغي حمله على ما فيه سرف أو تكبر أو تكلف في تحصيله كذا في أشرف الوسائل إلى شرح الشمائل (واتّبع) بتشديد التاء والموحدة أصله تتبع بمعنى تطلّب، أدغم التاء الأولىٰ في الثانية، ثم زيد فيه همزة الوصل كاطّهر في تطهّر، أي وتطلّب ﷺ لأكل (الدبّاء) بتشديد الدال والباء وبالمدّ علىٰ الأشهر، وهو اليقطين، يعني أنه كان يأكله ويحبّه، وإنما أحبّ لما فيه من الرطوبة المعتدلة، ولأنه يزيد العقل، ولأنه تعالىٰ خصّصه بالإنبات علىٰ أخيه ﷺ يونس عليه السلام حتىٰ وقاه وتربّىٰ فيه، وما ذلك إلاّ لسرّ أودعه الله تعالىٰ فيه،

روىٰ الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن خيّاطاً دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه، قال: فذهبت معه ﷺ إلى ذلك الطعام، فقرّب إلى رسول الله ﷺ خبزاً من شعير ومرقاً فيه دبّاء وقديد، قال أنس: فرأيت رسول الله ﷺ يتتبع الدبّاء حوالي القصعة فلم أزل أحب الدبّاء من يومئذ (١٣٣).

قال النووي وغيره: يسن محبة الدبّاء لمحبته ﷺ له وكذا كل شيء كان يحبه (١٣٤).

تنبيه: ضبط النساخ اتبع في النظم من الإتباع من باب الإفعال معروفاً،

---

(١٣٢) رواه أبو داود (٣٨٣٦) وفي الأصول « يكسر حر هذا برد هذا » وما أثبتناه هو عند أبي داود.

(١٣٣) رواه البخاري (٢٥٩٢ و٥٣٧٩ و٥٤٢٠ و٥٤٣٣ و٥٤٣٥ و٥٤٣٦ و٥٤٣٧ و٥٤٣٩) ومسلم (٢٠٤١).

(١٣٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٣/٢٢٤).

ولا يظهر له معنى لطيف، ولو قرىء مجهولاً لكان أسهل، وظني: أنه سهو من النساخ، والحق ما قررناه في ضبطه حتى يظهر معناه ويوافق لفظ الحديث، وكذلك فعلنا بكثير من مواضع هذا الكتاب، إذ لا اعتماد على ضبط النساخ، وقد صرّح الأئمة بجواز التصرف لعالم لا يخفى عليه الساقط لعلمه بالقواعد.

تنبيه ثانٍ: في المواهب وغيره: كان ﷺ يأكل من فواكه بلده عند مجيئها ولا يحتمي عنها، وهذا من أعظم أسباب الصحة، فإن الله تعالى بباهر حكمته جعل في كل بلد من الفاكهة ما ينتفع به أهلها في وقته، لحفظ صحتهم واستغنائهم به عن كثير من الأدوية.

وَكانَ لِلْحلَوىٰ يُحِبُ وَالعَسَل كَذا ذِراعَ الشاةِ حَتَّى قَدْ أكَلَ

(وكان) ﷺ (للحلوى) بفتح الحاء وبالقصر فتكتب بالألف كما في فتح الباري، وبالمد والقصر كما في القاموس، واللام الجارة زائدة لتقوية العمل (يحب) كما في البخاري (والعسل) أيضاً (١٣٥)

واعلم أن الحلو أكل ما فيه حلاوة، فذكر العسل تخصيص بعد تعميم، وقال الخطابي: يختص الحلوى بما دخلته الصنعة. وقال ابن سيده هو: ما عولج من الطعام بحلوٍ، وقد تطلق على الفاكهة، وفي كتاب فقه اللغة للثعالبي: إنّ حلواه ﷺ التي [كان] يحبها هو المجيع بالجيم بوزن أمير، وهو تمر يعجن بلبن، قال الأئمة: دل الحديث على أن محبته أنواع الأطعمة اللذيذة النفيسة لا تنافي الزهد، لكن من غير تكلف لتحصيلها، ولا محذور في محبته ﷺ للملاذّ بالطبع، لأنه

---

(١٣٥) رواه أحمد (٥٩/٦) والبخاري (٥٢٦٨ و٥٦١٤ و٥٦٧٢و٥٦٨٢) ومسلم (١٤٧٤) وأبو داود (٣٧١٥) والترمذي في الشمائل (١٦٢) وابن ماجه (٣٣٢٣) وابن سعد (٣٩١/١) والدارمي (٢٠٨١) وأبو الشيخ (ص٢١٩) وتمام في الفوائد (٤٥٣) والبغوي في شرح السنة (٢٨٦٥).

من كمال الخلقة، وإنما المحذور التفات النفس وتكلفها في تحصيلها، وتأثرها لفقدها، ومن ثم قال الخطابي: لم تكن محبته ﷺ للحلوىٰ على معنى كثرة التشهي لها وشدة نزاع النفس إليها، وإنما كان ينال منها إذا أحضرت إليه نيلاً صالحاً، فيعلم بذلك أنها تعجبه.

ثم اعلم أنه لم يكن من عادته الكريمة حبس نفسه الشريفة على نوع من الأغذية، فإن ذلك مضر بالطبيعة، ولو أنه أفضل الأغذية كان ﷺ يأكل ما جرت به عادة بلده بأكله من اللحم والفاكهة والخبز والتمر وغير ذلك ذكره القسطلاني وغيره (كذا ذراعَ) بالنصب (الشاة) مفعول له أي لحبه لها (قد أكل) وكان ﷺ يعجبه الذراع كما في رواية الترمذي وغيره[١٣٦]. وروىٰ الترمذي أيضاً: أطيب اللحم لحم الظهر[١٣٧]، ولا تنافي بينهما لجواز أن تعجبه الذراع لخفتها على المعدة وسرعة انهضامها، وليس بأحب وأطيب إليه، ويدل عليه قول عائشة رضي الله عنها: ما كان الذراع أحب إليه، وكان يعجل إليها لأنها أعجل نضجاً رواه الترمذي[١٣٨]. وكان ﷺ ينتهش اللحم أي يقبض عليه بفمه ويزيله من العظم أو غيره، وربما احتزه بالسكين كما في البخاري[١٣٩]، وأكل ﷺ لحم الرقبة كما في حديث ضباعة بنت الزبير[١٤٠]، وكذا أكل الشّواء بكسر الشين وضمها مع المدّ هو اللحم المشوي كما رواه الترمذي[١٤١]، وكذا

---

(١٣٦) رواه الترمذي في الشمائل (١٦٧) وأبو داود (٣٧٨١).

(١٣٧) رواه الترمذي في الشمائل (١٧٠) وابن ماجه (٢٣٠٨) وسنده ضعيف لجهالة شيخ من فهم.

(١٣٨) رواه الترمذي في الجامع (١٨٣٩) وفي الشمائل (١٦٩) وهو ضعيف ومخالف للصحيح من أنه كان أحب اللحم إليه الذراع.

(١٣٩) رواه البخاري (٢٠٨ و٦٧٥ و٢٩٢٣ و٥٤٠٨ و٥٤٢٢ و٥٤٦٢) من حديث عمرو بن أمية.

(١٤٠) رواه أحمد (٦/٣٦٠ - ٣٦١) والطبراني في الكبير: (ج٢٤ رقم٨٤٤).

(١٤١) رواه الترمذي في الشمائل (١٦٤) وابن ماجه (٣٣١١) من حديث عبدالله بن الحارث. =

القديد كما في حديث في السنن عن رجل قال: ذبحت لرسول الله ﷺ شاةً ونحن مسافرون، فقال: أصلح لحمها فلم أزل أُطعمه منه إلى المدينة.

وَالتَّمرِ بِالزُّبْدِ وَيَشْرَبُ اللَّبَـن أَحَبّ لُبْسِـهِ حُبَيراتُ اليَمَـن

(و) أكل ﷺ (التمر بالزبد) بضم فسكون هو زبد اللبن [١٤٢]، وأمّا الزبد بفتحتين فهو زبد الماء وغيره (ويشرب اللبن) ويقول: «ليس شيء يقوم مقام الطعام والشراب غيره» [١٤٣] فتارةً يشربه خالصاً، وتارة مشوباً بالماء البارد، وكان ﷺ يستعذب له الماء أي يطلب له الماء الحلو كما في حديث أبي داود [١٤٤]، وقال ابن بطال: واستعذاب الماء لا ينافي الزهد ولا يدخل في الترفه المذموم، فإن شرب الماء الحلو وطلبه مباح قد فعله الصالحون، وليس في شرب المالح فضيلة، وكان ﷺ يشرب العسل الممزوج بالماء البارد لأن فيه من حفظ الصحة، ما لا يهتدي لمعرفته إلاّ أفاضل الأطباء، لأن شرب العسل ولعقه على الريق يزيل البلغم ويغسل خمل المعدة ويجلو لزوجتها ويدفع عنها الفضلات، والماء البارد رطب يقمع الحرارة ويحفظ البدن، وقالت عائشة رضي الله عنها: أحب الشراب إليه ﷺ الماء البارد رواه الترمذي [١٤٥].

قال القسطلاني: ويحتمل أن تريد به الماء الممزوج بالعسل، والذي نقع فيه التمر والزبيب وكان ينبذ له ﷺ أول الليل ويشربه إذا أصبح يومه والليلة التي

= ورواه الترمذي (١٨٣٠) وفي الشمائل (١٦٣) وغيرهما من حديث أم سلمة.

(١٤٢) انظر هديه ﷺ في الأكل زاد المعاد (١/١٤٧ - ١٥٠).

وحديث الزبد والتمر رواه أبو داود (٣٨٣٧) وابن ماجه (٣٣٣٤).

(١٤٣) رواه الترمذي في الشمائل (٢٠٤).

(١٤٤) رواه أبو داود (٣٧٣٥).

(١٤٥) رواه الترمذي (١٨٩٧) وفي الشمائل (٢٠٣) ولكن بلفظ الحلو البارد.

تجيء والغَدَ إلى العصر، فإن بقي منه شيء سقاه الخادم، أو أمر فَصُبَّ رواه مسلم[146]. وهذا النبيذ هو ماء يطرح فيه تمر يحليه، وله نفع عظيم في زيادة القوة، وإنما لم يشرب بعد ثلاث خوفاً من تغييره إلى الإسكار، وكان يشرب قاعداً كما رواه مسلم[147] وفي رواية له: نهى عن الشرب قائماً[148]، وورد أنه شرب قائماً أيضاً وحملوه على بيان الجواز، وكان يأكل الزيت ويدهن به[149].

روى الترمذي مرفوعاً: «ثلاثة لا تردّ اللبن والوسادة والدهن»[150]

وأنشد بعضهم:

قد كان من سيرة خير الورى ... صلى عليه الله طول الزمن
أن لا يرد الطيب والمسكا ... واللحم أيضاً يا أخي واللبن

(لبسه صلى الله عليه وسلم)

(أحب لبسه) بكسر اللام أي ثيابه أو بضمها مصدر بمعنى المفعول (حُبِرات اليمن) جمع حُبيرة تصغير حِبَرة بكسر ففتح ثياب من كتان أو قطن من برود اليمن فيها حمرة وبياض رواه الترمذي[151].

قال ابن حجر: وفي الحديث حل لبس الحِبرة بل ندبه وإن كان مخططاً، نعم لبسه في الصلاة مكروه.

(١٤٦) رواه مسلم (٢٠٠٤).

(١٤٧) لم أره بهذا اللفظ عند مسلم، وإنما روى الترمذي (١٨٨٤) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رأيت رسول الله شرب قائماً وقاعداً.

(١٤٨) رواه مسلم (٢٠٢٥) من حديث أبي سعيد الخدري بهذا اللفظ.

(١٤٩) لم أره بهذا اللفظ بل روى الترمذي (١٨٥٢ و١٨٥٣) الأمر بذلك.

(١٥٠) رواه الترمذي (٢٧٩١) وفي الشمائل (٢١٧).

(١٥١) رواه الترمذي (١٧٨٨) وفي الشمائل (٦٠) ورواه البخاري (٥٨١٢ و٥٨١٣) ومسلم (٢٠٧٩) وأبو داود (٤٠٦٠) وغيرهم.

وَلَبسَ الكِتَّانَ ثُـمَّ الصّـوفَـا أحيانَهُ وَانتَعَلَ الـمَخْصـوفَـا

(ولبس الكتان ثم الصوفا) بألف الإطلاق (أحيانه) أي في بعض أوقاته، وكان ﷺ يلبس ما تيّسر عليه ولا يضيق على نفسه بطلب النفيس، ولا بالاقتصار على صنف بعينه (وانتعل المخصوفا) أي لبس النعل المخصوفة أي المطبقة، من خصف نعله أي وضع طاقاً فوق طاق، والخصف في الأصل الضم والجمع كما في النهاية فيستفاد منه: أن لكل واحدة من نعليه ﷺ طاقين أو أكثر، وعن عمرو بن حريث: رأيت رسول الله ﷺ يصلي في نعلين مخصوفتين رواه الترمذي[152]. ولم يقل الناظم المخصوفة مع أن النعل مؤنثة لضرورة الشعر كما في قوله: ولا أرض أبقل أبقالها، حيث لم يقل أبقلت.

فإن قلت: قد علم من قوله السابق: ويخصف نعله أنه ﷺ لبس المخصوفة فما فائدة التكرار؟، قلت: المقصود بالذات هناك الإخبار بأنه كان يخرز النعل ويهيئوها بنفسه،ويباشر ذلك تواضعاً، والمقصود هنا الإخبار بلبسها تواضعاً أيضاً.

فإن قلت: أي تواضع في ذلك مع أن الإنتعال من شعارهم حتى لملوكهم؟ قلت: إنّ العرب تمدح برقة النعال وكونها من طاق واحد كما قال بعضهم، ويجعلون ذلك [من] لباس الملوك، فتواضع ﷺ بلبس المخصوفة ذات الطاقين أو أكثر مخالفةً لملوكهم، ولكونها أدفع للأذىٰ.

قال أبو بكر بن العربي: النعل لباس الأنبياء، وإنما اتخذ الناس غيرها لما في أرضهم من الطين وقال المناوي: ربما مشىٰ ﷺ حافياً بلا نعل لاسيما إلى العبادات تواضعاً وطلباً لمزيد الأجر، كما أشار إلى ذلك الحافظ العراقي في ألفيته بقوله:

---

(١٥٢) رواه الترمذي في الشمائل (٧٨).

يمشي بلا نعـــل ولا خـــف إلى عيـادة المريـض حـــولـــه الملا

وقد تعرض الحافظ المذكور في نظمه لبيان مقدار نعله الشريفة وضبط هيئتها فقال:

ونعلـــه الكـــريمة المصـــونـــة طـــوبـــى لمن مسّ بها جبينـــه
لهـــا قبـــالان بســـير وهما سبتيـــان سبتـــوا شعـــرهما
وطـــولها شبر وإصبعـــان وعـــرضها مما يلي الكعبـــان
سبـع أصـابـع وبطـــن القـــدم خمس وفـوق ذا فِستٌّ فـاعلم
ورأسها محدد وعـــرض مـــا بين القبـالين إصبعـان اضبطها

انتهى.

قال القسطلاني: وقد ذكر ابن عساكر وغيره تمثالها في جزء مفرد، وقد ذكروا من خواصها وبركاتها ما يضيق المحل عن ذكره، ومما جرب من بركات تمثال نعله الشريفة: أنه أمان لحامله من البغاة، وحرز من عين الحساد، ويسهل على المرأة ولادتها إذا حملتها.

وقال القرطبي في مدحها:

ونعـل خضعنـا هيبـةً لبهـائهـا وإنّا متى نخضع لها أبـداً نعلـوا
وضعها على أعلى المفـارق إنّهـا حقيقتهـا تـاج وصـورتها نعـل

إلى أن قال:

شفـاء لـذي سقـم رجـاء البـائس أمان لذي خوف كذا يجب الفضـل

أحَـبُّ ثَـوْبٍ عِنْـدَهُ القَميــصُ وَالبيضُ وَالخُضْرُ هُمَا مَخصـوصُ

(أحب ثوب عنده القميص) كما رواه الترمذي[153] لأنه أستر للبدن من

(١٥٣) رواه الترمذي (١٧٦٢) وفي الشمائل (٥٢) وأبو داود (٤٠٢٥).

الإزار والرداء، فهو أحب لبساً إليه ﷺ، والحبرة أحب إليه كما سبق رداءً، فلا تنافي بين الحديثين كما قال بعض المحققين، أو يقال: كانت أحب إليه لوصفها وهيئتها، والقميص أحب إليه لنظافته، أو تلك أحب المخيط وهذا أحب غيره، وأخرج الدمياطي: كان قميصه ﷺ قطناً قصير الطول والكمين، وفي القاموس: لا يكون القميص إلا من القطن وأمّا من الصوف فلا، وبه يعلم أن ما أحبه ﷺ هو المتخذ من القطن لا الصوف، لأنه يؤذي البدن ويدرّ العَرَق ويتأذى برائحته (والبيض) بكسر الباء جمع أبيض (والخُضْر) بضم فسكون جمع أخضر (هما) أي البيض والخضر مبتدأتان خبره (خصوص) ثيابه التي تعجبه، وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره.

ويَلْبَسُ الخَاتَمَ يُمنىٰ الخِنصِرِ ... وَرُبَّمَا لَبِسَهُ في الأَيْسَرِ
وَرُبَّمَا رَبَطَ فيهِ خَيطا ... لأَجَلِ ذِكرِ حاجَةٍ تَعنيهِ
كَانَ يُحِبُّ الطِّيبَ وَالنِّساءَ ... وَطِيبُهُ المِسْكُ إذا ما شاءَ

(و) كان ﷺ (يلبس الخاتما) من فضة نقشه محمد رسول الله كما مرّ تفصيله، ومن ثم سنّ اتخاذه من فضّة، وكره من حديد ونحاس، وفي بيان مقداره خلاف، ويستحب أن لا يزيد وزنه على مثقال، والمعتمد جواز ما لا يعدّ في العرف إسرافاً (يُمنىٰ الخِنصر) بكسرتين بينهما سكون وقد يفتح الصاد وهي الإصبع الصغرىٰ (وربما لبسه) في الخنصر اليسرىٰ من الجانب (الأيسر) لبيان الجواز (وربما ربط خيطاً فيه) أي في الخاتم (لأجل ذكر حاجة) أي حفظها وعدم نسيانها (تعنيه) صفة كاشفة لحاجة أي تعني تلك الحاجة إياه أي تهمّه من عناني الأمر أي همّني، ولا يقال: عنيته في الأصح، وأما قولهم: عنيت كذا يعني كذا بمعنىٰ قصدته، وليس مما نحن فيه، وروىٰ ابن عدي بسند ضعيف: كان ﷺ إذا أراد الحاجة أوثق في خاتمه خيطاً»[١٥٤] وروىٰ أبو يعلىٰ

---

(١٥٤) رواه ابن عدي في الكامل (٢/٤٤٦) وفي إسناده بشر بن إبراهيم الأنصاري، وهو يضع =

كان ﷺ إذا أشفق من الحاجة أن ينساها ربط في أصبعه خيطاً ليذكرها[١٥٥].

قال القسطلاني: وسنده فيه من رمي بالوضع (كان) ﷺ (يحب الطيب) لملاقاة [لملاقاته] الملائكة وغيرهم ولأنه يزيد في العقل الذي هو محل المعارف الإلٓهية ولأنه من دواعي الجماع (و) يحب (النساء) أي مناكحتهن ومعاشرتهن لمصالح دينية يضيق المقام عن ذكرها، فترجع محبتهن إلى محبة الله عزّ وجلّ، ومن ثمة قال ﷺ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِن دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة» رواه الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك والنسائي في السنن بهذا اللفظ[١٥٦]، زاد الإمام أحمد: «أصبر عن الطعام والشراب ولا أصبر عنهن»[١٥٧].

قال القسطلاني: في محبته النساء والنكاح من كمال الإنسان، ألا ترىٰ خليل الرحمٰن كان عنده سارة أجمل النساء في العالمين، مع أنه أحب هاجر وتسرّىٰ بها، وذكر سعد بن إبراهيم عن عامر بن سعد عن أبيه قال: كان الخليل عليه الصلاة والسلام يزور هاجر في كل يوم من الشام على البراق شغفاً بها وقلّة صبر عنها،

وداود عليه الصلاة والسلام كان عنده تسع وتسعون امرأة، فأحب تلك المرأة وتزوج بها، وسليمان عليه الصلاة والسلام كان عنده ثلاثمائة زوجة، ومائة سرية، وقد حلف لأطوفنّ الليلة على مائة امرأة كما في البخاري انتهىٰ[١٥٨].

وقد كان زهّاد الصحابة كثيري الزوجات والسراري، وجعل الأولياء النكاح

= الحديث، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (٣/٧٣).

(١٥٥) ورواه العقيلي (٢/١٥٢) وفي إسناده سالم بن عبد الأعلى وهو كذاب، ولذا أورده ابن الجوزي في الموضوعات (٣/٧٣).

(١٥٦) رواه أحمد (٣/١٢٨ و١٩٩ و٢٨٥) والنسائي (٧/٦١) والحاكم (٢/١٦٠) والبيهقي (٧/٧٨) وليس عند النسائي «من دنياكم».

(١٥٧) لم أر هذا عند أحمد في الأماكن الثلاثة.

(١٥٨) رواه البخاري (٣٤٢٤) وأماكن أخرى وانظر فتح الباري (٦/٤٦٠).

والرغبة فيه من شرائط القطبية[١٥٩] (وطيبه المسك) المعروف (إذا ما) زائدة [مصدرية] (شاءا) والغالية مع المسك إذا ما شاء ذلك.

لاَ يَترُكُ الثِيَابَ مِنْ بُخورِ بَخورُهُ العُودُ مَعَ الكَافُورِ
يُواظِبُ الكُحْلَ بِكُحْلِ الإثمِدِ وَيكْثرُ الدُّهْنَ بِرأسٍ وَيَدِ

(لا يترك الثياب) خالية (من بخور) بفتح الباء ما يتبخر به كسحور بالفتح لما يتسحر به، وأمّا بالضم فهو مصدر (بخوره) هو كما قبله (العود) وهو خشب معروف طيب (مع الكافور) وهو طيب معروف يكون من شجر بجبال الهند والصين (يواظب الكحل) أي يداوم عليه وهو بفتح الكاف مصدر كحل العين كمنع، فهو بمعنى الاكتحال، وبضمها كل ما يوضع في العين للشفاء، والأول هو المراد (بكحل) بضم الكاف لا غير متعلق بالكحل وإضافته إلى (الإثمد) من إضافة العام إلى الخاص، كشجر الأراك، وهو بكسر الهمزة والميم حجر الكحل المعروف، وأمّا بفتحها فهو اسم موضع (ويكثر) من الإكثار (الدهن) بفتح الدال مصدر دَهَنَ رأسه أي بلّه بالدهن بالضم، ويكثر التدهين (برأس ويد) قال ابن سيد الناس: وكان لا تفارقه قارورة الدهن في سفره والمكحلة والمرآة والمشط والمقراض والسواك والإبرة والخيط.

لاَ يَتْرُكُ السِّواكَ عِندَ نَوْمِهِ وَبعدَ هَبَةٍ وعندَ قَوْمِهِ
يَمزَحُ لكِنْ لاَ يَقولُ إلاّ حَقّاً وَكَمْ منقبةٍ وَفَضلا

(لا يترك السواك) ثلاث مرات (عند) إرادة (نومه وبعد هبة) بفتح الهاء مصدر كالهبوب، وبمعنى الانتباه من النوم (وعند قومه) مصدر قام أي عند

(١٥٩) ليس في الإسلام قطبية، وإنما هي من بدع الصوفية المنكرة.

قيامه لصلاة الفجر كما في مختصر ابن سيد الناس.

واعلم أنه ﷺ كان مع أصحابه وأهله وغيرهم على غاية من سعة الصدر ودوام البشر وحسن الخلق، في الإحياء: كان ﷺ إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى الآخرة أخذ معهم، وإن تحدثوا في طعام وشراب تحدث معهم رفقاً بهم وتواضعاً لهم، وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحياناً، ويذكرون أشياء من أمور الجاهلية ويضحكون فيتبسم هو إذا ضحكوا، ولا يزجرهم إلاّ عن حرام، ومن ثمة كان ﷺ (يمزح) بفتح الزاء من المزاح وهو الانبساط مع الغير من غير إيذاء له وبه فارق الهزء والسخرية أي ينبسط لهم ويباسطهم من كبير وصغير تألّفاً لهم حتّى يزول ما عندهم من هيبته ويقدروا على الاجتماع به، وأخذ الأحكام عنه (لكن لا يقول) في مزاحه (إلاّ حقاً) إذ لاّ يخلو مزاحه عن بشرى عظيمة أو فائدة عزيزة أو مصلحة تامةٍ فهو في الحقيقة جد وليس مزاحاً إلا بحسب الصورة.

عن أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا أي تمازحنا، قال: « إني لا أقول إلاّ حقاً » رواه الترمذي[١٦٠] فالمزاح الجاري على القانون الشرعي لا ينافي الكمال، بأن يكون على وفق الصدق وبقصد تأليف قلوب الضعفاء وجبرهم وإدخال السرور والرفق عليهم، وأمّا النهي عنه في حديث الترمذي في جامعه وقال غريب: « لا تمارِ أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعداً فتخلفه »[١٦١] فمحمول على الإفراط فيه والدوام عليه، لأنه يورث كثرة الضحك وقسوة القلب، والإعراض عن ذكر الله، وعن التفكر في مهمات الدين، بل ربما يؤول كثيراً إلى الإيذاء، وربما يسقط المهابة والوقار، ومزاحه ﷺ سالم من جميع ذلك، وإنما يقع منه نادراً لمصلحة تامة من مؤانسة أصحابه، فهو بهذا القصد سنة كما صرح به الأئمة، خلافاً لمن قال: إنه مباح.

---

(١٦٠) رواه الترمذي في الجامع (١٩٩١) والشمائل (٢٣٦) ورواه أيضاً أحمد (٣٦٠/٢) والبغوي في شرح السنة (٣٦٠٢).

(١٦١) رواه الترمذي (١٩٩٦) وسنده ضعيف، فلا حاجة إلى التكلف.

وعن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً استحمل رسول الله ﷺ فقال: إني حاملك على ولد الناقة، فقال: يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: وهل يلد الإبل إلا النوق؟، رواه الترمذي في الشمائل [١٦٢].

وعن الحسن قال: أتت عجوز النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنّة، فقال: «يا أمّ فلان إن الجنّة لا تدخلها عجوز» قال: فولّت تبكي، فقال: ﷺ «أخبروها أنّها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿إنا انشأناهنّ انشاءً فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً﴾» رواه الترمذي أيضاً [١٦٣] وفي مختصر ابن سيد الناس: وجاءته امرأة فقالت: يا رسول الله إنّ زوجي يدعوك، فقال: «لعلّ زوجك الذي في عينيه بياض» فرجعت وفتحت عين زوجها، فقال: ما لك؟ فقالت: أخبرني رسول الله أن في عينيك بياض، فقال: وهل أحد إلاّ في عينيه بياض.

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهراً، وكان يهدي إلى النبيّ ﷺ هدية من البادية، فيجهزه النبيّ ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال النبيّ ﷺ: «إن زاهراً باديتنا ونحن حاضروه» وكان ﷺ يحبه وكان رجلاً دميماً أي قبيح الوجه، فأتاه النبيّ ﷺ يوماً وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه ولا يبصره، فقال: من هذا؟ أرسلني فالتفت فعرف النبي ﷺ فجعل لا يألو أي لا يقصر ما ألصق ظهره بصدر النبيّ ﷺ حين عرفه، فجعل ﷺ يقول: من يشتري العبد؟ فقال الرجل: يا رسول الله إذن تجدني والله كاسداً أي رخيصاً لا يرغب فيه أحد، فقال ﷺ لكن عند الله لست بكاسد، أو قال: أنت عند الله غال رواه الترمذي [١٦٤].

---

(١٦٢) رواه أحمد (٢٦٧/٣) وأبو داود (٤٩٩٨) والترمذي في الجامع (١٩٩٢) وفي الشمائل (٢٣٧) وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

(١٦٣) رواه الترمذي في الشمائل (٢٣٩) وسنده ضعيف، لكن له شاهد.

(١٦٤) رواه الترمذي في الشمائل (٢٣٧) ورواه أيضاً عبدالرزاق (١٩٦٨) وأحمد (١٦١/٣) =

قال المناوي نقلاً عن ابن قتيبة: وقد درج أكابر السلف وأعاظيم الخلف على أخلاق المصطفى ﷺ في الطلاقة والمزاح المجانب للكذب والفحش، فكان عليّ كرم الله وجهه يكثر الملاعبة وكذا ابن سيرين، وكان الفرزدق يكثر المزاح بين الصدر الأول ولم ينكر عليه وسأله رجل عن حسان بن هشام فقال: توفّي البارحة فجزع الرجل واسترجع فقرأ: ﴿الله يتوفّى الأنفس﴾ الآية، وقال الشعبي لرجل: ما صنعتك؟ فقال: رفّاء، فقال عندنا دنّ مكسور ترفؤه لنا؟ فقال: هيء لي سلوكاً من رمل ارفؤه به فضحك الشعبي حتى استلقى انتهى (١٦٥).

وروى الإمام أحمد: أن أبا بكر رضي الله عنه خرج تاجراً إلى بُصرى ومعه نُعَيْمانُ وسُوَيْبِط بن حرملة، وكلاهما شهدا بدراً، وكان سويبط على الزاد، فقال له نُعيمان: أطعمني قال حتى يجيء أبو بكر، وكان نعيمان مضحاكاً مَزّاحاً فذهب إلى ناس فقال: ابتاعوا مني غلاماً عربياً فارهاً، فقالوا: نعم، فقال: إنه ذو لسان، ولعله يقول: إني حرّ فإن كنتم تاركيه فدعوني ولا تفسدوه عليّ، قالوا بل نبتاعه فابتاعوه منه بعشر قلائص فأقبل يسوقها وقال: دونكم هو هذا، فقال سويبط: هو كاذب أنا رجل حرّ، قالوا: قد أخبرنا خبرك فطرحوا الحبل في رقبته فذهبوا به، فجاء أبو بكر رضي الله عنه فأخبر به، فذهب هو وأصحابه إليهم فردّوا القلائص فاستردوا سويبطاً، ثم أخبروا النبي ﷺ بذلك فضحك هو وأصحابه منها حولاً كاملاً وأخرجه كذلك أبو داود الطيالسي والروياني (١٦٦).

قال ابن حجر في أسنى المطالب: ويشكل هذا مع ما ورد من النهي عن أن يروّع

= وأبو يعلى (١٦٤/١) وعنه ابن حبان (٢٢٧٦) وهو حديث صحيح على شرط الشيخين، ورواه أيضاً البغوي في شرح السنة (٣٦٠٤).

(١٦٥) انظر شرح المناوي على الشمائل (٣٢/٢).

(١٦٦) رواه أحمد في مسنده (٣١٦/٦).

المؤمن ويؤخذ متاعه جاداً ولاعباً، وقد يقال: يحمل النهي عن الترويع علىٰ ما إذا كان من شأنه أنه يؤذي إيذاءً لا يحتمل غالباً، ويحمل الإذن فيه الذي تضمنته هذه القصة على ما إذا صدر ممن عرف بالمزاح والضحك، فإن العلم بحاله يسهل ما يصدر عنه، لأن المتبادر من أحواله المزاح، لا الحقيقة وهذا جمع ظاهر يتعين وإن لم أر من ذكره انتهىٰ.

(وكم منقبةً) بفتح الميم أي معجزةً وخصالاً حميدة (وفضلاً) له ﷺ لم تذكر ولا تدخل في حساب ولا يحويها كتاب.

(معجزاته صلى الله عليه وسلم)

(ذكر شيء من معجزاته ﷺ) اعلم أنه تواتر أنه ﷺ ادّعىٰ الرسالة وظهرت المعجزات على يده، فيكون نبياً: مرسلاً، ووجه دلالة المعجزة على النبوة أنّها بمنزلة صريح التصديق، لأن الرجل إذا قام في محفل عظيم وقال: إني رسول هذا الملك إليكم فطالبوه بالحجة، فقال: يا أيها الملك إن كنت صادقاً في دعوى الرسالة منك، فخالف عادتك وقم من مقامك ثلاثاً ففعل، علم بالضرورة صدقه، وقد أشار الناظم إلىٰ شيء يسير من آيات نبوته فقال:

مِنْ مُعجِزاتِهِ أتى القُرآنُ   أعظِمْ بِهِ فَإنَّهُ بُرهانُ

(من معجزاته) وهو حال مقدم جمع معجزة هو الأمر الخارق للعادة المقرون بدعوىٰ الرسالة على وفق الدعوىٰ مع الأمن من معارضة المنكرين بمثله، وسمّي ذلك الامر معجزة لإعجازه البشر عن الإتيان بمثله، والتاء للمبالغة (أُتي القرآن) العزيز من الله عزّ وجلّ إليه ﷺ، وهو في الأصل مصدر قرأ إذا جمع، لجمع السور المختلفة وعلوم الأولين والآخرين (أعظِم به) صيغة تعجب

بمعنى ما أعظمه (فإنه برهان) واضح بنبوته وحجة قاطعة عليها، بل هو أعظم المعجزات وأعجبها حتىٰ من إحياء الموتىٰ وإبراء الأكمه والأبرص، لأنه دعاهم إلى معارضته بالإتيان بمثله أقصر سورة منه ففرّوا إلى سفك دمائهم وسبي حريمهم وجلائهم من [عن] وطنهم، ولم يدع أحد منهم القدرة على ذلك مع كونهم أهل البلاغة وأرباب الفصاحة ورؤساء البيان، فهذا أعجب من عجز من شاهد المسيح يحيي الموتىٰ ويبرىء الأكمه والأبرص، لأنهم لم يطمعوا فيه ولا تعاطوا نحوه، وقريش كانوا يتعاطون الفصاحة والبلاغة، فعجزهم مع ذلك عن المعارضة، وفرارهم إلىٰ ما ذكر دليل قاطع على نبوته ﷺ، ثم وجوه إعجاز القرآن لا تنحصر، منها: إيجازه وبلوغه الطبقة العليا في الفصاحة، ومنها أن قارئه لا يمل وأن سامعه لا يمجه، بل لا يزال مع كثرة تكريره غضاً طرياً تزايد حلاوته، وتتعاظم محبته يؤنس به في الخلوات ويستراح بتلاوته من شدائد الآفات، ومنها الإخبار بما كان مما علموه ومما لم يعلموه، وشهادته على اليهود بأنهم لا يتمنون الموت، وعلى قريش بأنهم لا يأتون بمثله. ومنها اشتماله على علوم لا تحصىٰ مع كون الآتي به أمّياً نشأ بين أظهرهم، لا يحسن نظم الكتاب [كتاب] ولا عقد حساب، ولم يتعلم سحراً ولم ينشد شعراً، ومن آيات نبوته أيضاً ما اجتمع فيه من الأخلاق المرضية وصفاته المتواترة كملازمة الصدق، والإعراض عن الدنيا، ونهاية الجود والشجاعة والفصاحة، والإصرار على الدعوىٰ مع تحمل المشاق، والترفع على الغني والتواضع للفقير وغير ذلك مما لا يكون إلا في الأنبياء، ولله درّ عبدالله بن رواحة حيث قال:

نفسي الفداء لمن أخلاقه شهدت ... بأنه خير مخلوق من البشر
عمت فضائله كل الأنام كما ... عمّ البرية ضوء الشمس والقمر
لو لم تكن فيه آيات مبينة ... لكان منظره ينبيك بالخبر

وَشُقَّ صَدرُهُ كَذا انْشَقَّ القَمَرُ   لَهُ بِلاَ شَكٍّ وَقَـدْ رأَى البَشَـر

(و) من المعجزات (شق صدره) الشريف مراراً أربعاً أو خمساً مبالغة في تطهيره وقلبه كما مرّ تفصيله في مبحث رضاعه ﷺ (كذا انشق القمر) نصفين معجزة (له) ﷺ ولم ينشق لأحد غيره وهو من أمهات معجزاته، وقد أجمع المفسّرون وأهل السنة على وقوعه لأجله ﷺ وقوله: (بلا شك) إشارة إلى أن الأخبار بوقوعه متواترة، ومن ثمة قال التاج السبكي في شرح المختصر: والصحيح عندي أن انشقاق القمر متواتر [عليه نص عليه] منصوص عليه في القرآن، مروي في الصحيحين وغيرهما وقال ابن عبد البر: روى حديث انشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة ثم نقله الجم الغفير وغيرهم إلى أن وصل إلينا، وتأيد بالآية، وقال الخطابي: انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعد لها الشيء من آيات الأنبياء لظهوره في ملكوت السمٰوات خارجاً عن جملة طباع ما في هذا العالم، (وقد رأى البشر) ذلك من أهل مكة وغيرهم كما في حديث أبي داود والبيهقي وغيرهما.

وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما، ومن حديث ابن مسعود قال: انشقاق القمر علىٰ عهد رسول الله ﷺ فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال ﷺ: اشهدوا [١٦٧]، وأما إنكار جمهور الفلاسفة ومن وافقهم من المبتدعة انشقاق القمر فمبني على إنكارهم خرق الأجرام العلوية والتيامها، وذلك في جملة كفرهم وتقولهم بمقتضىٰ عقولهم معاندين للشرائع. ومنها:

---

(١٦٧) انظر تخريج أحاديث انشقاق القمر في المعتبر (ص١٠٨ - ١١٠) للزركشي بتعليقنا.

إخبارُهُ عَنْ شأنِ بَيتِ المقْدِسِ وَالعِيرِ وَهُوَ حاضِرٌ في المَجلِسِ

(إخباره عن شأن بيت المقدس) أي حاله وأوصافه وذلك حين أصبح من ليلة الإسراء وحدث المشركين بذهابه إلى بيت المقدس، ومنه إلى السموات، وبما رأىٰ في تلك الليلة من العجائب، فأنكروا عليه وسألوه عن أوصاف بيت المقدس، فرفعه الله إليه حتى ينظره كما في رواية البخاري، فوصفه لهم كما سألوه(١٦٨). فانقطعت عنهم الحجة كما سبق في بحث [مبحث] الإسراء (و) أخباره عن (العير) بكسر العين أي القافلة (وهو) ﷺ (حاضر في المجلس) أي مجلس قريش وقت إخباره بذلك، وروي أنه: لما رجع ﷺ من سفر الإسراء مرّ في بعض طريقه بعير تحمل طعاماً فيها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء، فلما حاذىٰ بالعير نفرت [منه] واستدارت وانصرع ذلك البعير، وفي رواية: أضلوا بعيراً لهم قد جمعه فلان وفلان، قال ﷺ: فسلمت عليهم فقال بعضهم: هذا صوت محمد ثم أتىٰ إلى مكة قبل الصبح وأخبر قومه بما رأىٰ فقال: إن من آية ما أقول: إني مررت بعير لكم في مكان كذا وكذا وقد أضلّوا بعيراً لهم فجمعه فلان وإن مسيرهم ينزلون بمكان كذا وكذا ويأتونكم يوم كذا وكذا ويقدمهم جمل آدم عليه مسح أسود وغرارتان، فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حتىٰ إذا كان قريب من نصف النهار أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه ﷺ، وفي رواية البيهقي: سألوه آيةً فأخبرهم بقدوم العير يوم الأربعاء، فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتىٰ كادت الشمس أن تغرب فدعا الله تعالىٰ فحبس الشمس حتىٰ قدموا كما وصف(١٦٩).

---

(١٦٨) رواه البخاري (٣٨٨٦ و ٤٧١٠).

(١٦٩) انظر حديث عبدالله بن عباس عند أحمد (٢٨٢٠) والبزار (٥٦ كشف الأستار) والطبراني في الكبير (١٢٧٨٢) والأوسط (ص٩ - ١٠) مجمع البحرين.
وحديث شداد بن أوس عند الطبراني في الكبير (٧١٤٢) ومسند الشاميين (١٨٩٤) وانظر تعليقنا عليه.

وَمِن قُريشٍ قَد تَعاقَدَ المَلاْ وَكُلُّهُمْ حَلَفَ أنْ سَيُقتَلاْ

(و) منها ما وقع (من قريش قد تعاقد) وتعاهد (الملا) أي الجماعة منهم على قتله ﷺ (وكلهم) بعد إجماعهم على ذلك (حلف) (أن سيقتلا) بالبناء للمفعول والألف للإطلاق، والمستتر نائب الفاعل عائد إليه ﷺ، وذلك الإجماع على قتله بعد مشاورتهم في دار الندوة فيما يصنعون به ﷺ كما مرّ تفصيله في مبحث الهجرة، فلما جاء الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام، فيقتلوه، فخرج إليهم ﷺ وهم جلوس على بابه.

فَعِندَمَا بَدا لَهُمْ وَخَرَجَا لَم يَرْفَعِ الرؤوس حتَّى دَرَجَا
قَامَ عَلَيْهِمْ يَذُرُّ التُّرْبَا وَقالَ شاهَتِ الوَجُوهُ حَصْبَا
فَمَا أَصَابَ رَجُلاً بِذَرٍّ إلاّ ارتَمَى بِالقَتلِ يَومَ بَدرِ

(فعندما بدا) أي ظهر (لهم وخرجا) ﷺ أخذ الله تعالى على أبصارهم وسقطت أذقانهم في صدورهم فلم يره أحد منهم وإليه أشار بقوله: (لم يرفعوا الرؤوس حتى درجا) أي مضى لسبيله، بل قبض كفاً من تراب ثم ـ (قام عليهم) بضم الميم (يذر) أي ينثر (الترابا) على رأس كل منهم إشارة إلى غاية ذلتهم وخيبتهم وهو يتلو يٓس إلى « فهم لا يبصرون »، والتُّرْبُ بضم فسكون هو التراب (وقال: شاهت الوجوه) أي قبحت وجوه المشركين وخسرت وقوله (حصبا) أصله حصباء بالمد وهو الحصى الصغار فقصر للوزن وهو مفعول المحذوف أي ورماهم حصباء أيضاً، وكأنه أشار إلى اختلاف الروايات في ذلك ففي بعضها أخذ كفاً من الحصى وفي بعضها أخذ كفاً من تراب، وجمع بأنه رمى بهذا مرة وبهذا مرة، وبأنها قبضة واحدة لكنها مخلوطة بالحصى والتراب، ويجوز جعله عطفاً على التربا بإسقاط العاطف وما بينهما اعتراضاً ومفعولاً مطلقاً،

مصدر حصبهم أي رماهم بالحصباء، وحالاً من الترابا أي مخلوطاً بالحصباء فيكون إشارة إلى الجمع المذكور، فلما انصرف عنهم ﷺ أتاهم آت فأعلمهم أن على رأس كل منهم ترباً (١٧٠)، وروى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما وصححه: ما أصاب رجلاً منهم حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً وإليه أشار بقوله:

فما أصَـــابَ رَجُلاً بِـــذَرٍّ ... إلا ارتمىٰ بالقَتـلِ يَـوْمَ بَـدرِ
كذاك مٰا رَمـىٰ بِـهِ في يَـومِ ... حُنَين مِن تُربَ وجـوه القوم
كذاك في الغار نسيج العنكبا ... ومـا دهـىٰ سراقـةَ إذ طلبا
ومسحه ظهـر عنـاقٍ مـا بنـا ... قـط بها فحـل فـدرت لبنـا

(فما أصاب) ﷺ (رجلاً منهم بذرّ) أي بحصىً صغير مثل الذرّ وهو النمل الأحمر الصغير واحدتها ذرّة، وسئل ثعلب عنها فقال: إن مائة نملة وزن حبة، والذرّة واحدة منها، وقيل: الذرة ما يُرىٰ في شعاع الشمس ولا وزن لها (إلاّ ارتمىٰ بالقتل يوم بدر، كذاك) أي مثل ما رُمي به يوم بدر في كونه معجزةً (ما رمىٰ به في يوم، حنين) غير منصرف للضرورة (من ترب) بيان ما (وجوه القوم) مفعول رمىٰ وقد سبق تفصيله في غزوة حنين (كذاك) في كونه معجزةً (في الغار) أي غار ثور وهو جبل بأسفل مكة علىٰ مسيرة ساعة (نسيج) أي منسوج (العنكبا) أي العنكباء بالمدّ لغة في العنكبوت وقصره للوزن، وذلك في الهجرة، ووجه كونه معجزة: أن الله تعالىٰ أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وصدّ المشركين بذلك، وقالوا: لو دخله لتفسخ نسج العنكبوت، فهو أبلغ في الإعجاز من مقاومة القوم بالجنود (وما) موصولة أو مصدرية (دهىٰ سراقة) أبن مالك (إذ طلبا) لما تبعه في الهجرة ليأخذه فدعا عليه لما دنا منه فساخت

(١٧٠) انظر زاد المعاد (٣/٥١ ـ ٥٢) وفتح الباري (٧/٢٣٦).

قوائم فرسه في الأرض الجلد كما سبق تفصيله، يقال دهاه دهياً أي أصابه بداهية، وضمير دهى لما إن جعلت موصولة عبارة عن نحو دعائه عليه، أو له ﷺ إن جعلت مصدرية (و) منها (مسحه) ﷺ (ظهر عَناقٍ بفتح العين هي الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم لها سنة كما في النهاية (ما بنا) أي ما دخل (قط بها فحل) لم ينز عليها الفحل (فدرّت لبنا) تمييز في معنى الفاعل أي كثير لبنها، وما ذكره الناظم تبع فيه ابن سيد الناس في مختصره وفي المواهب وغيره من رواية البيهقي بسنده عن قيس بن نعمان قال: فلما انطلق النبي ﷺ وأبو بكر مستخفيين أي في طريق الهجرة مرّا بعبد يرعى غنماً فاستسقياه اللبن فقال: ما عندي شاة تحلب غير أن ههنا عناقاً حملت في العام الأول وما بقي بها [لها] لبن فَدَعَا بها فاعتقلها ﷺ، ومسح ضرعها ودعى فأنزلت لبناً، فسقى أبا بكر ثم حلب فسقى الراعي، ثم حلب فشرب، فقال الراعي: أشهد أنك نبي، وأن ما جئت به حق فقال له ﷺ: فإذا بلّغك أنّي قد ظهرت فائتنا(١٧١)، وبين الروايتين نوع تخالف، فهما قصتان أو يتكلف في الجمع بينهما.

وشاةٌ لأمِّ مَعبَدٍ وما دعا   لِعُمَرٍ وعِزِّ الإسلامِ مَعا

(و) منها (شاة أم مَعبَد) بفتح الميم عاتكة بنت خالد الخزاعية كانت امرأةً جلدةً تختبىء بفناء قبتها ثم تسقي وتطعم الناس، مرّ ﷺ مع مَن معه عليها في طريق الهجرة، فسألوها لبناً ولحماً يشترون منها فلم يجدوا عندها شيئاً، وكانت تلك السنة سنة جدب، فنظر ﷺ إلى شاةٍ في كسر الخيمة أي جانبها خلّفها الجهد عن الغنم، فقال ﷺ: «هل بها من لبن؟» فقالت: هي أجهد من ذلك، فقال: «أتأذنين أن أحلبها؟» فقالت: بأبي أنت وأمّي إن رأيت حلباً فاحلبها، فعدا بالشاة واعتقلها، ومسح ضرعها فسمّى الله تعالى، فدرّت لبنها وسقى القوم

(١٧١) رواه البيهقي في الدلائل (٢/٤٩٧) والطبراني في الكبير (ج١٨ رقم٨٧٤) وسنده صحيح.

حتى رووا، ثم شرب آخرهم، ثم حلب مرةً أخرىٰ عَلَلاً بعد نهل وتركوها وذهبوا، فلما جاء زوجها أبو معبد ورأىٰ اللبن عجب وقال: ما هذا يا أم معبد؟ فقالت جاء رجل مبارك من حالة كذا وكذا، فقال: صفيه، فذكرت له القصة وأوصافه ﷺ، فقال: هذا والله صاحب قريش ولو رأيته لاتبعته[١٧٢] وأخرج أبو نعيم وابن سعد: أن تلك الشاة بقيت عندهم يحلبونها ليلاً ونهاراً إلى زمن عمر رضي الله عنه.

(و) منها (ما دعا) أي دعائه فما مصدرية (لعمر) بن الخطاب رضي الله عنه بإسلامه (وعزّ الإسلام به معاً) أي جميعاً حيث قال ﷺ: «اللهم أعزّ الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك، بأبي جهل أو بعمر» رواه الترمذي وقال: حسن صحيح[١٧٣]، ورَوىٰ الحاكم من حديث عائشة وقال: صحيح على شرط الشيخين: «اللهم أعزّ الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة»[١٧٤] وورد بهذا اللفظ بطرق وجمع بينهما ابن عساكر: بأنه دعا بالأول أولاً فلما أوحي [الله] إليه: أن أبا جهل لن يسلم خصّ عمر بدعائه فأجيب فيه، قال الحافظ السيوطي: وقد اشتهر هذا الحديث الآن بلفظ: «بأحب العمرين» ولا أصل له في شيء من كتب الحديث، والدعاء في الحديث بعز الإسلام به فقط لكنه تضمن الدعا بإسلام عمر أيضاً، إذ العزّة به إنما هي بعد إسلامه، ولذا جمعها الناظم. (و) منها (دعاؤه لعليّ) كرّم الله وجهه بذهاب الحرّ والبرد عنه كما رواه الطبراني، فكان يلبس في الصيف ثياب الشتاء وفي الشتاء ثياب الصيف ولا يصيبه حر ولا برد[١٧٥].

---

(١٧٢) حديث أم معبد رواه الطبراني في الكبير (٣٦٠٥) وفي الأحاديث الطوال (٣٠) وأبو نعيم في الدلائل (ص٢٨٢ - ٢٨٧) والحاكم (٣/٩ - ١١) والبيهقي في الدلائل (١/٢٢٨ - ٢٢٩) واللالكائي (١٤٣٤ - ١٤٣٧) والبغوي في شرح السنة (٣٧٠٤). وفيه جماعة لم يعرفهم الحافظ الهيثمي.

(١٧٣) رواه الترمذي (٣٦٨٢) وابن سعد (٣/٢٦٧) وأحمد (٥٦٩٦) من حديث ابن عمر.

(١٧٤) رواه الحاكم (٣/٨٣).

(١٧٥) رواه الطبراني في الأوسط (ص٣٤١ مجمع البحرين) من حديث سويد بن غفلة، ورواه =

ولعليّ ما أتىٰ من تفلته   لعينه فبَرِئَتْ مِنْ ساعَتِهِ

(و) منها (ما أتى به) ﷺ في غزوة خيبر (من تفلته) أي بصيغة مصدر تفل يتفل بمعنىٰ بصق (لعينه) أي لكلتا عينيه لمّا جيء به إليه ﷺ وهو أرمد (فبرئت) عينه من الرمد (من ساعته) أي حين بصق في عينيه ودعا له، حتىٰ كأن لم يكن بها وجع كما في البخاري وفي رواية الحاكم: فوضع ﷺ رأسي في حجره ثم بزق في راحتيه فدلك بها في عينيّ زاد الطبراني: فما اشتكيتهما حتى الساعة(١٧٦).

وما ذكرنا في شرح البيت توجيه للمعنىٰ تعمياً للفائدة لا توجيه لإعرابه إلاّ أن يقال بحذف العاطف على ما، وبه يعلم أنه لو قال: «ولعلي وما أتى من تفلته» لكان أحسن، وأما إعرابه علىٰ ظاهره فهو أن لعليّ متعلق بأتىٰ بعده، والتقدير: ومنها ما أتىٰ به لعليّ من تفلته في عينيه [عينه] ودعائه له بالشفاء.

وَالعَينُ مِـنْ قَتَـادَةَ في رَدِّهِ   لَها وَقَدْ سالَتْ بِوَسْطِ خَـدِّهِ
لابنِ عبّاسٍ دَعا بالفِقهِ   وَغَيرِهِ فهل لَـهُ مـن شبه
وإذ دعـا لأنس بـالعمـرِ   وَمـالِـهِ وولْـدِهِ بـالكثر

(و) منها (العين من قتادة) بفتح القاف ابن النعمان أي معجزته ﷺ (في رده) لها (وقد سالت) يوم أحد من رمية سهم (حتى) وقعت (بوسط خدّه) أي على وجنته فأتي به إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنّ لي امرأة أحبها وأخشىٰ إن رأتني تقذرني، فأخذها ﷺ بيده وردّها إلى موضعها وقال: «اللهم

= البزار (٢٥٤٦ كشف الأستار) والطبراني في الأوسط (ص٣٤١ مجمع البحرين) من حديث علي.

(١٧٦) انظر فتح الباري (٤٧٧/٧).

اكسها جمالاً » فكانت أحسن عينيه وأحدّهما نظراً، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرىٰ، وأخرج أبو نعيم والطبراني عن قتادة قال: كنت يوم أحد أتقي السهام بوجهي دون وجه ﷺ فكان آخرها سهماً ندرت منه حدقتي فأخذتها بيدي وسعيت إلى رسول الله ﷺ، فلما رآها في كفي دمعت عيناه فقال: « اللهم قِ قتادة كما وقىٰ وجه نبيك بوجهه فاجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظراً »(١٧٧).

(و) منها أنه ﷺ (لابن عباس عبدالله دعا بالفقه وغيره) أي غير الفقه فقال كما صح عنه: « اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل » أي تفسير القرآن، وفي رواية: « اللهم علّمه الحكمة وتأويل القرآن »، (١٧٨) وفي أخرىٰ: « اللهم بارك فيه وانشر منه واجعله من عبادك الصالحين » (فهل له) بسبب الدعاء له (من شبه) ونظير في الفقه وغيره لا، ومن ثمه سمي بعد ذلك بالحبر وترجمان القرآن (و) اذكر معجزاته (إذ دعا لأنس) بن مالك الأنصاري الخزرجي (بالعمر) أي بطول الحياة (ومالِهِ وَوُلْـدِهِ) بضم فسكون للجمع والواحد (بـالكثر) بضم فسكون بمعنى الكثرة، وذلك أن أمّه أم سليم أتت به إلى النبي ﷺ لما قدم المدينة في السنة الأولىٰ من الهجرة، فقالت له: خذه غلاماً يخدمك فقبله، وقد قالت له يوماً: يا رسول الله أدع له، فقال: « اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه وأدخله الجنة » (قال: فلقد دفنت من صلبي سوىٰ ولد ولدي مائة وخمسة وعشرين [أي ذكوراً، ولم يرزق إلا بنتين على ما قيل] وإن أرضي لتثمر في السنة مرتين وأنا أرجو الثلاثة (١٧٩). وفي رواية فقال: « اللهم بارك في ماله وَوَلَده

(١٧٧) رواه الطبراني في المعجم الكبير (ج١٩ رقم١٢) وفي إسناده ثلاثة مجهولين.

(١٧٨) انظر فتح الباري (١/١٧٠) حول ورود هذين اللفظين.

(١٧٩) الحديث المرفوع في صحيح البخاري (١٩٨٢ و٦٣٣٤ و٦٣٤٤ و٦٣٧٨ و ٦٣٨٠) ومسلم (٦٦٠ و٢٤٨٠ و٢٤٨١) والترمذي (٣٨٢٧ و٣٨٢٨) وغيرهم ولكن لم أر كلمة « وأدخله الجنّة » عند أحد.

وانظر الحلية (٨/٢٦٧) وفيه: فلقد دفنت من صلبي سوى ولد ولدي خمسة وعشرين ومئة، وإن أرضي لتثمر في السنة مرتين، وما في البلد شيء يثمر مرتين غيرها. وما بين =

وأطل عمره واغفر ذنبه» فقال: لقد دفنت من صلبي مائةً إلاّ اثنين وإن ثمرتي لتحمل في السنة مرتين[١٨٠].

كـذا لجابـر وشـأن جَمَلِـهِ   وتمرِهِ ومـا وفـىٰ مِـنْ قِبَلِـهِ

(كذا) دعا (لجابر وشأن جمله)[١٨١] عطف تفسير لما قبله فصار سابقاً بعد أن كان مسبوقاً كما في مختصر ابن سيد الناس، وفي الشفاء: ونَخَسَ ﷺ جمل جابر وكان قد أعيا فنشط حتى كان ما يملك زمامه، ولم يذكر أنه دعا له، وقد وقع له ﷺ نظائر ذلك مذكورة في المبسوطات.

(وتمره) أي ودعا له بالبركة في تمره، فأوفىٰ غرماءه وفضل ثلاثة عشر وسقاً كما قال ابن سيد الناس وإليه أشار بقوله: (وما وفى) أي ودعا أيضاً لوفائه حق الغرماء، فما مصدرية يقال وفىٰ فلاناً أي أعطاه حقه كوفّاه بالتشديد وأوفاه (من قِبَله) بكسر ففتح أي من جهة التمر، وفي الشفاء: وكان جابر قد بذل لغرماء أبيه بعد موته أصل ماله فلم يقبلوه، ولم يكن في تمره سنين كفاف دينهم، فجاءه النبي ﷺ بعد أن أمره بجزّها وجعلها بيادر في أصولها فمشىٰ فيها ودعا فأوفىٰ منه جابر غرماء أبيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كلّ سنة، وفي رواية مثل ما أعطاهم، قال وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك[١٨٢].

= المعكوفين من عند المصنف، وأما قوله وأنا أرجو الثلاثة فلم أره عند أحد، وفي الحديث وأنا أرجو الثالثة أي الدعاء الثالث في الآخرة. فعله حذف من الحديث شيء.

(١٨٠) رواه بهذا اللفظ ابن سعد في الطبقات (١٩/٧) وتمامه ولقد بقيت حتى سئمت الحياة وأنا أرجو الرابعة، وسنده صحيح.

(١٨١) رواه البخاري (٢٧١٨) وفي أماكن أخرى ومسلم (٧١٥) وغيرهما.

(١٨٢) رواه البخاري: (٢١٢٧ و ٢٣٩٥ و ٢٣٩٦ و ٢٤٠٥ و ٢٦٠١ و ٢٧٠٩ و ٢٧٨١ و ٣٥٨٠ و ٤٠٥٣ و ٦٢٥٠) والنسائي: (٢٤٥/٦ ـ ٢٤٦) وأبو داود: (٢٨٨٤).

وعندما استسقىٰ سُقوا واستصحىٰ مِن بعد أسبوع مضىٰ فأصحىٰ
وابن أبي لهب من الدّعاء أكله الأسد بالزرقاء

(وعندما استسقى) أي عند استسقائه ﷺ لما شكوا إليه قحوط المطر وهو ﷺ على المنبر (سُقوا) بالبناء للمفعول أي مطروا أسبوعاً (واستصحىٰ) أي طلب صحو السماء وذهاب غيمها لما شكوا إليه انقطاع السبل بكثرة المطر (من بعد أسبوع) بضم الهمزة (مضىٰ) نعت له (فأصحىٰ) [السماء] أي فانجابت السحابة وفي الصحيحين: أن الناس أصابتهم سنة على عهده ﷺ، فقام أعرابي وهو ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه فقال: «اللهم» ودعا بما دعا، وليس في السماء قطعة سحاب، فما وضعها حتى صار السحاب أمثال الجبال، فلم ينزل على المنبر حتى أصابه المطر، واستمر إلى الجمعة الأخرى، فقام ذلك الأعرابي أو غيره فقال: يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال: «اللهم حوالينا ولا علينا» فأقلفت السحاب وخرجوا يمشون في الشمس(١٨٣).

(و) منها (ابن أبي لهب) بسكون الهاء لغة في تحريكها واسمه عتيبة مصغراً (من الدعاء) أي دعائه ﷺ عليه حين فارق ابنته ﷺ أم كلثوم بأمر أبي لهب كما مرّ، وقال له ﷺ كفرتُ بدينك وفارقت ابنتك لا تحبني ولا أحبك، ثم سطى عليه وشق قميصه وهو يريد الخروج إلى الشام تاجراً، فقال ﷺ: «أما إني أسأل الله أن يسلط عليك كلبه، فلذلك (أكله الأسد) في الليل مع شدّة تحفظه (بالزرقاء) موضع في طريق الشام(١٨٤)، روي أن القوم لما نزلوا بالزرقاء

---

(١٨٣) رواه البخاري: (٩٣٢ و ٩٣٣ و ١٠١٤ و ١٠١٥ و ١٠١٦ و ١٠١٧ و ١٠١٨ و ١٠١٩ و ١٠٢١ و ١٠٢٩ و ١٠٣٣ و ٣٥٨٢ و ٦٠٩٣ و ٦٣٤٢) ومسلم: (٨٩٧).

(١٨٤) رواه الطبراني في الكبير (ج٢٢ رقم١٠٦٠) مرسلاً وفيه زهير بن العلاء وهو ضعيف.

طاف بهم الأسد ليلاً، فجعل عتيبة يقول: يا ويل أمي هو والله آكلي كما دعا عليَّ محمد ﷺ، فأقبل الأسد يتخطى القوم إلى أن أخذ برأس عتيبة فقتله.

وإذ دَعَا إليـهِ تلـك السَّمُـرة فشهـدت بصـدقـه مُبتـدِرَة

(و) اذكر (إذ دعا) ﷺ (إليه) أي أمر بالمجيء إليه (تلك السمرة) السمر بضم الميم شجر عظام نوع من الطلح واحدتها سمرة (فشهدت بصدقه) أي النبي ﷺ فيما دعا الناس إليه من التوحيد حالة كون تلك السمرة (مبتدرة) أي مستعجلة في الشهادة.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فأقبل أعرابيٌّ فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ: «أين تريد؟» قال: إلى أهلي، قال: «هل لك إلى خير؟» قال: وما هو؟ قال: «تشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله»، قال: هل لك من شاهد على ما تقول؟ قال رسول الله ﷺ «هذه الشجرة السمرة» فدعاها ﷺ، وهي على شاطىء الوادي فأقبلت تخد الأرض أي تشقها، فقامت بين يديه فشهدت ثلاثاً ثم رجعت إلى منبتها؛ الحديث، أخرجه الحاكم بإسناد جبير ورواه الدارمي أيضاً بنحوه (١٨٥) وعن بريدة سأل أعرابي رسول الله ﷺ آية فقال له: قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوكِ قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الأرض تجر عروقها مغبرةً حتى وقفت بين يديه ﷺ، فقالت السلام عليك يا رسول الله، قال الأعرابي: مرها فلترجع إلى منبتها، فرجعت فدلت عروقها في ذلك الموضع فاستقرت، فقال الأعرابي إيذن لي أن أسجد لك

---

(١٨٥) لم أره عند الحاكم وإنما رواه البيهقي في الدلائل (١٤/٦ ـ ١٥) عن الحاكم، ورواه أيضاً أبو يعلى (٢/٢٦١) والبزار (٢٤١١ كشف الأستار) والطبراني في الكبير (١٣٥٨٢) والدارمي (١٦).

قال: لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها رواه البزار [١٨٦].

وأمَرَ العِذقَ فَجاء وقَعَد صدقاً له ورَدَّه بعد فرُدّ
وأقَرَّ اثنتين من بين الشجر فاجتَمَعا وافترقا كما أمر

(وأمر) ﷺ (العذق) بكسر العين وسكون المعجمة و النخلة، وهو بمنزلة العنقود من العنب (فجاء) نازلاً من العلو (وقعد) عنده ﷺ (صدقاً) أي لأجل حصول الصدق أو تصديقاً (له) ﷺ (وردَّهُ) أي أمره بالردِّ (بعد) أي بعد تصديقه (فردَّ) بالبناء للمفعول وتخفيف الدال للوزن أي فعاد إلى مكانه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أعرابيٌّ لرسول الله ﷺ بم أعرف أنك رسول الله؟ قال: « إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله [أتصدقني؟] » قال: نعم، فدعاه ﷺ، فنزل من النخلة حتى سقط إلى النبي ﷺ قال: « ارجع فعاد » فأسلم الأعرابي رواه الترمذي وصحّحه [الحاكم] [١٨٧].

(وأمر) ﷺ (اثنتين من بين الشجر) أن تلتئما لقضاء الحاجة خلفهما (فاجتمعا وافترقا) الظاهر فاجتمعتا وافترقتا كما لا يخفى، وحذف التاء إما للوزن كما سبق نظيره غير مرة أو لتأويل الشجرتين بالشجرين، وفي حديث جابر: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيح، فذهب [رسول الله] ﷺ يقضي حاجته، فاتبعته بإداوة من ماء فنظر [رسول الله] ﷺ فلم ير شيئاً

(١٨٦) رواه البزار (٢٤٠٩ كشف الأستار) لكن لفظه يختلف عن هذا اللفظ كثيراً.

(١٨٧) رواه الترمذي (٣٦٣٢) والطبراني في الكبير (١٢٦٢٢) والحاكم (٦٢٠/٢) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي. ورواه أحمد (٢٢٣/١) والبيهقي في الدلائل (١٥/٦ - ١٦) ولكن ليس عندهم « أتصدقني » وهذه الكلمة في نسخة القاضي فقط.

يستتر به، فإذا شجرتان في شاطىء الوادي فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: «انقادي عليّ بإذن الله تعالى» فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع به قائده، ثم فعل بالأخرى كذلك، حتى إذا كان بالمَنْصَفِ بينهما مما بينهما قال: «التئما عليّ بإذن الله تعالى» فالتأمتا، الحديث رواه مسلم[188] وفي رواية قال: يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لكِ رسول الله ﷺ الحقي بصاحبتك حتى أجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفها، ثم افترقتا الحديث[189] وذلك الاجتماع والافتراق (كما أمر) ﷺ وروي بطرق أخر هذه القصة.

وأمر النخلات فاجتمعنا ... حتىٰ قضىٰ حاجته فعدنا
ونام في يوم فجاءت شجرة ... في الأرض قامت عنده فذكرت
من ما استيقظ قال تلكم ... شجرة استأذنت تسلم
وسلمت أيضاً عليه الشجرة ... ليالي البعث كذاك الحجر

(وأمَرَ) ﷺ أنس بن مالك أن ينطلق (إلى النخلات) المتقاربة فيقول لهنّ: أمركنّ رسول الله ﷺ (أن تجتمعنا) [فاجتمعنا] بألف الإطلاق (حتى قضىٰ) ﷺ (حاجته) ثم أمره أن يأمرهن بالعود إلى أماكنهن (فعدنا) بألف الإطلاق أيضاً، وفي الشفاء نحو من هذا لكن مع أسامة بن زيد.

(ونام) ﷺ (في يوم فجاءت شجرة) بالوقف بتاء التأنيث على لغة قليلة، وتلك الشجرة قيل: طلحة وقيل: سمرة (في الأرض) أي تشق الأرض حتى (قامت عنده) وغشيته ثم رجعت إلى مكانها (فذكرت) أي القصة له ﷺ (من

---

(١٨٨) رواه مسلم (٣٠١٢) مطولاً.

(١٨٩) رواه البيهقي في الدلائل (٦/١٨ - ١٩).

بعدما) مصدرية (استيقظ) من النوم (قال) ﷺ (تلكم) أي الشجرة التي ذكرتم أمرها (شجرة استأذنت) ربّها في أن (تسلم) عليّ فأذن لها، الحديث رواه البغوي في شرح السنة[190] (وسلّمت أيضاً عليه) ﷺ (الشجر، ليالي البعث) والوحي إليه تصديقاً له (كذاك الحجر) سلمت عليه.

أخرج البزار وأبو نعيم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: لما أوحي إليّ جعلت لا أمرّ بحجر ولا شجر إلاّ قال: السلام عليك يا رسول الله[191].

وعن عليّ كرم الله وجهه: كنت مع النبي ﷺ بمكّة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلاّ وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله[192] وكذلك ورد تسليم الجمادات وسجودها له قبل البعث.

واذكر سواد بن قارب مع قصته　　وشهد الضب على نبوته
والجذع من نحوه وسبحا　　في كفه الحصا كما قد صحّحا

(و) اذكر معجزة له ﷺ (سواد بن قارب في) أي مع (قِصَّتِهِ) العجيبة، وحاصلها أنّه تكرر في النوم عليه نداء الهاتف يأمره بالإسراع إلى النبي ﷺ والإيمان به ففعل[193]. (وشهد الضب) وهو دويبة معروفة (على نبوته) وحديثه مشهور على الألسنة، قال المازني: لا يصح إسناداً ولا متناً وهو: أن أعرابياً اصطاد ضباً، فلما رأى النبي ﷺ طرحه بين يديه وقال: لا أؤمن بك حتى يؤمن هذا الضب، فقال له: «يا ضب» قال: لبيك وسعديك، قال: «مَن تعبد؟»

(١٩٠) رواه البغوي في شرح السنة (٣٧١٨) والإمام أحمد (١٧٣/٤).
(١٩١) رواه البزار (٢٣٧٣ كشف الأستار).
(١٩٢) رواه أبو نعيم في الدلائل (ص ٣٣١ - ٣٣٢).
(١٩٣) رواه الطبراني في الكبير (٦٤٧٥ و٦٤٧٦) وانظر تعليقنا عليه.

قال: الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه إلىٰ آخر ما قال، ثم قال له: «من أنا؟» قال: أنت رسول ربّ العالمين وخاتم النبيين، فأسلم الأعرابي، الحديث بطوله قيل: وهو موضوع، ورُدّ بأن غايته أنه ضعيف لا موضوع، وفي معجزاته ما هو أكبر منه (١٩٤).

(والجذع) بالذال المعجمة واحد جذوع النخل (حَنَّ) أي صوت وفَعَلَ فِعْلَ المشتاق المفارق عن حبيبه وانعطف (نحوه) ﷺ ومال إلى جهته، اعلم أن حنين الجذع ورد عن جماعة من أكابر الصحابة بطرق كثيرة تفيد التواتر أي المعنوي والقطع بوقوعه كما قاله التاج السبكي في شرح المختصر وسبقه إلى ذلك القاضي عياض، وحاصل قصته:

أن ﷺ كان يخطب مستنداً ظهره إلىٰ جذع نخلة من الجذوع المسقوف عليها المسجد، فلمّا وضع [له] المنبر تخطى الجذع يوم جمعة ليخطب على المنبر حتى يبلغ صوته الناس لكثرتهم، فصاح الجذع حتىٰ سمعه جميع من في المسجد، وفي رواية: أنه خار كخوار الثور حتىٰ ارتج المسجد، وفي أخرىٰ حنّ حنين الناقة إلى ولدها فنزل النبي ﷺ وضمّه إليه رحمةً له حتىٰ سكن، وفي رواية: إن هذا بكى لِما فقد عنده من الذكر عنده، وفي أخرىٰ: «والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل يصوت هكذا إلى يوم القيامة» (١٩٥) تحزناً على رسول الله ﷺ، وهذا من أكبر المعجزات، وفي رواية الدارمي: أنه ﷺ خيّره بين أن يعيده إلى مغرسه الذي كان فيه، فيثمر كما كان، وبين أن يغرسه في الجنّة يأكل أولياء الله تعالىٰ منه، ثم أصغىٰ إليه فقال: بل تغرسني في الجنة، فقال ﷺ: «اختار دار البقاء على دار الفناء» وأمر به فدُفِن (١٩٦) وكان الحسن إذا حدث بحديث الجذع بكى

---

(١٩٤) رواه الطبراني في الصغير (٩٤٨) والأوسط والبيهقي في الدلائل (٦/٣٦ ـ ٣٨) وانظر تعليقنا على «فوائد في الكلام على حديث الغمامة» لابن القيم.

(١٩٥) انظر المعتبر للزركشي وتعليقنا عليه (ص١١٤ ـ ١١٦).

(١٩٦) لم أر هذا عند الدارمي ولا غيره.

ويقول: يا عباد الله الخشبة تحنّ إلى رسول الله ﷺ، فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه، ولله درّ القائل في قصيدته:

وفارق جذعاً كان يخطب عنده ... فـأنّ أنين الأمّ إذ تجد الفقـدا
يحنّ إليه الجذع يا قـوم هكـذا ... أما نحن أولىٰ أن نحنّ لـه وجـدا
إذا كان جذع لم يُطِق بعد ساعـة ... فليس وفاءً أن نطيـق لـه بعـدا

(وسبحا) بألف الإطلاق (في كفه) ﷺ (الحصا) حتىٰ سمع له حنين كحنين النخل، ففي حديث أبي ذرّ قال: تناول النبي ﷺ سبع حصيات فسبحن في يده حتى أسمع له حنين، ثم وضعهن في كفّ أبي بكر فسبحن، ثم في يد عمر فسبحن، ثم في يد عثمان فسبحن أخرجه البزار والطبراني في الأوسط(١٩٧) وفي رواية الطبراني: فسمع تسبيحهن من في الحلقة، ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا وحديث تسبيح الحصا رواه جماعة وهو مشهور لكن في سنده ضعف كما قال القسطلاني وغيره. فقوله (كما قد صحا) ينافيه، ولعله أراد بصحته الشهرة، أو أراد الصحة اللغوية لا عند المحدثين أو اطّلع على من يصححه.

كـذا الطعـام وشكـىٰ البعير ... إليـــه والآخـــر إذ يسير
والآحـزان سجـدا وصححـا ... تبـادر البـدن لـه أن تـدبحا

(كذا) سبح (الطعام) في كفه روى البخاري من حديث ابن مسعود: كنا نأكل مع النبي ﷺ الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام(١٩٨).

---

(١٩٧) رواه البزار (٢٤١٣ و٢٤١٤ كشف الأستار) والطبراني في الأوسط (١٢٦٦) وانظر تعليقنا على المعتبر (ص ١١١ - ١١٣) للزركشي.

(١٩٨) رواه البخاري (٣٥٧٩).

(وشكىٰ البعير: إليه) ﷺ قلة العلف وكثرة العمل، وفي حديث صحيح رواه أبو داود وغيره أنه ﷺ دخل حائط رجل من الأنصار، فرآه جمل فحنّ إليه وزَرِقَت عيناه فمسح قريب رأسه من قفاه، ثم قال لصاحبه: «ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملّكك الله إياها فإنه شكىٰ إليّ أنك تجيعه وتُدْئبُهُ [(١٩٩)] أي تتعبه في العمل (و) شكىٰ البعير (الآخر) إليه أيضاً قلة العلف وكثرة العمل (إذ يسير) النبي ﷺ إلىٰ حاجته، عن يعلى بن مرّة الثقفي: بينا نحن نسير مع النبي ﷺ إذ مررنا ببعير يُسنىٰ عليه أي يُسقىٰ عليه، فلما رآه البعير جَرْجَرَ فوضع جرانه فوقف النبي ﷺ فقال: «أين صاحب هذا البعير؟» فجاءه فقال: «إنه شكىٰ كثرة العمل وقلّة العلف فأحسنوا إليه» رواه البغوي في شرح السنة [(٢٠٠)] (و) البعيران (الآخران سجدا) له ﷺ تعظيماً وتصديقاً ففي حديث أحمد والنسائي: أنّ جماعةً من الأنصار شكوا إليه ﷺ جملهم وأنه امتنع من العمل حتىٰ عطش النخل والزرع، فقال لأصحابه: «قوموا» فقاموا ودخل ﷺ الحائط أي البستان فمشىٰ إلى الجمل فقالوا: يا رسول الله إنه صار كالكلب الكلِب نخاف عليك صولته، فقال: «ليس عليّ منه بأس» فلمّا نظر الجمل إليه أقبل نحوه حتى خرَّ ساجداً بين يديه، فأخذ بناصيته أذلّ ما كان قط حتىٰ أدخله في العمل [(٢٠١)] وعن أبي هريرة رضي الله عنه: دخل النبي ﷺ حائطاً فجاء بعير فسجد له، وروىٰ مثله جابر ويعلىٰ بن مرة وغيرهما كما في الشفاء [(٢٠٢)].

(وصُحِّحا) بالبناء للمفعول أي وصح الحديث الذي فيه (تبادر البُدن) بضم فسكون جمع بَدَنَة بفتحتين (له) ﷺ (أن) أي لأن (تذبحا) بالبناء للمفعول

---

(١٩٩) رواه أحمد (١٧٤٥ و١٧٥٤) وأبو داود (٢٥٤٩) ورواه مسلم (٣٤٢ و٢٤٢٩) وابن ماجه (٣٤٠) مختصراً جداً.

(٢٠٠) رواه البغوي في شرح السنة (٣٧١٨).

(٢٠١) رواه أحمد (٣/١٥٨ ـ ١٥٩) قال ابن كثير في الشمائل (ص٢٥٩) وهذا إسناد جيد.

(٢٠٢) انظر الشمائل (ص٢٥٨ ـ ٢٧٣) لابن كثير.

وبألف الإطلاق، عن عبدالله بن قرط: قرب إلى النبي ﷺ بدنات خمس أو ست أو سبع لينحرها يوم عيد فازدَلَفْنَ إليه بأيهنّ يبدأ (٢٠٣).

وسألته الظبية رفع الأذىٰ كما أخبرته الشاة بالسم إذا

(وسألته) ﷺ (ظبية رفع الأذىٰ) بأن يخلصها من الوثاق لترضع ولدها وتعود، ففي حديث أم سلمة كان النبي ﷺ في صحراء فنادته ظبية: يا رسول الله، قال: ما حاجتك؟ قالت صادني هذا الأعرابي ولي خشفان في هذا الجبل فأطلقني من الوثاق حتى أذهب فأرضعها وأرجع، قال: وتفعلين؟ قالت عذّبني الله عذاب العشار أي المكّاس إن لم أعد فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها فانتبه الأعرابي وقال: يا رسول الله: ألك حاجة؟ قال: تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأنك رسول الله وطرق هذا الحديث وإن كانت ضعيفة لكن يقوي بعضها بعضاً، بل بالغ بعض فزعم صحته وقول ابن كثير إنه موضوع، ردّوه، وقد صح أن الذئب أخبر بنبوته كما جاء بطرق، وفي حديث ضعيف أن الغنم سجدت له، ونظائر ذلك كثيرة وبعضها مذكورة في الشفاء (٢٠٤).

(و) من معجزاته نطق الجمادات معه كما (أخبرته الشاة) المصلية المسمومة (بالسم) بتليث السين والفتح أفصح أي أخبرته بأن فيها سمّاً قاتلاً لوقته (إذا) أي حين سمّتها زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مِشكم بمشاورة اليهود، فأجمعوا على هذا السم بعينه، وأكثرت في الذراع والكتف لما قيل لها: إنه

(٢٠٣) رواه أحمد (٤/٣٥٠) وأبو داود (١٧٦٥) والنسائي في الكبرى.

(٢٠٤) رواه البيهقي في الدلائل (٦/٣٤) وانظر تعليقنا على المعتبر (ص١١٦ - ١١٧) للزركشي.

ﷺ يحب الذراع، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن يهودية أهدت للنبي ﷺ بخيبر شاة مصلية سمتها، فأكل رسول الله ﷺ منها، وأكل القوم فقال ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة فمات بشر بن البراء، وقال لليهودية: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: إن كنت نبياً لم يضرك الذي صنعت، وإن كنت ملكاً أرحت الناس منك قال: فأمر بها فقتلت (٢٠٥) وفي روايةٍ عن أبي هريرة رضي الله عنه فأعرض [فما عرض] ﷺ لها (٢٠٦) وفي رواية جابر ولم يعاقبها (٢٠٧).

وقال ابن إسحاق: تجاوز عنها، وأجاب السهيلي تبعاً للبيهقي [للبلقيني]: إنه تركها أولاً لإسلامها، فلما مات بشر تحقق وجوب القصاص عليها فقتلت، وقيل: قتلها بنقض [بنقضها] العهد بما فعلته، وفي رواية: أخبرتني بالسم هذه الذراع، وحديث الشاة المسمومة مشهورة ورد بروايات. (و) من معجزاته الباهرة ما أطلعه الله عليه من الغيوب والأحاديث في هذا الباب بحر لا يعرف [لا يدرك] قعره، ومحل بسط بعضها كتب دلائل النبوة، وفي الشفاء وغيره نبذة يسيرة منها.

وعـن مصـارع العـدو أخبرا ... في يوم بدر فكما قـال جـرى
وإن من من أمتـه يغـزون في ... بحر ومنهم بنت ملحـان تفـي

(فمنها) أنه ﷺ (عـن مصـارع العـدو) أي مـن المشركين أي أمـاكـن هلاكهم، جمع مصرع، وهو موضع الطرح والهلاك «أخبرا في يوم بدر» حيث قال فيه: لكأني أنظر إلى مصارع القوم» ثم عيَّن، فقال: «هذا مصرع فلان»

(٢٠٥) رواه أبو داود (٤٥١٢).
(٢٠٦) رواه أبو داود (٤٥٠٩).
(٢٠٧) رواه أبو داود (٤٥١٠).

ويضع يده على الأرض هاهنا وهاهنا[٢٠٨] (فكما قال وأخبر جرىٰ) بعد ذلك ولم يتجاوز أحد منهم مكانه (و) أخبر أن طائفة (من) أُمَّتِهِ يغزون في بحر) بركوب السفن (و) أن (منهم) أي من تلك الطائفة أم حزام ويقال أم سليم (بنت ملحان تفي) أي تموت من وفي مخففاً أي تَمَّ فكان كذلك في خلافة معاوية رضي الله عنه جزيرة قبرس [قبرص] كما سيأتي[٢٠٩].

وإن عثمان تصيبه بَلا فجا كما قال وفيه قُتِلا
كذاك في ليلة قتل العنسي وبالذي يقتله إنس

(و) أخبر (أن عثمان) رضي الله عنه (تصيبه بلا) بالقصر للوزن، أي فتنة يقتل فيها ظلماً (فجا) قصر للوزن (كما قال) ﷺ (وفيه) أي في ذلك البلاء في أيام خلافته (قتلا) كما سيجيء (كذاك) أخبر ﷺ في (ليلة) بالإضافة (قتل) الأسود الكذاب على الله تعالى بدعوى النبوة عبهلة بن كعب العنسي بسكون النون وتخفيف الياء نسبة إلى عنس قبيلة باليمن بقتله في تلك الليلة (و) أخبر أيضاً (بالذي يقتله) أي بالذي قتل العنسي (من إنس) بكسر فسكون بيان الذي احتراز عن نحو الجن والملك وذلك القاتل من الإنس هو فيروز الديلمي، عن ابن عمر رضي الله عنهما أتى الخبر إلى النبي ﷺ من السماء في الليلة التي قتل فيها الأسود العنسي[٢١٠]، فخرج ﷺ قبل موته بيوم، فأخبر الناس

---

(٢٠٨) رواه مسلم (١٧٧٩) وأبو داود (٢٦٨١).

(٢٠٩) رواه البخاري (٢٧٨٨ و٢٧٨٩ و٢٧٩٩ و٢٨٠٠ و٢٨٧٧ و٢٨٧٨ و٢٨٩٤ و٢٨٩٥ و٢٩٢٤ و٦٢٨٢ و٦٢٨٣ و٧٠٠١ و٧٠٠٢) ومسلم (١٩١٢) وأبو داود ٢٤٩٠ و٢٤٩١ و٢٤٩٢) والترمذي (١٦٤٥) والنسائي (٦/٤٠ - ٤١) وأم حرام هي أخت أم سليم.

(٢١٠) رواه البخاري (٣٦٧٤ و٣٦٩٣ و٣٦٩٥ و٦٢١٦ و٧٠٩٧ و٧٢٦٢) ومسلم (٢٤٠٣) والترمذي (٣٧١١) من حديث أبي موسى.

بذلك فقال: «قتل الأسود البارحة قتله رجل مبارك» قيل: ومن هو؟ قال ﷺ: «هو فيروز، فاز فيروز» فبشر ﷺ بقتل الأسود وقبض من الغد [٢١١]. فأتى خبر مقتله المدينة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وقد كان أسود العنسي ومسيلمة الكذاب يضلان أهل بلدهما خفيةً؟ فلما سمع بمرض موته ﷺ ظهر أمرهما، روى ابن عباس رضي الله عنهما.. أنه ﷺ خرج عاصباً رأسه من الصداع، وقال: «إني رأيت البارحة فيما يرى النائم أن في عضدي سوارين من الذهب فكرهتهما فطارا فوقع أحدهما باليمامة والآخر باليمن» فقيل: وما أولتهما؟ قال: «أولتهما هذين الكذابين صاحب اليمامة وصاحب اليمن» [٢١٢] أي مسيلمة والأسود العنسي، ومن أمر الأسود: أنه كان كاهناً مشعبذاً يُري الناس الأعاجيب وكان حلو الكلام يفتتن الناس به، ولقبوه بذي الخمار بالخاء المعجمة لتغطية وجهه بخمار، وقال الكرماني: لأن النساء يجعلن روثه في خمارهن تبركاً، وقيل بالحاء المهملة لأنه كان له حمار إذا قال له: قِف وقف، وكان يزعم أن ملكين يكلمانه، قيل: كان له شيطانان: سحيق وشهيق يخبرانه بالحوادث بين الناس، وأطاعه بنو الحارث من أهل نجران وناس من عَنْسٍ وبني مذحج، ومكنوه في بلادهم وارتدوا عن الإسلام، فلما مات باذان الفارسي عامل رسول الله ﷺ بصنعاء استولى الأسود عليها وغلب على اليمن، وخرج معاذ بن جبل هارباً حتى مرّ بأبي موسى الأشعري وهو بمأرب بلاد الأزد، فاقتحما حضر موت، ورجع عمر بن خالد إلى المدينة، فغلب أمر الأسود واستطار استطارة الحريق، فتزوج المرزبانة امرأة باذان الفارسي، وكانت من عظماء فارس فقسرها على ذلك فأبغضته أشدّ البغض، وكانت بنت عم فيروز الديلمي، فكتب ﷺ إلى معاذ ومن معه من المسلمين وأمرهم بحثّ الناس على التمسك بدينهم، وإلى النهوض إلى حرب الأسود، إما غيلة وإما مصادمة، فاستمدّوا بمن حولهم من

---

(٢١١) انظر الإصابة (٣٨١/٥) ترجمة فيروز الديلمي.

(٢١٢) رواه البخاري (٤٣٧٩) وفي أماكن أخرى.

حمير وهمدان، فدخلوا على زوجته، فقالوا: هذا قتل أباكِ وزوجكِ، فما عندك؟ قالت: هو أبغض خلق الله إليّ وهو مجرّد والحرّس محيطون بقصره إلاّ هذا البيت فانقبوه عليه، فدخل فيروز الديلمي ورجل آخر فقتله فيروز، فخار كأشدّ خوار ثور، فابتدر الحرّس إلى الباب فقالوا: ما هذا؟ فقالت المرأة: النبي يوحىٰ إليه فإليكم عنه، وقد كان يجيئه شيطانه فيوسوس إليه فيغطّ فيعمل بما قال، فلما طلع الفجر نادىٰ المسلمون بالأذان، وقالوا فيه: أشهد أن محمداً رسول الله وأن عبهلة كذّاب، وأغاروا وتراجع أصحابه ﷺ إلى أعمالهم، وكتبوا بالخبر إلى النبي ﷺ فسبقه الوحي إليه.

وأخبر النبي بـــالشهـــادة — جاعـة فـرُزقـوا الشهـادة
كثابـت وعمـــر بـــالنــص — فعنـدمـا بلغـه عـن شخـص
بـأنـه ارتـد ومـــات إن — الأرض لا تقبلـه فما دفـــن
إلا وألقتــه وقـــال وقتـــا — لآكــل الشمال لا استطعتـــا

(وأخبر النبي) ﷺ (بالشهادة) أي بقتلهم في سبيل الله (جاعة) من الصحابة (فرزقوا السعادة) الأخروية (كثابت) بن قيس بن شمّاس الأنصاري قال له: «تعيش حميداً وتقتل شهيداً» رواه الحاكم وصححه البيهقي(٢١٣) فقتل يوم اليمامة (وعمر) بن الخطاب وعثمان وعليّ وغيرهم رضي الله عنهم، وروى البخاري: أنه ﷺ كان على أُحُد ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم فضربه ﷺ برجله وقال: «أُثبتْ أُحُد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»(٢١٤).

---

(٢١٣) رواه الحاكم (٣/٢٣٤) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، والبيهقي في دلائل النبوّة (٦/٣٥٦) وفي نسخة القاضي وصحّحه البلقيني.

(٢١٤) رواه البخاري (٣٦٧٥ و٣٦٨٦ و٣٦٩٩).

وروي: أنه ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعثمان وطلحة وعلي والزبير، فتحركت الصخرة فقال ﷺ: «اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» وغير ذلك من الأحاديث فيهم، وأخبر أيضاً بقتل عمار بن ياسر وبقتل الحسين، وأمراء غزوة مؤتة وغيرهم وكذا أخبر بوقعة الجمل وصفين، وقتال عائشة والزبير لعليّ، وبأن معاوية يلي أمر أمته وغير ذلك مما يطول ذكره واشتهر في الأحاديث أمره وذلك (الأخبار بالنص) في الأحاديث (فعندما) مصدرية (بلغه) ﷺ (عن شخص) أي رجل (بأنه) الباء زائدة (ارتدّ) ولحق بالمشركين (ومات) بعد ذلك قال ﷺ (إن، الأرض لا تقبله) بأن يدفن فيها (فما دُفِن) ذلك المرتد (إلاّ وألقته) أي الأرض إلى ظاهرها ولم تقبله.

وفي الشفاء دعا ﷺ على مُحَلِّم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الأرض، ثم ووري أي دفن فلفظته مرات فألقوه بين صدّين ورضموا عليه بالحجارة(٢١٥) (وقال) ﷺ (وقتا) أي في وقت (لآكل الشمال) أي لرجل اسمه بسر يأكل بشماله: كل بيمينك فقال كذباً: لا أستطيع، فقال له: «لا استطعتا» دعا عليه.

فما استطاع بعدها رفع يده	ولا يمدّها لنحو جسده
ودخل البيت الحرام عاما	الفتح لما أن رأىٰ الأصناما
ومعه ذاك القضيب وهوا	إذا أشار نحو واحد هوا
والصخرة التي عصت بالخندق	على المعاول فلم تنفلق
فعندما ضربها النبيّ	صارت كثيباً كل ذا مرئي

(فما استطاع)(٢١٦) ذلك الرجل (بعدها) أي بعد الدعوة عليه (رفع يده)

---

(٢١٥) انظر الإصابة (٥/٧٨٦).

(٢١٦) رواه مسلم (٢٠٢١).

إلى فيه (ولا يمدها) أي اليد (لنحو) سائر (جسده) وقال أيضاً لامرأة: أكلك الأسد فأكلها، ودعا على كسرى بتمزيق ملكه فلم تبق له باقية، ولا بقيت لفارس رياسة في أقطار الدنيا، ودعا على مضر فأُقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا وغير ذلك، ودخل ﷺ (البيت الحرام) أي الكعبة (عاما) بألف الإطلاق (الفتح) أي فتح مكة، وهو مضاف إليه لعام وجعل ألفه للقطع ضرورة (لما أن رأى الأصناما) المعلقة بالكعبة وهو ﷺ في الطواف، معلقةً بالكعبة وكانت ثلثمائة وستين صنماً مثبتة بالحديد والرصاص كما مرّ في غزوة الفتح (و) كان (معه) في يده (ذاك القُضَيّبُ) المعروف وهو العصا الممشوق أي الطويل كما مرّ (وهو) ﷺ (إذا أشار) بالقضيب كما في المختصر لابن سيد الناس (نحو واحد) من تلك الأصنام المعلقة حول الكعبة (هوا) أي سقط لوجهه مع شدة ثباته حتى تساقط كلها، وفي رواية ابن عباس: فجعل ﷺ يأتي صنماً صنماً ويطعن في عينه أو بطنه بمخصرته ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، فينكبّ الصنم لوجه حتى ألقاها جميعاً، وفي رواية غيره صار يطعن الأصنام المثبتة بالحديد والرصاص بمحجنه الحديث[٢١٧].

(و) مما ظهر فيه باهر معجزاته (الصخرة التي عصت) وآمتَنَعَت (بالخندق) حول المدينة يوم الأحزاب (على المعاول) متعلق بعصت جمع معول بوزن منبر وهو حديد ينقب بها الأحجار والجبال[٢١٨] (ولم تنفلق) أي لم تنشق (فعندما) مصدرية (ضربها النبي) ﷺ ضربةً [ضربتان] أو ثلاثاً (صارت كثيباً) أي تلاً من رمل (أهيل كلّ ذا) أي المذكور (مرئي) للناس.

ففي الصحيحين عن جابر كنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية وهو بضم فمهملة فتحتية قطعة صلبة، فجاؤا للنبي ﷺ، فقالوا: هذه كدية عرضت في

(٢١٧) انظر فتح الباري (٨/١٦ - ١٧) في شرح حديث ابن مسعود عند البخاري (٤٢٨٧).

(٢١٨) في نسختي ينقر بها الجبال.

الخندق، فقام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً، فأخذ ﷺ المعول فضربه فعاد كثيباً أهيل أو أهيم وهما بمعنى[٢١٩]، زاد الإمام أحمد والنسائي بإسناد حسن أن تلك الصخرة لا تعمل فيها المعاول، وأنه ﷺ قال: بسم الله وضربها ضربة فنشر ثلثها فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام وإني والله لأبصر قصورها الحمر الساعة، ثم ضرب فقطع ثلثاً فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس وإني والله لأبصر قصور المدائن البيض، ثم ضرب الثالثة فقال: بسم الله فقطع بقية الحجر فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن وإني والله لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة[٢٢٠].

ويوم بدر لعكاشة عجب   انكسر السيف فأعطاه حطب
فصار سيفاً لم يكن كحده   وبعد ذاك لم يزل من عنده

(و) روى ابن اسحاق أنه وقع (يوم بدر لعكاشة) بن محصن الأسدي وهو بضم العين وتخفيف الكاف ويجوز تشديدها لا هنا أي وقع في حقه يومئذ (عجب) أي فعل خارق معجزة له ﷺ وهو أنه (انكسر السيف) أي انقطع سيف عكاشة في القتال (فأعطاه) ﷺ جذلاً (من حطب) فقال له قاتل به فهزه (فصار) في يده (سيفاً) طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين (لم يكن كحده) أي لم يوجد حد سيف كحده وحد السيف بفتح الحاء شبابة أي حد طرفه وذلك السيف يسمى العون[٢٢١]. (وبعد ذاك) أي بعد بدر لم يزل السيف (من عنده) وشهد به المشاهد كلها معه ﷺ

---

(٢١٩) رواه البخاري (٤١٠١)
(٢٢٠) رواه أحمد (٣٠٣/٤) من حديث البراء بن عازب والنسائي (٤٣/٦ - ٤٤) عن رجل من أصحاب النبي.
(٢٢١) سيرة ابن هشام (٢٧٧/٢ - ٢٧٨).

واستشهد في قتال أهل الردة وهو عنده ودفع ﷺ يوم أحد عسيب نخل لعبدالله ابن جحش، وقد ذهب سيفه فعاد في يده سيفاً كما في الشفا.

وإذ أتـت امـرأة معهـا صبي | أقرع فاستولـت بـه يـد النبي
فنبـت الشعـر ولم يبـق أذىً | فسمعـت أهل اليمامـة بـذا
فجـاءت أخـرى بصبي آخـر | إلى مسيلمـة ذاك الفـاجـر
وكان مثل ذاك أيضاً أقرعـا | فعنـد مسـه لـه تصلعـا
وورث الصلـع كـل نسلـه | فانظر لسر المصطفىٰ وفضله

(و) اذكر (إذ أتته امرأة معها صبي) لما إليه ﷺ (أقرعُ) نعت صبي (فاستولت به) أي عليه (يد النبي) يعني مسح رأسه (فنبت الشعر) بفتح الشين على رأسه (ولم يبق) به ببركة يده ﷺ (أذىً فسمعت أهل اليمامة) بلد مشهور باليمن فيها مسيلمة الكذّاب (بذا) أي بشفاء ذلك الصبي بمسحه ﷺ له (فجاءت) امرأة (أخرىٰ بصبي آخر) بكسر الراء للوزن (إلى مسيلمة ذاك الفاجر) أي الكذّاب على الله تعالىٰ بدعوىٰ النبوّة (وكان) ذلك الصبي (مثل ذلك) الصبي الذي أتي به إلى النبي ﷺ (أيضاً) تأكيد (أقرعا، فعند مسّه) أي مسح مسيلمة (له) أي لرأس ذلك الصبي (تصلعا) أي انحسر ما بقي من شعر رأسه ليظهر شؤمه (وورث الصلع) بفتح اللام هو انحسار شعر مقدم الرأس وأراد به هنا جميع الرأس (كلٌّ) فاعل ورث (نسلِهِ) أي ذرية ذلك الصبي (فانظر لسرّ) النبي (المصطفىٰ) ﷺ (وفضله) على الخلق بظهور الخوارق على وفق دعواه لصدقه، وانظر إلى افتضاح ذلك اللعين بظهور الخارق على ضد دعواه لكذبه على الله تعالىٰ، ولمّا سمع اللعين أن النبي ﷺ مجّ في بئر فكثر ماؤها، وتفل في عين عليّ فبرىء، تفل اللعين في بئر فغار في الأرض ماؤها، وفي عين بصير فعمي، ومسح ضرع شاة حلوب فارتفع درّها ويبس ضرعها، وإلى

ذلك أشار العلامة القراطسي في قصيدته النبوية يمدح بها النبي ﷺ ويذم مسيلمة الكذاب:

ومرّت البئر واغورّت بمجته [لمجته] فيها وأعمى بصير العين بالتفل
وأيبس الضرع منه شؤم راحته من بعد إرسال رسل منه منهمل

ووقع له ﷺ نظائر، مذكورة بعضها في الشفاء: **منها** أنه مسح صدر صبي لامرأة به جنون فبرىء[222] **ومنها** أنه رُمِيَ كلثوم بن الحصين يوم أُحُد في نحره فبصق ﷺ فيه فبرىء[223] **ومنها** أنه نفث في عيني فُدَيك وكانتا قد ابيضتا فعوفي، فكان يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين سنة[224]

أليس من صاع شعير أطعما ألفاً وما زال الطعام أعظما

(أليس) استفهام إنكار (من صاع شعير) وشاة (أطعما) ﷺ (ألفاً)، فعن جابر رضي الله عنه قال: قلت لامرأتي في غزوة الخندق: هل عندك شيء فإني رأيت برسول الله ﷺ جوعاً شديداً، فأخرجت جراباً فيه صاع من شعير ولها بهيمة داجن أي شاة سمينة، فذبحتها أي أنا وطحنت أي زوجتي الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة، ثم جئته ﷺ وأخبرته الخبر سرّاً وقلت له تعال أنت ونفر معك، فصاح يا أهل الخندق إن جابراً صنع سوراً بسكون الواو بلا همزة أي

---

(٢٢٢) رواه أحمد (٢١٣٣ و٢٢٨٨ و٢٤١٨) والطبراني في الكبير (١٢٤٦٠) والدارمي (١٩) وفيه فرقد السبخي وهو ضعيف.

(٢٢٣) انظر ترجمة كلثوم هذا في الإصابة.

(٢٢٤) ومن طريق ابن أبي شيبة رواه الطبراني في الكبير (٣٥٤٦) والبيهقي في الدلائل (١٧٣/٦) وفيه من لم يعرفهم الحافظ الهيثمي.

طعاماً يدعو الناس إليه، واللفظة فارسية كما في النهاية، فحيهلا بكم أي هلمّوا مسرعين، فقال ﷺ: لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتىٰ أجيء، فجاء برجال، فأخرجت له عجيناً فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيه وبارك، ثم قالت: ادعي خابزةً لتخبز معكِ واقدحي أي اغرفي من برمتك ولا تنزلوها، وهم ألف فأقسم بالله لأكلوا حتىٰ تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط أي تغلي ويُسمَع لها غطيطها كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو، رواه البخاري ومسلم(٢٢٥) وبه يعلم أن قوله (ومازال الطعام أعظما) أي أكثر مما كان عليه كما في مختصر ابن سيد الناس، لا يوافق ما في الحديث من أن العجين والبرمة كما هي فتأمله.

والجيش قد أطعمهم من تمر قُلّ فَعَمَّ كلهم بالكُثْر
واذكر لهم إذ فضل أزوادٍ جمع وعندما فرّقها على النطع

(والجيش) العظيم (قد أطعمهم) ﷺ (من تمر) في بعض غزواته (قُلّ) بضم القاف (فعمّ) [أي] قليل [فعم] ذلك التمر ببركة دعائه (كلهم بالكثر) بضم فسكون بمعنى الكثرة أي بسبب كثرته، ففي الشفاء قال أبو هريرة أصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله ﷺ: «هل من شيء؟» قلت نعم شيء من التمر في المِزوَد، قال: «فائتني به» فأدخل يده فأخرج قبضةً فبسطها ودعا بالبركة، ثم قال: «ادعو عشرةً» فأكلوا حتى شبعوا، ثم عشرةً كذلك حتىٰ أطعم الجيش كلهم وشبعوا، قال: «خذ ما جئت به، وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبّه» فقبضت علىٰ أكثر مما جئت به فأكلت منه، وأطعمت أي غيري حياة رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر إلى [أن] قتل عثمان، فانتُهِبَ مني فذهب،

(٢٢٥) رواه البخاري (٣٠٧٠ و ٤١٠١ و ٤١٠٢) ومسلم (٢٠٣٩).

وفي رواية: فقد حملت من ذلك التمر خمسين وسقاً في سبيل الله تعالىٰ، وفي رواية: إن التمر كان بضع عشرة تمرة، وذلك في غزة تبوك.

(و) اذكر معجزةً له ﷺ (لهم) متعلق بجمع بعده (إذ فضل الأزواد) جمع زاد أي ما فضل من أزوادهم في أوعيتهم (جمع) ﷺ في غزوة تبوك (وعندما) مصدرية (فرّقها) أي فضلات أزوادهم للقوم على (النطع) فيه لغات أفصحها كسر النون وفتح الطاء، وهو بساط من أدم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

أصاب الناس في غزوة تبوك مجاعة، فقال عمر: يا رسول الله ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة، فقال: نعم، فدعا بنطع، فبُسِط ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكفّ ذرة، والآخر بكسرة حتىٰ اجتمع شيء يسير، ثم دعا ﷺ بالبركة، ثم قال: خذوا في أوعيتكم فأخذوا في أوعيتهم حتىٰ ما تركوا في العسكر وعاءً إلاّ ملأوه، قال: فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة، فقال رسول الله ﷺ: أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وأني رسول الله لا يلقىٰ الله بهما عبد غير شاك فحجز عن الجنّة، رواه مسلم[٢٢٦].

وإذ أتىٰ أبـو هـريـر في غَـدِهِ ... بتمـرات صفهـن في يَـدِهِ
قـال ادع لي في هـذه بـالبركـة ... فعنـدمـا دعـىٰ النبي تـركـه
بمـزودٍ لـه وبعـد قـال قـد ... أخرجت منه طول عمري ما نفد
واذكـر مضيفـه لأهـل الصفـة ... وجمعـه الثريـد وسـط القصعـة

(و) اذكر (إذ أتىٰ أبو هـرير) بحذف التاء للوزن، كنّاه ﷺ بأبي هريرة واسمه عبدالرحمٰن على الأصح من نحو ثلثين قولاً (في غده) أي في بكرة يومه إلى النبي ﷺ (بتمرات) قليلة (صفهن في يده) وظاهره أن هذه القصة غير

(٢٢٦) هو عند مسلم (٢٧) وانظر دلائل النبوّة (٦/١٠٩ - ١١١) للبيهقي.

قصة إطعام الجيش من التمر اليسير، وبه يشعر ما في مختصر ابن سيد الناس، وظاهر ما مرّ عن الشفاء أنها واحدة، وأن تلك التمرات هي التي بقيت من طعام الجيش، ثم طلب أبو هريرة منه ﷺ أن يدعو فيها بالبركة، وبه صرّح العراقي في ألفيته (قال) أبو هريرة يا رسول الله (أدع لي في هذه بالبركة فعندما دعى النبي) ﷺ بالبركة فيها (تركه) أي أبو هريرة ذلك التمر (بمزود) أي فيه وهو بكسر الميم وسكون الزاء وعاء الزاد (له) نعت (وبعد قال قد، أخرجت منه) أي من التمر الذي في المزود للطعام والإطعام (طول عمري) أي في مدة حياتي إلى الآن (ما نفد) بكسر الفاء أي ما فقد (٢٢٧).

(واذكر مضيفه) مصدر ميمي أي ضيافته ﷺ (لأهل الصفة) بضم الصاد وتشديد الفاء، وهم كما في النهاية فقراء المهاجرين، ولم يكن له منزل من غيرهم كالأضياف فكانوا يبيتون في صفة مسجده ﷺ، وهي موضع فطلّل من المسجد (و) اذكر أيضاً (جمعه الثريد) وهو الخبز المفتوت في الإدام وغالب إطلاقه ما يكون بمرق اللحم (وسط القصعة) التي دعا إليها أهل الصفة قال أبو هريرة لما أكل أهل الصفة من قصعة الثريد جعلت أتطاول ليدعوني حتى قام القوم، وليس في القصعة إلاّ اليسير في نواحيها فجمعه ﷺ فصار لقمةً فوضعها على أصابعه وقال: كل بسم الله فوالذي نفسي بيده: مازلت آكل منها حتى شبعت رواه ابن سيد الناس في مختصره.

وفي الشفاء وغيره عن أبي هريرة قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أدعو أهل الصّفة فتبعتهم حتى جمعتهم فوُضِعتْ بين أيدينا صحفة فأكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت إلاّ أن فيها أثر الأصابع رواه أبو نعيم والطبراني (٢٢٨)، وعنه أيضاً أُهدِيَ إليه ﷺ لبن في قدح وكان بي جوع فأمرني: أن أدعو أهل

---

(٢٢٧) رواه الترمذي: (٣٨٣٨) والبيهقي في الدلائل: (٦/١٠٩).

(٢٢٨) رواه الطبراني في الأوسط (ص ٣٣٢ مجمع البحرين).

الصفة، فقلت ما هذا اللبن فيهم؟ كنت أحق أن أصيب شربةً منه أتقوّىٰ بها فدعوتهم فشربوا حتّىٰ رووا جميعهم، ثم أمرني أن أشرب فشربت، ثم قال: اشرب ومازال يقولها وأشرب حتى قلت: لا، والله الذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكاً، فأخذ ﷺ القدح فحمِد الله تعالىٰ وسمّىٰ وشرب الفضلة (٢٢٩).

رواه عياض في الشفاء، فهذه ثلاث واقعات إن صحت كلّها، وورد في تكثير الطعام ببركته ﷺ نظائر لما ذكر [بالبركة بدعائه ﷺ نظائر كما ذكر] لا يسع المقام ذكرها.

كذاك نبع الماء من أصابعه   كما روىٰ رائيه عند سامعه

(كذاك) أي من معجزاته الباهرة التي لم يسمع بها من غير نبينا ﷺ (نبع الماء) أي في عدة مواضع [مواطن] في مشاهد عظيمة، وورد بطرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي بوقوعه كما قاله القرطبي وغيره (من) بين (أصابعه) أي من بين عظمه ولحمه وعصبه ودمه، وهو أبلغ من نبع الماء من الحجر بضرب موسىٰ عليه الصلاة والسلام، لأن الحجر يؤلف منه خروج الماء ولا كذلك البدن قاله المزني صاحب الشافعي رضي الله عنه (كما روىٰ) ذلك (رائيه) أي من رأىٰ نبع الماء بعينه (عند سامعه) أي عند من سمعه وحفظه ولم ينكر عليه، وهو متعلق بروىٰ، يعني أن رواة حديث نبع الماء قد رووه وأشاعوه وذكروا حضور الجمع العظيم له، ولم ينكر أحد من السامعين عليهم أنهم ما شاهدوه، فصار كتصديق جميعهم له، ومن تلك المواطن ما في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه: أن الناس احتاجوا لصلاة العصر فلم يجدوا الماء فأُتي رسول الله ﷺ بوَضوء فوضع يده في ذلك الإناء فنبع الماء من بين أصابعه حتىٰ توضأوا كلّهم، زاد البخاري:

---

(٢٢٩) رواه البخاري (٦٢٤٦) والترمذي (٢٤٧٩).

وكانوا ثمانين وأن الماء نبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه (٢٣٠) وفيهما عن جابر أنه ﷺ يوم الحديبية كان يتوضأ من ركوة، فجاؤوه يشتكون العطش فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فتوضأوا كلهم وشربوا وكانوا ألفاً وخمسمائة، بل قال جابر: لو كنا مائة ألف لكفانا (٢٣١) ووقع نظير ذلك في غزوة بواط كما في مسلم، وفي غزوة تبوك كما في رواية ابن شاهين.

وما شكوا إليه في تبوكِ	وهم عطاش خشية الهلاكِ
والماء لا يكفي لفرد نفس	ناولهم سهماً لأجل غرس

(و) من معجزاته (ما) مصدرية (شكوا إليه) ﷺ (في) غزوة (تبوك) (وهم عطاش) بالكسر جمع عطشان (خشية الهلاك) أي حال كونهم يخشون الهلاك أو مفعول له لشكوا (والماء) أي الذي وردوا عليه (لا يكفي) لقلته (لفرد نفس) بسكون الفاء أي لا يروي شخصاً واحداً والإضافة كجرد قطيفة (ناولهم) أي أعطاهم (سهماً) من كنانته (لأجل غرس) أي أمرهم بغرسه فيه.

ففار الماء وارتوى الملا	وهم ثلاثون ألوفاً كمّلا
وجاء قوم فشكوا إليه	ملوحة الماء فأتى عليه

(ففار) بالفاء أي غلىٰ وبرز متدفقاً (الماء وارتوىٰ الملا) أي القوم والجماعة معه (وهم ثلاثون ألوفاً) مفعول لمقدر من نحو أعلىٰ لا تمييز، وإلاّ وجب إفراده (كُمّلا) بضم فتشديد جمع كامل، واختلفوا في عدد من معه ﷺ في تبوك،

(٢٣٠) رواه البخاري (١٦٩ و١٩٥ و٢٠٠ و٣٥٧٢ و٣٥٧٣ و٣٥٧٤ و٣٥٧٥) ومسلم (٢٢٧٩) والنسائي (١/٦٠) والترمذي (٣٦٣٥).

(٢٣١) رواه البخاري (٣٥٧٦ و٤١٥٢ و٤١٥٣ و٤١٥٤ و٤٨٤٠ و٥٦٣٩) ومسلم (١٨٥٦).

فقيل ثلاثون ألفاً وقيل أربعون ألفاً وقيل سبعون ألفاً، ثم الذي ذكره من وضع سهم من كنانته في محل الماء يوم تبوك تبع فيه مختصر ابن سيد الناس.

وفي البخاري وغيره: إن وضع السهم كان يوم الحديبية وعليه اقتصر القاضي عياض والقسطلاني وغيرهما وورد في تبوك: أنهم شكوا إليه العطش فطلب فضلة الماء فأوتي بها في صحيفة، ثم وضع ﷺ راحتيه فيها فتخللت عيون بين أصابعه فرووهم وإبلهم وتزوّدوا رواه ابن شاهين، وصحّ على مقال في بعض رواته: أن العطش اشتدّ بهم في تبوك حتى كادت رقابهم تنقطع، وكان الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل الباقي على كبده، فرغب إليه ﷺ أبو بكر أن يدعو لهم، فقال: أتحبون ذلك قالوا نعم، فرفع ﷺ يده ولم يراجعها حتّى قالّت السماء أي تهيأت للمطر فانسكبت حتى ملأوا ما معهم من آنية، ثم ذهبوا ينظرون فلم يجدوها حتى جاوزت العسكر (وجاء قوم فشكوا إليه) ﷺ (ملوحة الماء) أي بالقصر أي ماء بئرهم (فأتي) ﷺ عليه وسلم واقفاً (عليه) مع نفر من أصحابه كما في مختصر ابن سيد الناس.

وقال في بئرهم فتفلا — فانفجر الماء وفي الحال حلا
واذكر إذا ما كسرت رجل أبي — رافع لمسها كف النبي
فلم يكن شاكيها من بعد — وصار مما كان أقوى يعدو
وكم له معجزة ما ذكرت — ولو يرام حصرها ما انحصرت

(وقال) أي أشار (في بئرهم) أي إليها (فتفلا) أي بزق فيها (فانفجر الماء وفي الحال) أي حال تفله فيها (حلا) أي صار الماء حلواً، ورُوِيَ أنه ﷺ مجّ في دلو من بئر ثم صبّ فيها ففاح منها رائحة المسك، وبزق في بئر كانت في دار أنس فلم يكن بالمدينة أعذب منها وسكب من فضل وضوئه في بئر قباء فما نزفت بعد، ومرّ على ماء فسأل عنه فقيل له: اسمه بيسان وماؤه

ملح فقال: بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب ذكرها في الشفاء، (واذكر) معجزةً له (إذا ما كسرت رجل أبي رافع إذ) بدل من إذ السابق (لمسها) ومسحها (كفّ النبي) ﷺ (فلم يكن) أبو رافع (شاكيها) أي تلك الرجل (من بعد) أي من بعد لمسه ﷺ (وصار) أبو رافع (مما كان) مفضّل عليه مقدم وهو جائز بقلة (أقوى) أفعل التفضيل منصوب بقوله (يعدو) الخبر لصار، وفي الشفا: ونفث ﷺ على ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر فبرئت، وعلى رجل زيد بن معاذ حين أصابها السيف في قتل كعب بن الأشرف فبرئت، وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق إذ انكسرت فبرىء مكانه وما نزل عن فرسه، وبصق أثر سهم في رجل أبي قتادة في يوم ذي قرد فعوفي انتهى[٢٣٢].

وقد تقدم أن عبدالله بن عتيك انكسر ساقه لما قتل أبا رافع اليهودي، فقال له ﷺ: «ابسط رجلك» فمسحها فكأنه لم يشتكها قط، وأما أبو رافع الذي ذكره الناظم تقليداً لمختصر ابن سيد الناس فلا أستحضر الآن من هو؟ مع شدة الفحص عنه (وكم له) أي كثير له ﷺ (معجزة ما ذكرت) أي هنا، وقد ذكرت في أثناء الشرح بعضاً منها زيادةً على ما ذكر (ولو يرام) أي يطلب (حصرها) في كتاب أو ديوان وحساب (ما انحصرت) إذ ما من معجزة لنبي قبله إلاّ وله ﷺ مثلها أو أعظم منها كما بينه الأئمة ولا يسع المقام بيانه، ثم زاد ﷺ عليهم بمعجزات لم يصحّ ولم يقع نظيرها لأحد منهم كالقرآن وانشقاق القمر وحنين الجذع، وأعظم المعجزات وأشهرها: القرآن فإنه لا يكاد تنحصر معجزاته، والإشارة إلى وجه ذلك أن ما وقع به الإعجاز، أقلّه سورة الكوثر أو آية في قدرها، وذهب بعض المحققين إلى أنّ كل آية منه كيف كانت معجزة، وإذا كان هذا فقد تعدد الإعجاز بعدد السور والآيات، ثم إعجازه من جهة

---

(٢٣٢) انظر نسيم الرياض (١٠٥/٣ و١٠٩ - ١١٠) شرح الشفاء.

بلاغته ومن جهة نظمه، فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان، فتضاعف العدد من هذا الوجه، ثم فيه وجوه إعجاز أخر من الإخبار بعلوم الغيب، فقد يكون في سورة واحدة إخبار بأشياء من الغيب كل خبر فيها بنفسه معجزةٌ مستقلة، فتضاعف العدد مرةً أخرى، وهكذا فلا يكاد يحوي الحصر معجزات القرآن مع قطع النظر عن غيرها.

وكم لـه مـن بعـده مـن آيـة ... تبلـغ في تصـديقـه النهـايـة
كـل كـرامـة أتـت لأمتـه ... فـإنها تكـون مـن معجـزتـه

(وكم) أي كثير (له من بعده) أي بعد وفاتِهِ (من آية) معجزة، وسميت المعجزة في القرآن آيةً وبرهاناً في مواضع [موضع] (تبلغ) تلك الآيات (تصديقه) أي في دعوى النبوة (النهاية، إذ كل كرامة) خارقة للعادة (أتت لأمته) أي لصلحاء أمته (فإنّها تكون من معجزاته) في الحقيقة لأنه السبب والوسيلة في ذلك، فتدلّ على تصديقه حيث نال أولياء أمته باتباعهم له ذلك، ثم تسمية ذلك معجزةً مجاز أو جري على اصطلاح السلف كالإمام أحمد وغيره، فإنهم يطلقون المعجزة على كل أمر خارق ليس بسحر كما قاله القسطلاني، لكن الأشهر الذي عليه أكثر أهل العلم والكلام وغيرهم: أن المعجزة لا تطلق حقيقةً إلاّ على الأمر الخارق المقرون بدعوى النبوّة الدال على صدق مدّعيها، وأما الخارق قبل النبوة كظلال الغمام وشق الصدر، وخمود نار فارس، وغيرها مما مرّ لنبيّنا ﷺ إرهاصات، أي تأسيسات [فيسمى إرهاصاً أي تأسيساً] للنبوّة، وأمّا الخارق بعده مما وقع لخواص أمته في كل زمن مما لا يحصى فيسمّى كرامةً.

كـذاك كـل حسنـات تفعـلُ ... فـإن أجـرهـا لـه يكمَّـلُ
لأنـه الذي أتـى بـالـدليـل ... صلى عليـه الله كـل حين

(كذاك كل حسنات تفعل) في أمته إلى قيام الساعة فهي زيادة في [من] كرامته وسبب لرفعته (فإنّ أجرها) أي تلك الحسنة مع عدم النقص من أجر صاحبها (له) ﷺ (يكمّل) (لأنه الذي أتىٰ بالدين) القويم الناسخ لسائر الأديان (صلّى عليه الله كل حين) فيه حسن الختام حيث ختم ما يتعلق بسيرته ﷺ بما ختم به الديباجة من الصلاة عليه قد كمّل بحمدالله وحسن توفيقه شرح سيرته ﷺ من ذات الشفاء، وأرجو الله أن يمنَّ عليّ من هامع جوده وكرمه وواسع فضله ونعمه بإتمام شرح سيرة الخلفاء منها، إنه على ما يشاء قدير والمنّ بذلك عليه يسير.

(سيرة الخلفاء الراشدين)

أما أبو بكر فبعده ولي   وذاك بالإجماع أو نص جلي

خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه (أمّا أبو بكر) الصديق كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة فسمّاه النبي ﷺ: عبدالله كما قاله القسطلاني وغيره، وقيل: اسمه عتيق لقوله ﷺ فيه: «هذا عتيق من النار» كما روىٰ عنه [عن] عائشة رضي الله عنها، وقيل: لجماله إذ العتق الجمال قاله ابن سعد، وقيل: لقول أمّه له لما استقبلت به البيت هذا عتيقك من الموت فهبه لي، فعاش بعد أن كانت لا يعيش لها ولد وقيل: غير ذلك.

(فبعده) أي بعد وفاته ﷺ (وُلِيَ) الخِلافة قطعاً (و) اختلفوا هل (ذاك) أي ثبوت خلافته حقاً (بالإجماع) من الصحابة فقط (أو) به مع (نص جلي) واضح علىٰ خلافته، والأصح الذي عليه الجمهور أي جمهور أهل السنة والمعتزلة: أنه ﷺ لم ينص على أحد بالخلافة، وإلاّ هلكت الأمة لو خالفوا ذلك النص، فاقتضت المصلحة ووفور شفقته على أمته أن لا ينص عليها لأحد، وإنما أشار

أنها لأبي بكر بأشارات تقرب من الصريح، ويدلّ علىٰ عدم النص: ما أخرجه البزار في مسنده عن حذيفة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله ألا تستخلف علينا، قال: إني إن أستخلف عليكم فتعصون خليفتي ينزل عليكم العذاب (٢٣٣).

وأخرجه الحاكم بسند فيه ضعف (٢٣٤) وما في الصحيحين عن عمر رضي الله عنه قال حين طعن: إن أستخلف فقد استخلف مَن هو خير مني أي أبو بكر، وإن أترككم فقد ترككم من هو خير مني أي رسول الله ﷺ (٢٣٥)، وما رواه الإمام أحمد وغيره بسند حسن عن علي كرم الله وجهه أنه قال يوم الجمل: إنّ رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئاً حتى رأينا من الأمر أن نستخلف أبا بكر، الحديث (٢٣٦) وكذا نفى عثمان رضي الله عنه النص لأحد كما قاله البخاري، وقيل: إنه ﷺ نصّ عليها لأبي بكر وعليه جماعة من المحدثين قيل: وهو الحقّ، لأن من تأمّل الأحاديث علم من أكثرها أنه نصّ عليها نصاً ظاهراً، ومن الظواهر أو الصرائح علىٰ خلافته: ما أخرجه مسلم أنه ﷺ قال لعائشة في مرض موته: ادعي لي أبا بكر، وأخاك حتىٰ أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنىٰ متمن ويقول قائل: أنا أولىٰ، ويأبىٰ الله والمؤمنون إلاّ أبا بكر (٢٣٧) وفي رواية: اكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف فيه أحد، ثم قال: دعيه معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر (٢٣٨) وغير ذلك من الأحاديث، وقال الحافظ

---

(٢٣٣) رواه البزار (١٥٧٠ كشف الأستار) وفي إسناده أبو اليقظان عثمان بن عمير وهو ضعيف.

(٢٣٤) رواه الحاكم (٣/٧٠) بنفس الإسناد.

(٢٣٥) رواه البخاري (٧٢١٨) ومسلم (١٨٢٣) والترمذي (٢٢٢٦) وأبو داود (٢٩٣٩).

(٢٣٦) رواه أحمد (٩٢١) ولفظه «إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا عهداً نأخذ به في إمارة، ولكنه شيء رأيناه من قبل أنفسنا، ثم استخلف أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، فأقام واستقام... الحديث. وأما إن إسناده حسن فلا، لأن في إسناده رجل مبهم فهو ضعيف.

(٢٣٧) رواه مسلم (٢٣٨٧) وأحمد (٦/٤٧ و ١٠٦ و١٤٤).

(٢٣٨) رواه البزار كما في الفتح (١٣/٢٠٦).

مغلطاي في سيرته: لم ينص ﷺ على أحد بالخلافة، والأحاديث ليست نصاً في ذلك انتهى. وجمع بعضهم بين القولين بأن مراد من نفاه أنه لم ينصّ عند الموت على أحد بالخلافة، ومراد من أثبت أنه ﷺ نصّ عليه أو أشار إليه قبل ذلك، ولا شك أن النص على ذلك [قيل] قبل قرب الوفاة يتطرق إليه احتمالات ولو على بعد بخلاف ما عند الموت، فلذا نفى الجمهور النصّ كعمر وعلي وعثمان رضي الله عنهم، ويؤيده قول بعض الأئمة الأصوليين أن معنى لم ينصّ لأحد لم يأمر بها لأحد.

فائدة: ذكر الأصوليـون أن الإجماع أقوى من النصّ الذي لم يتواتر لأن مفاد الإجماع قطعي ومفاد النص ظنّي فثبوت الإجماع على خلافة أبي بكر كاف ولو لم يرد نص.

وهو أبو بكر بـن عثمان بـن عامر عمرو كعب سعد بـن

(وهو) إذا ذكر نسبه فهو (أبو بكر ابن عثمان) المكنى بأبي قحافة (ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد) بالتنوين للوزن.

تميم بـن مـرة الإمـام التيمـي بـويـع بـالإمـرة ثـاني يـوم
وفـاتـه ثـالـث عشر شهـرِ وبيعهـم سنة إحـدى عشرِ

(ابن تيم بن مرّة) بضم الميم ابن كعب بن لؤي فهو قريشي يلتقي معه ﷺ في مرّة، (فهو الإمام التيمي) نسبة إلى تيم من أجداده، وأمّه أم الخير سلمى وقيل: ليلى بنت صخر بن عامر، أسلمت قديماً حين كانوا في دار الأرقم، وأسلم أبوه يوم الفتح، وتوفي في خلافة عمر رضي الله عنه، قال بعضهم: لم يكن أحد من المهاجرين والأنصار أسلم هو وأبوه وأمه وبنوه وبناته غير أبي بكر.

فائدة: من صفاته رضي الله عنه أنه كان نحيفاً خفيف اللحم أبيض خفيف العارضين معروق الوجه أي قليل لحمه حتى يتبين حجم العظم، ناتىء الجبهة، غائر العينين، أجناء بالجيم والهمزة صفة مشبهة من جنيء كفرح أي أشرف كاهله على صدره كما في القاموس، وفي النهاية: هو من الجَنَاء وهو الميل في الظهر أو العنق، وكان يخضب بالحنّاء والكتم.

(بويع) رضي الله عنه من جميع الصحابة (بالإمرة) أي الولاية والخلافة وهو بكسر الهمزة اسم مصدر، وجعل الجوهري له مصدراً من أمر علينا أي ولّي، خطّأه القاموس وإنما مصدره الأمر (في ثاني يوم) بالإضافة إلى (وفاته) ﷺ، ويوم وفاته يوم الإثنين ثاني عشر ربيع الأول كما مرّ، وكانت البيعة قبل دفنه لأنّها أهمّ لتسكين الفتنة كما جزم به السيوطي والقسطلاني وغيرهما، قال الجلال الدواني في شرح العضدية: روي أن الصحابة اجتمعوا يوم وفاته ﷺ في سقيفة بني ساعدة. قال الأنصار للمهاجرين: منّا أمير ومنكم أمير فقال لهم أبو بكر: منّا الأمراء ومنكم الوزراء، واحتجّ عليهم بقوله ﷺ: الأئمة من قريش، فاستقرّ رأي الصحابة بعد المراجعة والمشاورة على خلافة أبي بكر وأجمعوا على ذلك، وبايعه بعد ذلك عليّ ولقبه بخليفة رسول الله ﷺ بعد توقف منه لحزنه فصارت إمامته مجمعاً عليها انتهى(٢٣٩)، وكان ثاني يوم وفاته يوم الثلاثاء (ثالث عشر شهر ربيعهم سنة إحدىٰ عشر) من الهجرة. واعلم أن البيعة وقعت مرةً يوم السقيفة يوم وفاته ﷺ، ومرّةً أخرىٰ من الغد بيعة عامة بحضور ملإٍ منهم فكشف الله الكُربة كما صرّحوا به، فلعلّ الناظم أراد البيعة الثانية.

وعندما قد أفضت الخلافة	**إلى الإمام ابن أبي قحافة**
خطب ثم بعد حمد وثنا	**يا أيها الناس اعلموا أني أنا**

---

(٢٣٩) شرح الجلال الدواني على العقائد العضدية (٢/٢٨٣).

وليت في يومي هذا أمركم ... ولست فيما قد علمت خيركم
وأكيس الكيس ملاك التقوى ... وأحمق الحمق الفجور الأغوى

(وعندما) مصدرية (قد أفضت) من أفضى أي وصلت (الخلافة) بكسر الخاء (إلى الإمام) الأجل أبي بكر (بن أبي قحافة) بضم القاف اسمه عثمان كما مرّ (خطب) عقب البيعة العامة ثاني يوم الوفاة كما في رواية ابن إسحاق ثم قال: (بعد حمد وثنا له) بالقصر أي لله تعالى (يا أيها الناس اعلموا أني أنا) تأكيد (وُلّيت) بضم فتشديد بالبناء للمفعول أي جعلت والياً (في يومي هذا أمركم ولست فيما قد علمت) أي في علمي وظني بنفسي (خيركم) خبر ليس، وهذا تواضع منه وحسن أدب مع ربّه عزّ وجلّ نظير قوله ﷺ: «لا تفضلوني على الأنبياء»[240] (وأكيس) أفعل التفضيل من كاس يكيس فهو كيّس بوزن سيّد أي عاقل، (الكيس) بفتح فسكون هو العقل، وفي الحديث: «الكيّس أي العاقل من دان نفسه وعمل لما بعد الموت»[241] ثم اتسع في الكيس فأطلق على كل فعل حسن ولذا سمي في الحديث: طلب الولد عند الجماع كيساً، والمعنى هنا: وأعقل الأفعال وأحسنها (ملاك التقوى) أي ما يحصل به التقوى ويقوم به أمره، في النهاية ملاك الشيء بكسر الميم وفتحها قوامه ونظامه وما يعتمد عليه فيه (وأحمق الحمق) بضم فسكون وهو قلة العقل كما في القاموس، وفي النهاية هو وضع الشيء في غير محله مع العلم بقبحه، فالمعنى هنا: وأقبح الأمور (الفجور) بضم الفاء أي الفسق والخروج عن طاعة الله عزّ وجلّ، وقوله:

---

(٢٤٠) لم أره بهذا اللفظ وإنما ورد بلفظ «لا تخيروا بين الأنبياء» «لا تخيروني على موسى» لا تفضلوا بين أنبياء الله» رواه البخاري (٢٤١١ و٣٤٠٨ و٣٤١٤) ومسلم (٢٣٧٣).

(٢٤١) رواه أحمد (٣٢٥/٤) والترمذي (٣٥٧٧) وابن ماجه (٤٢٦٠) والحاكم (٥٧/١ و٣٢٥/٤) والطبراني في الكبير (٧١٤٣) وفي إسناده أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف. وانظر تعليقنا على المعجم.

(الأغوىٰ) أي الأضلّ نعت الفجور مجاز للمبالغة إذ هو حقيقة وصف لصاحب الفجور، ثم قال: إنّ أقواكم عندي الضعيف حتىٰ آخذ له بحقّه وإنّ أضعفكم عندي القوي حتىٰ آخذ منه الحق.

وإنما أنــا لــديكــم متبــع	ولست فيما أبتغــي بمبتــدع
فــإن أحسنــت ســاعــدوني	وإن زغــت فقــوّمــوني
أين الملوك والذين قــد بنــوا	وعمّــروا وشيــدوا وحصّنــوا
راحــوا جميعــاً للقبــور والبلا	وأكمــل الخطبــة ثم نـــزلا
وبعد أن ولّــي قــام مصبحــا	يحمل أثواباً إلى السوق ضحىٰ

(و) اعلموا أيها الناس (إنّما أنا لديكم متبع) لكتاب الله وسنّة رسوله (ولست فيما أبتغي) أي أطلبه من أمور الخلافة (بمبتدع) شيئاً ليس في الكتاب والسنّة (فإن أنا أحسنت) في القضاء بينكم (ساعدوني) أي أعينوني بقوة ومال (وإن أنا زِغُت) بكسر الزاء وضمها من زاغ يزيغ، وزاغ يزوغ أي ملت عن الحق (فقوّموني) أي عن اعوجاجي، ثم قال: أين الوضاة الحَسَنَةُ وُجوههم المعجبون بشبابهم (أين الملوك) الماضية (والذين قد بنوا) المدائن (وعمّروها وشيّدوها وحصّنوها) بالحيطان تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور، الوحاء الوحاء، النجاء النجاء كذا ساقه ابن سيد الناس[٢٤٢]. وقوله: والذين من عطف العام على الخاص أو عطف تفسير، لأن من يبني المدائن هم الملوك غالباً، (راحوا جميعاً للقبور والبِلا) بالكسر والقصر (وأكمل الخطبة ثم نزلا).

وروىٰ الحاكم وصحّحه عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: خطب أبو بكر فقال: والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلةً قط ولا كنت

(٢٤٢) انظر المستدرك (٢/٣٨٣ - ٣٨٤).

راغباً فيها ولا سألتها الله تعالىٰ في سرّ و[لا] علانية ولكني أشفقت من الفتنة، ومالي في الإمارة من راحة، لقد قلّدت أمراً عظيماً مالي به من طاقة إلاّ بتقوى الله تعالى (٢٤٣) (وبعد أن ولي) أبو بكر (قام مصبحاً) أي داخلاً في الغداة حال كونه (يحمل أثواباً) ذاهباً (إلى السوق) وقت (ضحىً) تأكيد لما قبله.

وهـــي علىٰ عنقـــه ليتجـــرا فصـــادف الإمـــام عمـــرا
وقـــال مـــا تـــريـــد قـــال الســـوقـــا إذ ضيعـــة العيـــال لـــن أطيقـــا
ففرضوا من أصل بيـت المال لـه في اليوم نصف الشاة غير كاملـة
وســار بـالعـدل على هـدي النبي وارتد في ذا العام بعض العـرب

(وهي) أي الأثواب المحمولة (على عنقه ليتجر) بضم الجيم (فيها فصادف) أي لقي أبو بكر (الإمام عمرا) مع أبي عبيدة رضي الله عنهما (وقال) الإمام عمر (ما تريد) يا خليفة رسول الله ﷺ (قال) أريد (السوقا) بألف الإطلاق وقالا: ما تصنع بالسوق؟ وقد ولّيت أمر المسلمين، قال: فمن أين أطعم عيالي وهو معنى تعليله بقوله (إذ ضيعة العيال) بكسر العين ما يعوله الرجل ويهتم لنفقته (لن أطيقا) ورجعوا به (ففرضوا من أصل بيت المال) أي بيت المال المعدّ للمسلمين (له) متعلق بفرضوا (في اليوم) أي في كل يوم (نصف الشاة) مفعول فرضوا، وقوله: (غير كاملة) حال مؤكدة إذ نصفها لا يكون إلاّ غير كاملة (وسار) مدة خلافته (بالعدل) والقيام بالحقّ (على هَدي) بفتح الهاء وسكون الدال أي سيرة (النبي، وارتدّ) عن الإسلام في (ذا العام) أي عام وفاته ﷺ وهو [أول] عام خلافته (بعض العرب) ذكر البغوي وغيره: أنه لما انتشر خبر وفاته ﷺ ارتدّ [عامة] العرب إلاّ أهل الحرمين وأهل البحرين من

(٢٤٣) رواه الحاكم: (٣/٦٦ - ٦٧) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

عبد القيس حتى لم يبق في بسيط الأرض مسجد يعبد الله عزّ وجلّ فيه إلاّ مسجد مكّة ومسجد المدينة ومسجد بجوثا من أرض البحرين فيه جمع من الأزد محصورون، إلىٰ أن فتح الله اليمامة بقتل مسيلمة الكذّاب اللعين، ثم المرتدّون منهم من عاد إلىٰ ما كان عليه من عبادة الأصنام، ومنهم من تابع مسيلمة في زعمه النبوّة كبني حنيفة وقبائل غيرهم، ومنهم من تابع الأسود العنسي في زعمه النبوّة أيضاً باليمن، وهؤلاء اتفقت الصحابة على قتالهم وسبيهم، ثم لم ينقرض عصر [زمن] الصحابة حتىٰ أجمعوا على أن المرتد لا يُسبىٰ كما في النهاية نقلاً عن الخطابي، واعترض علىٰ حكاية الإجماع ببقاء الخلاف في إلحاق المرتدين بالكفار في السبي، ومنهم من أنكر فرض الزكاة ووجوب أدائها إلى الإمام، وهؤلاء كانوا في الحقيقة أهل بغي لقرب عهدهم بزمان النسخ، لكن أضيفوا إلى أهل الردّة حيث كانوا في زمانهم ومختلطين بهم، فانسحب عليهم اسمها، وأما بعد ذلك فمن أنكر فرضية ركن من أركان الإسلام كفر بالإجماع كما في النهاية، فهمّ أبو بكر رضي الله عنه بقتال مانعي الزكاة، فأنكر عليه الصحابة ذلك لبقاء توحيدهم، فأصرّ أبو بكر على قتالهم، حتىٰ قال: والله لو خذلني الناس كلهم لجاهدتهم بنفسي، وكان من أشد المنكرين عليه: عمر رضي الله عنه حتىٰ شرح الله صدره لمقالة أبي بكر.

وقال بعض الأئمة: لقد قام أبو بكر مقام النبي ﷺ من الأنبياء في قتال أهل الردة، وروىٰ أنس رضي الله عنه قال: كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة، وقالوا: هم أهل القبلة فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده، فلم يجدوا بُدّاً من الخروج معه، وقال ابن مسعود: كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه عليه في الانتهاء.

وروىٰ ابن إسحاق عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما توفي ﷺ عظمت مصيبة المسلمين وارتد العرب ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في

الليلة الشاتية لفقد نبيهم حتىٰ جمعهم الله على أبي بكر، ولقد نزل بأبي بكر ما لو نزل بالجبال الراسيات أي الثابتات لهضّها أي كسرها، وذكر ابن هشام: أنّ أهل مكّة همّوا أيضاً بالارتداد حتىٰ اختفى أميرهم: عتّاب بن أسيّد خوفاً منهم، فقام سهيل بن عمرو خطيباً فوعظهم وثبّتهم فتابوا، وروي أنه قدم على أبي بكر رضي الله عنه عيينة بن حصن والأقرع بن حابس في أشراف من العرب، وقالوا: قد ارتد عامة من وراءنا، وعزموا على منع الزكاة، فإن تجعلوا لنا جعلاً نكفيكم مَن وراءنا فاستحسن المهاجرون والأنصار ذلك، وقالوا: لا طاقة لنا بقتال جميع العرب، فأبىٰ أبو بكر وقال: إنّ الله تعالىٰ ناصر دينه ولا نرشوا على الإسلام أحداً، بل نجاهدهم كما جاهدهم النبي ﷺ وكان ممن ارتدوا: أزد، وغطفان من أهل الضاحية، وعامة بني تميم، وطوائف من بني سليم عصية وعميرة وخفاف وبنو عوف بن امرىء القيس وذكوان، وارتد أهل اليمامة كلهم وأهل البحرين وبكر بن وائل، وأهل عمّان والنمر وكلب، ومن أقاربهم [قاربهم] من قضاعة وعامة بني عامر بن صعصعة، وفزارة رئيسهم عيينة بن حصن.

وثبت على الإسلام ما بين المسجدين وأسلم وغفار وجهينة ومزينة وكعب وثقيف وطيّ كلها وهذيل وأهل السراة وبجيلة وخثعم، ومن قارب تهامة من هوازن، وقام الجارود في عبدالقيس فثبتهم على الإسلام، وكذا لم يرتد أحد من أهل دوس ومن همدان، ومن الأبناء بصنعاء كذا ساقه صاحب الخميس، وفيه نوع مخالفة لما مرّ عن البغوي فتأمله.

وروي أنه ﷺ لما رجع من الحج سنة عشر بعث البعوث لأخذ الصدقات، فهم عدي بن حاتم علىٰ أسد وطي، ومالك بن نويرة علىٰ بني يربوع، والأقرع بن حابس على بني دارم، والزبرقان على صدقات قومه، وغيرهم إلى غيرهم، فلما بلغهم وفاته ﷺ اختلفوا، فمنهم من حبسها ولم يؤدّ إلىٰ أبي بكر بل فرّقها علىٰ مَن أخذها منهم كمالك بن نويرة والأقرع بن حابس وخارجة بن حصن الفزاري، ومنهم مَن أدّاها كأسد وغفار وجهينة ومزينة، سلّموا صدقاتهم إلى

كعب بن مالك الأنصاري، فأتىٰ بها إلىٰ أبي بكر رضي الله عنه، فاستعان بها على قتال أهل الردّة، وكان عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر الفزّاري حبسا إبل الصدقة ليبعثا بها إلىٰ أبي بكر إذا وجدا فرجة، فاستردّها قومها فأبيا، فلما ارتدّ بنو أسد وهم جيران طيّ، طلب طيّ من عدي ردّ صدقاتهم، فقال: والله لا أنقض عهدي أتريدون أن يسب حاتماً في قبره عديّ ابنه من بعده؟، ولئن أبيتم لأقاتلنكم، وإن لرسول الله ﷺ خليفةً، وإن لدين الله تعالىٰ أقواماً ينصرونه، ثم أتىٰ عديّ مع ابنه بإبل الصدقة خفيةً، وهي ثلاثمائة بعير إلى المدينة، فأعطىٰ أبو بكر رضي الله عنه عدياً ثلاثين بعيراً منها، وكذلك الزبرقان قدم بصدقات قومه إلىٰ أبي بكر، فحصل لعدي والزبرقان شرف على غيرهما بذلك.

وقام كذّابهم مسيلمة ۝ وراح أمره علىٰ أغيلمة

(وقام كذّابهم) أي كذّاب بني حنيفة من أهل اليمامة وطوائف أخر من العرب زاعماً للنبوة، وذلك الكذّاب هارون بن حبيب رئيس بني حنيفة، وكنيته أبو ثمامة ولقبه (مسيلمة) كان قبيح الخلقة، دميم الصورة على عكس أوصاف النبي ﷺ، وكان يزعم أن جبرائيل يأتيه بالوحي، وسمّى نفسه رحمان اليمامة، لزعمه أن الذي يأتي اسمه رحمان، أو هو من تعنتهم في الكفر، ولما قدم في وفد من قومه إلى النبي ﷺ سأله أن يشركه في أمر النبوّة، فأبىٰ ﷺ، وقال له: «ما أراك إلاّ الذي رأيته»[244] أي في النوم كما مرّ تعبيره في قتل العنسي، فلما رجع إلى اليمامة ارتدّ عدو الله، وزعم الشركة في النبوة معه ﷺ، وكتب إليه: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ﷺ، أمّا بعد فإني قد أشركت في الأمر معك، وإنّ لنا نصف الأرض، ولقريش نصفها،

(٢٤٤) رواه البخاري: (٤٣٧٣).

فكتب ﷺ: « بسم الله الرحمٰن الرحيم من محمد رسول الله ﷺ إلى مسيلمة الكذّاب، السلام على من اتبع الهدىٰ، أمّا بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء والعاقبة للمتقين وقد أهلكتَ أهل الحجر أبادك الله ومن صوّب معك » فلما بلغه الكتاب أخفاه، وكتب كتاباً آخر عنه ﷺ افتراءً وأثبت فيه الشركة بينهما وأخرجه لقومه، فافتتنوا به.

وفي ربيع الأبرار: قال الحافظ [الجاحظ]: كان مسيلمة قبل ادعاء النبوّة يدور في الأسواق التي كانت بين دور العرب والعجم كسوق الأبلة وسوق الأنبار وسوق الحيرة يلتمس علم الحِيَل واحتيالات أصحاب الرُقا والنجوم، ومن حيله: أنه صبّ علىٰ بيضة من خلّ حاذق قاطع فلانت حتىٰ إذا مدّها استطالت واستدقت كالعلك، ثم أدخلها إلىٰ قارورةً ضيقة الرأس وتركها حتى انضمت واستدارت وعادت كهيئتها الأولىٰ، فأخرجها إلى قومه وهم قوم أعراب، وادّعىٰ النبوّة فافتتن به جماعة سفهاء، وإليه أشار بقوله: (وراج أمره) وافتراؤه كما تروج السلعة (على أغَيْلِمَةَ) في الصحاح: الغلام معروف وتصغيره: غُلَيِّم والجمع غِلْمَةٌ وغِلْمانٌ واستغنوا بِغِلْمَةٍ عن أغْلِمَةٍ، وتصغير الغِلْمَةِ أُغَيْلِمَةٌ على غير مُكَبّرِهِ كأنهم صغّروا أغْلِمَةً وإن لم يسمع [وإن كانوا لم يقولوه] كما قالوا: أُصَيْبِيَةٍ في تصغير صِبْيَةٍ، وبعضهم يقول: غُلَيْمَةٌ على القياس انتهىٰ(٢٤٥).

فظهر أن التصغير لتحقيرهم وتشبيههم بالصبيان والمجانين، ثم إن اللعين في آخر أمره وضع عن قومه الصلاة وأحلّ الخمر والزنا ونحو ذلك، واتفق معه بنو حنيفة إلاّ أفذاذاً من ذوي العقول، ومن أعظم ما فتن به قومه شهادة الرّجال بن عَنْفُوَة له بإشراك النبي ﷺ إياه في الأمر، وكان الرّجال قدم وافداً على النبي ﷺ فقرأ القرآن وتعلم السنن، وكان يأتي أُبياً يقرئه فقدم اليمامة، وشهد لمسيلمة افتراءً على الله تعالىٰ بإشراكه ﷺ له في الأمر من بعده، وكان ابن عمير

---

(٢٤٥) الصحاح (١٩٩٧/٥).

اليشكري من سراة أهل اليمامة وأشرافهم مسلماً يكتم [إيمانه و] إسلامه، وكان قبل صديقاً للرّجال فقال شعراً فشا في اليمامة حتى عند الصبيان، فقال:

يا سعاد الفؤاد بنت أثال ... طال ليلي بفتنة الرجال
فتن القوم بالشهادة والله ... عزيز ذو قوة ومحال
لا يساوي الذي يقول من الأمر ... قبالاً وما احتذى من قبال
إن ديني دين النبي وفي القوم ... رجال على الهدى أمثالي
هلك القوم محكم بن طفيل ... ورجال ليس لنا برجال
بزّهم أمرهم مسيلمة اليوم ... فلم يرجعوه أخرى الليالي
قلت للنفس إذ تعاظمها الصبرُ ... وساءت مقالة الأقوال
ربما تجزع النفوس من الأمر ... له فرجة كحل العقال
إن تكن ميتتي على فطرة الله ... حنيفاً فإنني لا أبالي

ومما ازداد به عتق مسيلمة في دين الله ضلالةً: سجاح: امرأة من بني تميم زعمت النبوة والوحي، فاتفق معها قومها، واتخذت مؤذناً وحاجباً ومنبراً، ثم إنها جهّزت جيوشاً لحرب مسيلمة، فلما قدمت عليه عزّها وقال لها: تعالَيْ نتدارس النبوّة أينا أحق بها، فقالت له: قد أنصفتَ، ثم اختلى بها ووقع بينهما ما يحق الإعراض عن ذكره، وقيل: إنه بعث إليها بهدية وخطبها فأجابت، وسارت إلى اليمامة خوفاً من خالد بن الوليد لما سمعت بقهره للمرتدين من العرب، فتزوجها وجعل مهرها إسقاط صلاتي الفجر والعشاء انتهى.

ولما قتل مسيلمة أخذها خالد فأسلمت ورجعت إلى ما كانت عليه، وبقيت إلى زمن معاوية وصارت مقبولة الإسلام، ولما اتفق أكثر بني حنيفة، أخرجوا ثمامة بن أُثال عامل رسول الله ﷺ على اليمامة، وكتب إليه ﷺ بذلك، ثم كتب بعد وفاته ﷺ إلى أبي بكر بأن أمر مسيلمة قد استغلظ، ولما رأى أبو

بكر ما رأىٰ من ارتداد العرب ومنعهم للصدقة، أمر بالجهاد لِقتالهم كما قال:

فـانتـدب الصـديـقُ للقتــال   وجهّـز الجيـوش بـالأبطــال

(فانتدب الصديق) رضي الله عنه (للقتال) يقال: ندبته لأمر فانتدب أي دعوته له فأجاب كما في الصحاح وغيره، فكأن المرتدين بشقاقهم وبغيهم دعوا أبابكر إلى قتالهم، فأجاب أو أراد بالانتداب هنا مجرد التهيأ والإستعداد مجازاً، وإلاّ فالأحسن أن يقول: فندب الصديق لأنه الداعي إلى قتالهم (جهّز الجيوش) هيأ جهاز سفرهم مشحونة (بالأبطال) أي الشجعان، فخرج أبو بكر رضي الله عنه في مائة من المهاجرين والأنصار، وأعطى اللواء خالد بن الوليد حتّىٰ نزلوا بذي القصّة، ينتظر لحوق الناس به، وخلّف محمد بن مسلمة ليحث الناس على الخروج، وأقام بها أيّاماً حتىٰ تلاحقوا، وبعث إلى النواحي من غفار ومزينة وأسلم، فتجلبوا حتىٰ شحنت منهم المدينة، ثم سألهم أبو بكر بعد أن لم يبق أحد من أهل بدر إلاّ خرج: عمن يبدأ به من أهل الردة، فاختلفوا فقال أبو بكر: نبدأ بقتال هذا الكذّاب علىٰ الله وعلىٰ كتابه طليحة بن خويلد، وكان رجلاً من بني أسد أشجع العرب يُعدل بألف فارس، قدم على النبي ﷺ في وفد بني أسد سنة تسع من الهجرة وأسلموا، ولما رجعوا إلى قومهم ارتد طليحة، وادّعىٰ النبوة في حياته ﷺ، ولما توفي النبي ﷺ، ظهر أمره وقويت شوكته، وتبعه عيينة بن حصن الفزّاري مع قومه بعد ارتدادهم، وكان طليحة يزعم أن الملك يأتيه، ورفع السجودَ عن [قومه في] الصلاة، وأول ما صدر عنه مما ضل به الناس أنه كان في سفر مع نفر من قومه فعطشوا ولم يجدوا ماءً، فقال: اركبوا إعلالاً واضربوا أميالاً تجدوا بلالاً، وإعلال اسم فرس له، ففعلوا فوجدوا الماء، فكان سبب وقوع الأعراب في الفتنة ولم يشعروا بحيلته في ذلك، ولما عزم أبو بكر رضي الله عنه على الخروج معهم بنفسه ألحّ عليه عمر وعليّ رضي الله عنهما في

رجوعه إلى المدينة، لئلا يقتل فيعلو الباطل على الحق، وأمر[ه] بالاستخلاف، فدعا زيد بن الخطاب لذلك وأبىٰ فقال: يا خليفة رسول الله كنت أتمنىٰ الشهادة مع رسول الله ﷺ فلم أرزقها، وأرجو أن أُرزقها من هذا الوجه، وإن أمير الجيش لا ينبغي أن يباشر القتال بنفسه، فدعا أبا حذيفة بن عتبة لذلك، فأجاب بجواب زيد، ثم دعا سالماً مولىٰ أبي حذيفة فأبىٰ أيضاً، ثم قال: أيها الناس سيروا على بركة الله فأميركم خالد بن الوليد، ثم اختلىٰ بخالد فقال: عليك بتقوىٰ الله وإيثاره علىٰ ما سواه، والجهاد في سبيله، فقد وليتك على المهاجرين والأنصار من أهل بدر، ثم أمره بالرفق بمن معه لاسيما المهاجرين والأنصار، وبمشاورتهم فيما نزل به، وأن يمضي حتى يقدم اليمامة، ثم قال له: خوفي على أهل اليمامة، فاستعن بالله علىٰ قتالهم، فقد بلغني أنهم ارتدوا بأسرهم، فادعهم إلى الإسلام والنصح في الدين، فإن أجابوا وإلاّ فقاتلهم أشد القتال بالسيف والحرق بالنار حتىٰ لا يبقىٰ منهم أحد، فإن الله ناصر دينه، فأقم بينهم حتى يأتيك [يأتيكم] أمري، ثم سار خالد ورجع أبو بكر رضي الله عنه وبقيت العشرة في نفر من المهاجرين والأنصار إلى المدينة، فلما نزل خالد بزاخة ومعه عدي بن حاتم في ألف رجل من طي، همّ خالد أن يقاتل جديلة، وهم بطن من طيّ أرادوا الارتداد، فاستمهل لهم عدي إلى أن يدعوهم إلى الإسلام، فدعاهم فأجابوا كلّهم، فجاء بهم إلى خالد فحمدالله تعالى وفرح بهم، واعتذروا عن اعتزالهم فدعا لهم خالد، ثم انتهوا إلى طليحة الأسدي، وقد ضربت له قبة من أُدْم وحوله عسكره، فدنا منه خالد ودعاه إلى الإسلام والتوبة عن الارتداد فأبىٰ وقال:

أشهد أن لا آله إلا الله وأنا رسوله يأتيني ذو النون بالنبوّة، كما كان جبرائيل يأتي محمداً ﷺ بالنبوّة، وذوالنون: ملك عظيم في السماء، ثم هيأ خالد لقتاله، فدفع اللواء الأعظم لزيد بن الخطاب، ولواء الأنصار لثابت بن قيس، ولواء طيّ لعدي بن حاتم، فسوّى صفوف المسلمين علىٰ رجليه، وطليحة سوىٰ صفوف أصحابه على راحلته، فخرج إليهم طليحة بأربعين غلاماً أقوياء من جنوده

مُرداً، فأقامهم بالميمنة، وأمرهم بالضرب فتضعضع الناس ولم يقتل أحد، ثم أقامهم بالميسرة ففعلوا مثل ذلك وانهزم المسلمون، فنادىٰ خالد: يا معشر الأنصار الله اللهَ واقتحم وسط القوم، وكرّ عليه أصحابه وضرّس في القتال حتىٰ اختلطت الصفوف، ويقولون: يا خالد اللهَ اللهَ فإنك الأمير، ولا ينبغي لك التقدم فيقول: والله أخاف هزيمة المسلمين، وما رأيتني أصبر، وفي رواية لما رأىٰ حملة أولئك الأربعين غلاماً حمل عليهم، فما رجع حتى لم يبق منهم أحد، واجتمع الناس إليه بعد الهزيمة، وقاتل خالد يومئذ بسيفين حتى كسرهما، ولما رأىٰ طليحة ذلك تزمّل بكسائه ينتظر بزعمه نزول الوحي عليه، وعيينة بن حصن قاتل دونه يومئذ بسبعمائة من فزارة قتالاً شديداً، فلما ضجوا عن سيوف المسلمين أتىٰ عيينة إلى طليحة وهو في كسائه، فقال له: لا أبا لك، هل أتاك الوحي؟، فيقول تحت الكساء: لا، والله، فلما طال عليهم ذلك ضجّوا، وظهر عندهم كذبه، فقال عيينة: يا فزارة هذا والله كذّاب، فانهزموا فأسر عيينة وأفلت أخوه، فأراد خالد قتله فتكلم فيه رجل من بني مخزوم فتركه، ولما رأىٰ طليحة: أنّ شيطانه أسلمه وأعجزه وثب على فرسه، وحمل امرأته توارِ وراءه وهرب إلى الشام، وتفرق أصحابه، وفي هذه الوقعة قتل عكاشة بن محصن وثابت بن أرقم، وكانا فارسين قتلهما طليحة، وقيل: إن ثابتاً قتله مسيلمة أخو طليحة، ثم لما فشا القتل والأسر في أصحاب طليحة أمر خالد بالحظائر والأسرىٰ، فأوقد عليهم ناراً فأحرقهم من بين أهل الردة لشناعة ردتهم، ولما قيل له في ذلك قال: هذا عهد أبي بكر إليّ إن أظفرني الله عليهم، وعن عبدالله بن عمر رضي الله قال: شهدت بزاخة فأظفرنا الله تعالىٰ على طليحة، وكذا كلما أعزنا الله على قوم سبينا ذراريهم وقسمنا أموالهم.

ثم إنّ طليحة أقام بالشام حتىٰ توفي أبو بكر، وعادت القبائل إلى الإسلام، ثم أسلم وحسن إسلامه وحجّ في خلافة عمر رضي الله عنه، وله آثار جميلة في قتال الفرس بالقادسية في زمن عمر، ثم استشهد في حرب نهاوند، ولما فعل خالد ببني

أسد وفزارة ما فعل هابت منه العرب، وبثّ سراياه، ورغبوا في الإسلام، وأطاعه بنو عامر وغيرهم، ثم بعث عيينة بن حصن وقرّة بن هبيرة إلى أبي بكر موثقين، فكان غلمان المدينة ينخسون عيينة في وثاقه، ويقولون: يا عدو الله أكفرت بعد إيمانك؟، ثم كتب أبو بكر لهما أماناً وأطلقهما، ثم أظهر خالد أن أبا بكر عهد إليه أن يسير إذا أظفره الله تعالىٰ إلى أرض بني تميم وإلى اليمامة، فقال ثابت بن قيس صاحب لواء الأنصار: ما عهد إلينا ذلك وقد كَلّ المسلمون عن الحرب، فقال خالد: وأنتم بالخيار، فسار خالد بمن معه من المهاجرين وغيرهم، ثم ندم الأنصار عن التخلف ولحقوا خالداً بعد نحو يومين، فاستقبلهم خالد بمن معه إكراماً لهم، فساروا جميعاً حتىٰ انتهوا إلى البطاح من أرض بني تميم، وعليها مالك بن نويرة فلم يجدوا بها جمعاً، وكان مالك أمرهم بالتفرّق، وكان في وصية أبي بكر لهم إذا نزلتم: فأذّنوا وأقيموا، فإن أذن القوم وأقاموا فكفّوا عنهم، وإلاّ فلا شيء إلاّ الإغارة والقتل، ففرق خالد السرايا ولقي سرية فيها أبو قتادة الأنصاري اثنىٰ عشر رجلاً من بني ثعلبة فيهم مالك بن نويرة فأخذوهم وحملوهم إلى خالد، وكان مالك قد بعثه ﷺ لأخذ صدقات قومه بني حنظلة، فلما بلّغته وفاته ﷺ ردّها إلى أربابها، فحنق المسلمون على مالك وعاهد خالد لئن أخذه ليقتلنه، ثم ليجعلن هامته أثفيةً للقدر، فلما أتي به أسيراً فيمن أخذ اختلفوا في إسلامهم، فشهد أبو قتادة الأنصاري أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلّوا، وشهد بعض مَن في السرية أنهم لم يفعلوا ذلك ولم يسلموا، ووافقهم رأي خالد فأمر بقتلهم فقتلوا، وتزوّج امرأة مالك أم متمم من ليلته، وكانت جميلة قيل: لعلها كانت مطلقةً وانقضت عدتها، إلاّ أنها كانت محبوسة عنده على عادة الجاهلية، أو انقضت بالوضع عقب قتله وعلى كل حال فجلالة خالد تأبىٰ أن يظن به رذيلة خلافة الشرع، فقال أبو قتادة: هذا عملك يا خالد؟ فزبره خالد فغضب فأتىٰ أبا بكر فأخبره، فقال عمر: إن في سيف خالد رهقاً وأمر أبا بكر برجمه، فقال: والله لا أفعل إن كان خالد تأوّل أمراً فأخطأه.

وفي شرح المواقف: فأشار عمر إلى أبي بكر بقتل خالد قصاصاً، فقال أبو بكر: لا أغمد سيفاً شهره الله على الكفار، ولما أقبل خالد إلى المدينة قبل ذهابه إلى اليمامة كما في عيون التواريخ أو بعدها كما في كتاب الخميس وهو الأصح، قال له عمر رضي الله عنه: يا عدو الله عدوت على رجل مسلم فقتلته، ثم تزوجت امرأته لئن أمكنني الله منك لأرجمنك، وخالد ساكت لا يردّ جواباً لظنه أن ذلك عن رأي أبي بكر، فلما دخل علىٰ أبي بكر عاتبه في قتل مالك، فاعتذر إليه بأنه سمع منه ما استحلّ به قتله، فقبل أبو بكر عذره، ويقال إن ما سمعه منه: أنه قال حين يكلم خالداً أن صاحبكم قد توفي، فعلم خالد أنه أراد: أنه ﷺ ليس بصاحب له فتعين ردته فقتله، ومما يدل على أنّ مالكاً مات مرتداً أنّ متمماً أنشد عمر مراثيه في أخيه مالك، فقال عمر: وددت أني أحسن الشعر فأرثي أخي زيداً بمثل ما رثيت به أخاك، فقال متمم: لو أن أخي مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته، فقال عمر: ما عزّاني أحد عن أخي ما عزّاني به متمم، وأنّ عمر لما أفضت الخلافة إليه، لم يتعرض لخالد ولم يعاتبه بكلمة، فدلّ على أنه ظهر له حقيقة ما فعله أبو بكر، فرجع عن اعتراضه.

ولما بلغ أهل اليمامة مسير خالد رضي الله عنه إليهم خافوا وتحيّروا، وأراد مُحكم بن طفيل سيد أهل اليمامة أن يرجع إلى الإسلام فلم يوفق، فقيل له: هذا خالد بن الوليد في المسلمين، فقال: رضي خالد أمراً ورضينا غيره، وما ينكر خالد أن يكون في بني حنيفة من يشركه في الأمر، فسيرىٰ خالد ما يلقى منّا ثم خطب لهم فقال: يا معشر أهل اليمامة إنكم تلقون قوماً يبذلون أنفسهم دون صاحبهم، فابذلوا أنفسكم دون صاحبكم، فإن أسداً وغطفان إنما أشار إليهم خالد بذباب السيف، فكانوا كالنعام الشارد، وقد تظاهر خالد وقال: هل حنيفة إلاّ كمن لقينا، وقام ثمامة بن أثال الحنفي في بني حنيفة، وكان عامل رسول الله ﷺ على اليمامة، فقال: اسمعوا وأطيعوا أمري ترشدوا، إنه لا يجتمع نبيّان بأمر واحد وإنّ محمداً ﷺ لا نبيّ بعده، ولا نبيّ يرسل معه، ثم قرأ:

[بسم الله الرحمٰن الرحيم حمٓ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إلٓه إلاّ هو إليه المصير﴾ هذا كلام الله عزّ وجلّ أين هذا من: يا ضفدع كم تنقنقين أعلاك في الماء وأسفلك في الطين، لا الشراب تمنعين ولا التراب تكدّرين إنكم لترون هذا الكلام ما يخرج من إلّ أي أصل ومعدن، وتوفي رسول الله ﷺ وقام بهذا الأمر رجل بعده هو أفقههم في أنفسهم، لا تأخذه في الله لومة لائم، ثم بعث إليكم رجلاً لا يسمىٰ باسمه ولا باسم أبيه يقال له: سيف الله ومعه سيوف الله فانظروا لأمركم.

فلما سمعوا منه ذلك أخرجوه من بينهم، ولما نزل خالد بالعِرض واد باليمامة قدّم مائتي فارس، وأمرهم بأخذ من أصابوه فلقوا مجاعة بن مرارة الحنفي في ثلاثة وعشرين رجلاً من قومه قد خرجوا في طلب ثأر، ولم يشعروا بمجيء خالد، فقالوا لهم مَن أنتم؟ قالوا من بني حنيفة، فظنوهم رسل مسيلمة فجاؤوا بهم إلى خالد، فقال لهم: ما رأيكم في مسيلمة؟ فقالوا: إنه رسول الله فضرب أعناقهم إلاّ مجاعة ورجلاً آخر، فتركهما لما قيل له: إن مجاعة سيد قومه، فلعلّه يكون عوناً على حربك وسلمك، ثم أوثقهما بالحديد، ودفع مجاعة إلى امرأته أم متمم التي تزوجها بعد قتل مالك بن نويرة وأمرها أن تحسن إساره، وكان خالد كلما نزل منزلاً دعا مجاعة فأكل معه وحدثه، ثم مضىٰ خالد بمن معه حتىٰ نزلوا عقرباء موضع قريب اليمامة، وكذلك نزل بها مسيلمة بعسكره، واختلفوا [واختلف] في أيها أسبق إليها وفحص المسلمون على الرجّال فإذا هو على مقدمة مسيلمة، فلعنوه وشتموه، فتسوى الفريقان صفوفهما ودفع خالد رايته إلى زيد بن الخطاب، وراية الأنصار إلى ثابت بن قيس، فتقدم بها وجعل على مَيْمَنَتِه أبا حذيفة بن عتبة، وعلى ميسرته شجاع بن وهب، واستعمل على الخيل البراء بن مالك، ثم عزله واستعمل عليها أسامة بن زيد، لما بعثه أبو بكر أن يلحق بخالد بعد رجوعه من الشام في أربعمائة، ثم أمر بسرير فوضع في فسطاطه، فاضطجع عليه يتحدث مع مجاعة، ومعه أم متمم وأشراف الصحابة يتحدث

معهم، وأقبلت بنو حنيفة قد سلّت السيوف، فقال خالد: أبشروا فقد كفاكم الله عدوكم، وما سلّوا السيوف إلاّ ليرهبونا وإنّ هذا الجبن منهم، فقال مجاعة: كلاّ ولكنها الهندوانية خشوا من تحطّمها والغداة بارة فأبرزوها للشمس لتسخن متونها إلى أن يلقوكم، فلما دنوا صاحوا وتعلّلوا سل سيوفهم بذلك. قال عبيدالله ابن عبدالله بن عتبة: ثم اقتتلو قتالاً شديداً وصبر الفريقان حتى كثرت القتلىٰ فيهما، وأول قتيل [من قتل] من المسلمين: مالك بن أوس، قتله محكم بن الطفيل، واشتد القتل في حملة القرآن واختلط العسكران وانهزما مراراً، وكلما انكشف المسلمون، أراد المشركون حمل مجاعة معهم فتركوه لشدة وثاقه ولتبادر المسلمين إليهم بالسيوف، فإذا رأىٰ المسلمون ذلك وثبوا على مجاعة وقالوا: اقتلوا عدو الله فإنه رأسهم، فلم تزل أم متمم تردهم عنه لكونها أجارته، وكان مجاعة أيضاً قد أجارها من المشركين مراراً من قتلها بهذا الوجه، وقال عكرمة: حملت بنو حنيفة أول مرة وخالد على سريره حتى خلصوا إليه، فجرد سيفه وجعل يسوقهم سوقاً حتىٰ قتل منهم كثيراً، ثم كرّوا حتىٰ انتهوا إلى فسطاط خالد، فجعلوا يضربون الفسطاط، وأرادوا قتل أم متمم، فردّهم مجاعة وسبّهم، وقال: إني لها جار- وجعل ثابت بن قيس صاحب راية الأنصار ينادي: يا معشر الأنصار والمسلمين بئس ما عودتم أنفسكم بالفرار، فلما رأىٰ زيد بن الخطاب هزيمة المسلمين ومعه راية خالد نادىٰ: أمّا الرّجال فلا رجال [مرتين] اللّهم إني أعتذر إليك من فرار أصحابي، ومما جاء به مسيلمة ومحكم بن الطفيل، فتقدم وضارب حتى قتل رحمه الله تعالىٰ، وفي الصفوة لابن الجوزي: زيد بن الخطاب أسلم قبل أخيه عمر، وكان أسنّ منه طوالاً أسمر، فلما رجع عبدالله بن عمر قال له عمر رضي الله عنه: ألا هلكت قبل زيد، فقال: قد كنت حريصاً علىٰ ذلك، ولكن الله أكرمه بالشهادة، وفي رواية قال له: ما جاء بك وقد هلك زيد ألا واريت وجهك عنّي.

قال: ثم أخذ الراية سالم مولىٰ أبي حذيفة فقالوا له: يا سالم نخاف أن يأتينا

العدوّ من قبلك فقال: بئس حامل القرآن أنا إن أُتيتم من قبلي، ونادت الأنصار ثابت بن قيس: الزم الراية فإنما ملاك القوم الراية، فتقدم سالم فحفر برجليه حتى بلغ أنصاف ساقيه، ومعه راية المهاجرين، وحفر ثابت لنفسه مثل ذلك ولزما رايتهما، حتىٰ قتل سالم رحمه الله تعالىٰ وقتل مولاه أيضاً أبو حذيفة رحمه الله تعالىٰ فوجد رأس أحدهما عند رجلي الآخر وبالعكس، وفي الصفوة أخذ سالم اللواء يوم اليمامة بيمينه فقطعت، ثم بشماله فقطعت، ثم اعتنقه وجعل يقرأ: ﴿وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ الآية إلى أن قتل رحمه الله.

وعن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ: وذكر سالماً «إنّ سالماً شديد الحب لله عزّ وجلّ»[٢٤٦] فلما قتل مكثت الراية لا يرفعها أحد، ثم حملها يزيد بن قيس وكان بدرياً حتى قتل، ثم حملها الحكم بن سعيد بن العاص فقاتل دونها طويلاً، ثم قتل، وقال وحشي: اقتتلنا يوم اليمامة قتالاً شديداً، فهزموا المسلمين ثلاث مرّات، وكرّ المسلمون في الرابعة وتاب الله عليهم فصبروا لوقع السيوف، واختلفت بينهم وبين بني حنيفة السيوف حتىٰ رأيت شهاب [شهب] النار تخرج من خلالها، فأنزل الله علينا نصره فهزمهم وقتل مسيلمة.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: لقد رأيت عمّاراً علىٰ صخرة قد أشرف يصيح: يا معشر المسلمين أمِنَ الجنة تفرّون أنا عمّار بن ياسر هلمّوا إليّ وأنا أنظر إلىٰ أذنه تذبذب وقد قطعت، وقال سعد القرظي: لقد رأيته يومئذ يقاتل قتالاً لا يحصل من عشرة [يقاتل قتال عشرة]، وقال شريك الفزاري: لما التقينا صبر الفريقان صبراً لم أر قطّ مثله، وجعل أهل السوابق والنيات يتقدمون فيقتلون حتىٰ فنوا، ولقد أحصيت لنا ثلاث انهزامات، وما أحصيت لهم إلاّ

---

(٢٤٦) رواه أبو نعيم في الحلية (١/١٧٧) وهو حديث موضوع. وفي نسخة القاضي «كان شديد الحب» وليست كلمة كان عند أبي نعيم.

واحدةً وهي التي ألجأناهم فيها إلى الحديقة يقال لها: حديقة الرحمٰن، وبعد ذلك سمّيت حديقة الموت،وقال ضمرة بن سعد المازني: لم يلق المسلمون عدوّاً أشدّ لهم من بني حنيفة، قد أصلتوا السيوف قبل النبل والرماح وصبر المسلمون فكان المعول يومئذ علىٰ أهل السوابق، ونادىٰ عبّاد بن بشر وهو يضرب بالسيف وما هو إلاّ كالنمر الحرب أي الشجاع المحارب، فلقي رجلاً من بني حنيفة فقال: يا أخا الخزرج أتحسب قتالنا مثل من لاقيت؟ فعمد له عبّاد وابتدره الحنفي بالضرب بسيفه فانكسر سيفه ولم يصنع شيئاً، وضرب عباد فقطع رجليه وجاوزه، وتركه ينوء على ركبتيه، فناداه: يا ابن الأكارم أجهز عليّ فكرّ عليه عبّاد فضرب عنقه، ثم قام آخر مقامه فاختلفا ضربات وعبّاد على ذلك كثير الجراح، فضربه عبّاد ضربةً أبدا بها سُحْرهُ أي ريته، ثم جاوزه وأثخن فيهم القتل حتى قتل [منهم] أكثر من عشرين، والجرحىٰ لا يحصون فكانوا إذا رأوا جراحاً بالرجل منهم، يقولون: هذا ضرب مجرب القوم عبّاد.

وعن رافع بن خديج، قال: خرجنا من المدينة ونحن أربعة آلاف وأصحابنا من الأنصار ما بَين خمسمائة إلى أربعمائة، وعلى الأنصار ثابت بن قيس، فانتهينا إلى قوم باليمامة هم الذين قال الله تعالى في حقهم ﴿ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون﴾ الآية فلما سوينا صفوفنا، لم يلبثوا أن حملوا علينا، فهزمونا مراراً فنعود إلى مصافّنا وفيهم خلل، وذلك أن صفوفنا كانت مختلطةً بكثير من الأعراب، فينهزم أولئك بالناس فيستخفون أهل البصائر والنيات حتى كثر ذلك منهم، ثم رزقنا الله الظفر، وذلك: أن ثابت بن قيس نادىٰ خالداً أخلصنا، فقال ذلك إليك، فأخذ الراية ونادى: يا للأنصار فتسلّلنا إليه رجلاً رجلاً، فنادىٰ خالد يا للمهاجرين فأحدقوا به، ونادى عدي بن حاتم ومكنف ابن زيد الخيل بطيّ فأحد قوابها، وكانوا أهل بلاء حسن، وعزلت الأعراب عنا غلوةً أي رمية سهم أو أكثر، وإنما كُنّا نؤتىٰ من الأعراب، قال رافع: وأعجلهم أهل السوابق، فهم في نحورهم ما يجد أحد مدخلاً إلاّ أن يقتل رجلاً منهم

فيخلف مقامه آخر حتىٰ أوجعنا فيهم، وبان خلل صفوفهم، وضجّوا من السيف حتى أقحمناهم الحديقة، فضاربوا فيها حتىٰ قتلنا مسيلمة، وقيل لرافع: أي القتلىٰ أكثر؟ فقال: قتلاهم ضعف قتلانا مرتين، وقالت أم عمارة: رأيت عدي ابن حاتم يومئذ يصيح بطيّ صبراً فداكم أبي وأمي، وقال أبو خيثمة: لما انكشف المسلمون يوم اليمامة تنحيت ناحيةً، وكأني أنظر إلى أبي دجانة يومئذ ما يوتي ظهره منهزماً، وكان يختال في مشيته عند الحرب ما يستطيع غير ذلك، وكرّت عليه طائفة منهم، فمازال يضرب بالسيف أمامه وعن يمينه وعن شماله حتىٰ انفرجوا عنه، ونكص على أعقابهم والمسلمون مولّون، ثم تلاحق الأنصار والمهاجرون فدفعوهم حتىٰ أقحمناهم الحديقة، فقال أبو دجانة: القوني على التِّرسة حتى أشغلهم وكانوا قد أغلقوا الباب من الحديقة، فألقَوهُ على التِّرسَةِ ورفعوها على رؤوس الرماح حتىٰ وقع في الحديقة وهو يقول: لا ينجيكم الفرار منّا، فضاربهم حتىٰ فتحها، ودخلنا عليه مقتولاً رحمه الله، وروي أن البراء بن مالك هو المرمي في الحديقة، والأول أثبت.

ولما وصل عبّاد بن بشر إلى باب الحديقة ألقىٰ درعه ثم دخل بالسيف صلتاً يجالدهم حتى قتل. وقال أبو سعيد الخدري: سمعت عبّاد بن بشر يقول حين فرغنا من بُزاخة: يا أبا سعيد رأيت الليلة كأن السماء فرجت ثم أطبقت عليّ فهي الشهادة إن شاءالله، قال: فأنظر إليه يوم اليمامة وهو يصيح: يا للأنصار، ويقول: أخلصونا أخلصونا فأخلصوا أربعمائة رجل لا يخلطهم أحد، يقدمهم البراء بن مالك وأبو دجانة سماك وعباد بن بشر حتىٰ انتهوا إلى باب الحديقة، قال أبو سعيد فرأيت بوجه عبّاد يعني بعد قتله ضرباً كثيراً، وكان أبو بكر رضي الله عنه لما انصرف إليه أسامة من الشام بعثه في أربعمائة ليلحق بخالد، فأدركه قبل اليمامة بثلاثة أيام، فاستعمله خالد علىٰ الخيل مكان البراء بن مالك، وأمر البراء أن يقاتل راجلاً، فلما انكشف المسلمون يوم اليمامة انكشف أسامة بأصحاب الخيل، فصاح المسلمون: يا خالد، ولِّ البراء فعزل أسامة وردّ الخيل إليه، فركب البراء فرسه

والخيل متفرقون في النواحي، وما هي إلاّ الهزيمة، فصاح البراء: يا للأنصار يا خيلاه يا خيلاه، أنا البراء بن مالك فاجتمعوا إليه من كل ناحية فارسهم وراجلهم قال أبو سعيد: فقال لنا: احملوا عليهم فداكم أبي وأمي حملةً صادقةً تريدون الموت، ثم أظهر التكبير وكبّرنا معه، فما كان لنا ناهيةً إلا باب الحديقة، وقد أغلقت دوننا فازدحمنا عليهم، فلم نزل حتىٰ فتحها الله تعالىٰ وظفرنا وله الحمد.

وروي: أن البراء كان فارساً وإذا حضرته الحرب أخذته رعدة حتّىٰ يضبطه الرجال ملياً، ثم يفيق فيبول بولاً أحمر كأنه نقاعة الحنّاء، فلما رأىٰ ما بالناس يومئذ أخذ ما كان يأخذه فلما أفاق صار كأنه أسد وهو يقول:

أسعدني ربّي على الأنصار ... كانوا يداً طرّاً على الكفار
في كل يوم ساطع الغبار ... فاستبدلوا النجاة بالفرار

ثم ضرب بسيفه حتىٰ خاض غمرتهم وانفرجوا له وثابَتْ إليه الأنصار كأنها النحل ثاوي إلى يعسوبها، وروي عن خالد قال: شهدت عشرين زحفاً فلم أرَ قوماً أصبر لوقع السيوف ولا أضرب بها من بني حنيفة، إنا لما فرّغنا من طليحة ولم تكن له شوكة، قلت: والبلاء موكل بالقول: ما بنو حنيفة؟ ما هي إلاّ كمن لقيناهم، فلما لقيناهم لم يشبهوا قوماً، ولقد صبروا لنا من طلوع الشمس إلى العصر حتىٰ قتل عدو الله، فما ضرب أحد منهم بعده بسيف، ولقد لقيت رجلاً منهم في الحديقة وأنا فارس وهو فارس، فوقعنا على الأرض فتعانقنا، فأجاءه بخنجر في سيفي وجعل يجاؤني بمعول في سيفه فجرحني سبع جراحات، وقد جرحته جرحاً أثبّته فاسترخىٰ في يدي، وما لي به من حركة من الجراح [وما بي حركة من الجراح]، إلاّ أنه سبقني بالأجل، فالحمدلله على ذلك.

وحدّث ضمرة أنه خلص يومئذ إلى محكم بن طفيل وهو يقول: يا بني حنيفة ادخلوا الحديقة سأمنع عنكم، فدخلوها وأغلقوها عليهم، ورمى عبدالرحمٰن بن أبي بكر محكماً بسهم فقتله، وروى غير ضمرة أن خالداً هو الذي قتله، وبه جزم صاحب القاموس، وهو أنه لما رأى محكم ما رأى من قتل قومه صاح: يا أبا سليمان أدن فقد جاءك الموت، فبلغ خالداً وهو في مؤخر الناس فأجابه: ها أنا ذا أبو سليمان وكشف المغفر عن وجهه، ثم حمل على ناحية محكم يخوض بني حنيفة، فأقحم عليه فضربه ضربةً ارتعش منها، ثم ثنى بأخرى وهو يقول: خذها وأنا أبو سليمان فوقع ميتاً، وكان عبدالرحمٰن بن أبي بكر قد رماه بسهم قبل ذلك ولم يصنع شيئاً، واشتد قتال بني حنيفة بعد قتل محكم، فقالوا: لا حياة بعد محكم، ثم قالوا لمسيلمة: أين ما وعدتنا؟ قال: أما الدين فلا دين، ولكن قاتلوا عني أحسابكم، فاستيقنوا أنهم كانوا على غير شيء، قال وحشي: لما اختلطنا في الحديقة نظرت إلى مسيلمة وما أعرفه، ورجل أنصاري يريده، فربّنا أعلم أيّنا قتله إلاّ أني سمعت امرأة فوق الدير تقول: قتله العبد الحبشي.

وفي البخاري قال وحشيّ: خرجت مع الناس فإذا رجل قائم في ثلمة جدار كأنه جمل أورق ثائر الرأس فرميته بحربتي فوضعتها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه، ووثب إليه أنصاري فضرب بسيفه هامته، فقالت جارية على ظهر بيت: وا أمير المؤمنين قتله العبد الأسود (٢٤٦) وفي المنتقى: لا شك أن الأنصاري الذي ضربه أبو دجانة سماك، وقال أبو الحارث: ما رأيت أحداً يشك أنّ عبدالله ابن زيد الأنصاري ضرب مسيلمة، ورماه وحشي فقتلاه جميعاً وهذا هو الأصح فروى غير واحد عن عبدالله يقول: أنا قتلته.

وعن أمّه أمّ عمارة بنت كعب تقول: إن ابني عبدالله هو الذي قتله، وذلك

(٢٤٦م) رواه البخاري (٤٠٧٢).

أنّ ابنها خبيب بن زيد أخذه مسيلمة قبل يوم اليمامة فقطعه عضواً عضواً ثم أحرقه بالنار، حيث لم يقرّ بنبوته وأقرّ بنبوة محمد ﷺ، فلما بعث أبو بكر خالداً إلى اليمامة استأذنت أم عمارة في الخروج فقال لها: قد عرفناكِ ومثلك لا يمنع من الخروج، فخرجت وعاهدتِ الله لئن رأت مسيلمة لتقتحمن عليه أو تقتل دونه، قالت: فلما اختلطت السيوف بيننا وبينهم في الحديقة وخرّس القوم فلا صوت إلاّ وقع السيوف حتى بَصُرتُ بعدوّ الله فشددت عليه، وعرض لي رجل منهم فضرب يدي فقطعها، فوالله ما عرّجت عليها حتىٰ انتهيت إلى الخبيث وهو صريع، وأنّ ابني عبدالله قد قتله، وفي رواية: وابني عبدالله يمسح سيفه بثيابه، فقلت: أقتلته؟ قال: نعم يا أمي فسجدت لله شكراً، وقطع الله دابرهم.

وعن محمد بن يحيىٰ قال: جُرِحَت أم عمارة يومئذ أحد عشر جرحاً سوىٰ قطع يدها، وكان خالدٌ كثير التعاهد حسن الصحبة لها، وقتل يومئذ ثابت بن قيس، وكان قد ضرب فقطعت رجله فرمى بها قاتله فقتله، وحكي عنه بعد موته أشياء دلّت على عظم منزلته، يطول ذكرها، وممن قتل يومئذ: حاجب ابن زيد وأبو عقيل وبشر بن عبدالله وثابت بن عامر العجلاني، فلما رأى مجاعة هذه المقتلة من قومه احتال في المصالحة مع خالد فأرسل إلى قومه أن ألبسوا السلاح النساء والذرية والعبيد، ثم إذا أصبحتم فقوموا مستقبلي الشمس على حصونكم حتى يأتيكم أمري وبات خالد والمسلمون يدفنون موتاهم، فلما أصبح خالد أمر بمجاعة وسيق إليه في الحديد، ثم فتش عن الخبيث مسيلمة فوقف عليه مقتولاً، وقال: يا مجاعة هذا صاحبكم الذي فعل بكم ما فعل، وظنّ خالد أنه لم يبق منهم مقاتل، فقال مجاعة: قد كان ذلك يا خالد، ولا تظن أن الحرب انقطعت وقد قتلت صاحبهم، والله ما جاءك إلاّ سرعان، وإنّ جماعة الناس لفي الحصون، فانظر، فرفع خالد رأسه وهو يقول: قاتلك الله ما تقول؟ فنظر خالد، فإذا الخلق بسلاحهم على الحصون، فرأىٰ أمراً مهولاً،

أدركته الحمية، فنادىٰ: يا خيل الله اركبي، ودعا بسلاحه وأمر صاحب الراية أن يقدمها، والمسلمون كارهون قد ملّوا من الحرب، وعامة من بقي جريح، وقال مجاعة: يا خالد إني لك ناصح إن السيف قد أفناك وأفنىٰ غيرك، فتعال أصالحك عن قومي، فرقّ خالد لأصحابه وأحب الموادعة، فاصطلحا على الصفراء والبيضاء والحلقة والكراع ونصف السبي، ثم قال مجاعة: آتي القوم فأعرض عليهم ما صنعت، فذهب ورجع وأخبر أنهم أجازوه، وأنكر بعض الصحابة الصلح، ومن أشدّهم أُسيد بن حضير، فقال له خالد: أفناكم السيف، قال: وأفنىٰ غيرنا أيضاً وقتلنا رأسهم فلا ندخل في الصلح حتى يظفرنا الله، أو نبيد من آخرنا، وبينما هم كذلك، إذ ورد عليهم كتاب أبي بكر فيه: فإذا جاءك كتابي فإن أظفرك الله فلا تبق منهم رجلاً جرت عليه الموسىٰ، فقالت الأنصار: أمر أبي بكر فوق أمرك فلا تبق منهم، فقال خالد: والله ما صالحتهم إلا بما رأيت من رقتكم وقد صالحتهم ومضى الصلح فيما بيني وبينهم، ولمّا بان لخالد ما فعل مجاعة، قال: ويلك يا مجاعة قد خدعتني مرتين، فقال: لم أجد بدّاً من ذلك، ثم إنّ خالداً قد خطب إلى مجاعة ابنته، وكانت أجمل أهل اليمامة، فقال له: مهلاً ولا أرغب عنك، ولكن القالة عليك كثيرة، فقال له: زوجنيها فليس هذا بأمر عظيم، فقال: قد نصحتك وهل يكون عيباً إلاّ عليك؟ فزوّجه وبلغ ذلك أبا بكر فغضب، فقال لعمر: إن خالداً لحريص على النساء حين يصاهر عدوه، وينسى مصيبته، فازداد غيظ عمر رضي الله عنه عليه، فكتب إليه أبو بكر: يا خالد إنك لفارغ تنكح النساء وتعرس بهنّ وببابك دماء ألف ومئتي مسلم، لم تجفّ بعد، ثم خدعك مجاعة عن رأيك فصالحت وقد أمكن الله منهم، فكتب في جوابه كتاباً فيه حسن الاعتذار إلى أبي بكر، وأرسله مع أبي برزة الأسلمي، فلما قرأ أبو بكر كتابه رقّ له بعض الرقة، وعمر باق على شدّته مع رهط من قريش، فقام أبو برزة وعذر خالداً، وقال: يا خليفة رسول الله ما يُؤْبَنُ خالد بجبن ولا خيانة، ولقد أقحم في الحرب حتىٰ أعذر، وصبر حتىٰ

ظفر، وما صالح القوم إلاّ على رضاه، وما أخطأ رأيه بصلح القوم إذ لا يُرىٰ النساء في الحصون إلاّ رجالاً فقال له: صدقت، وكلامك أحبّ إليّ من عذره في كتابه، ولما صالحهم خالد أمر بالحصون ففتحت وأخرج ما فيها من الأموال، ثم ألزمها الرجال، وحلّف مجاعة أن لا يغيب شيئاً مما فيها، ثم أخرج السبي فقسمه قسمين وأقرع بينهما، ثم قسم قسمه مع سائر الأموال وعزل الخمس حتىٰ قدم به على أبي بكر مع وفد اليمامة، فلما دخل المدينة لم يبق دار إلاّ وفيها باكية لكثرة القتلىٰ، فبكىٰ أبو بكر لما رأىٰ ذلك، فقال لِخالِدٍ سَمّ لي أهل البلاء، فقال: يا خليفة رسول الله: البلاء للبراء بن مالك والناس تبع له.

فثـاني العـام ربيـع الأول وذاق مسيلمـة شر مقتـل

(فثاني العام) منصوب بتقدير في ظرف لذاق الآتي أي ففي ثاني العام من خلافة الصديق رضي الله عنه (ربيع الأول) بدل بعض مما قبله أي ففي شهر ربيع الأول من ثاني العام كانت وقعة اليمامة (وذاق) (مسيلمة) الكذاب فيها مقتلا (شر مقتل) ضربه وحشي بحربة بين كتفيه وأنصاري بسيفه فقتلاه جميعاً كما مرّ تفصيله ولا يخفىٰ أن ربيع الأول تركيب توصيفيّ لا إضافيّ ولا يستعمل بدون لفظ شهر كما مرّ أول الكتاب ففي النظم حذف شهر، وتنوين ربيع، لكن يقتضي نصب الأول وهو لا يوافق مقتل المجرور بالإضافة، فالصواب أن يقول [يقال]: في ثاني العام ربيع الأول حتى يكون ربيع بدلاً مجروراً فتأمله.

وعدد من استشهد يوم اليمامة ألف ومائتان كما في كتاب أبي بكر السابق، وجرح من لم يُقتل، وعدد مَن قُتِلَ من القراء سبع مائة، وروي عن سالم بن عبدالله: أنه قتل من قريش سبعون ومن الأنصار مثله ومن غيرهم خمسمائة. وعن أبي سعيد الخدري: قتلت الأنصار في مواطن أربعة سبعين سبعين يوم أحد سبعين، ويوم بئر معونة، ويوم اليمامة، ويوم خيبر أبي عبيد كذلك، وفي المنتقىٰ

للقسطلاني كان عدد بني حنيفة أربعين ألفاً، فقتل من المسلمين ألف ومائتان، وقيل: ألف وثمانمائة، ومن المشركين نحو عشرين ألفاً، وقيل: عشرة آلاف، فلما أُتي أبو بكر بالسبايا أعطىٰ علياً الحنفية فولدت له محمد المشهور بابن الحنفية.

[**فائدة**] بلد مسيلمة مدينة اسمها اليمامة، ويقال لها: حجر اليمامة وجوّ اليمامة وهي بلد معروف باليمن، وقيل: اليمامة اسم امرأة زرقاء يقال لها: زرقاء اليمامة تضرب بها الأمثال في حدة البصر، وهي اليمامة بنت مرّة من ذرية آدم بن سام ابن نوح فسميت البلدة بها.

سنــــة ثــلاث عشرةً أولهــا ... جهّـز مـن جيـوشه أجلهـا
بعضـاً إلى الشام العــراق ثم ... حتىٰ استقـام علــم الإســلام

(سَنَهْ) باسكان الهاء اجراءً للوصل مجرىٰ الوقف (ثلاث عشرةً) بالتنوين للوزن (أولها) بالنصب بدل مما قبله ظرف لقوله (جهّز) أي الصديق (من جيوشه أجلها أي أحسنها شجاعة وصبراً على الحرب وغير ذلك فبعث (بعضاً من جيوشه (إلىٰ) حرب (العراق) وولّىٰ عليهم خالد بن الوليد بعد رجوعه من اليمامة إلى المدينة، وقيل: ولآه ذلك وهو باليمامة فسار بمن معه إلى العراق، حتّىٰ نزل قصور الحيرة بكسر الحاء بلدة قريب الكوفة، فخرج إليه أشرافهم مع قبيصة بن إلياس الطائي أميرهم من جهة كسرىٰ بعد النعمان بن المنذر، فقال له خالد: أدعوكم إلى الإسلام، فإن أجبتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد آتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة، فنجاهدكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم، فقال له قبيصة: لا حاجة لنا بحربك فنعطيك الجزية، فصالحهم علىٰ تسعين ألف دينار، فكانت أول الجزية [جزية] في العراق، وقيل: خرج إليه عبدالمسيح بن عمرو بن نفيلة وكان معمراً له ثلاثمائة وخمسون سنة، وقيل: أربعمائة، وكان نصرانياً، فقال له خالد بعد

كلمات: أدعوكم إلى الإسلام، فإن أبيتم فالجزية، فصالحهم على ما ذكر، ويمكن الجمع بوقوع المصالحة مرتين، لرواية أنه لما صالح أهلها، وتحول عنهم نقضوا العهد فبعث خالد إليهم مثنى بن حارثة فحاصرهم، فخرج عبدالمسيح إلى خالد فصالحه.

وروي أن عبدالمسيح لما أتاه وجد في كفه شيئاً يقلّبه، فقال له خالد: ما هذا؟ قال: وأمانة الله سُمٌّ ساعة، قال: وما تصنع به؟ قال: إن كان عندك ما يوافق قولي [قومي] قبلته، وإن كانت الأخرى لم أكن أول من ساق على قومه ذلاًّ، وقد أشرفت على الموت فأشربه وأستريح، قال خالد: هاته لن تموت نفسي حتى تأتي على أجلها، فقال: بسم الله وبالله ربّ الأرض والسماء لا يضرّ مع اسمه [شيء ولا] داءٌ فأهووا إليه ليمنعوه فبادرهم وابتلع السُّمّ ولم يضره، فقال عبدالمسيح: والله يا معشر العرب لتملكن ما أردتم ما بقي منكم أحد أيها القرن، ثم أقبل على أهل الحيرة فأخبرهم وأمرهم بالمصالحة، ثم بعث أبو بكر بعضاً آخر من جيوشه إلى البحرين إلى أهل الردة، وولّى عليهم علاء بن الحضرمي قال الدميري: ولما بعثهم سلكوا مفازةً وعطشوا حتى خافوا الهلاك، فنزل العلاء وصلّى ركعتين، ثم قال: يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم اسقِنا، فجاءت سحابة كأنها جناح طائر، فأمطرت عليهم حتى ملؤوا الآنية وسقوا الركاب، قال الراوي: ثم انطلقنا حتى أتينا دارِيْنا بيننا وبينهم البحر فلم نجد سُفُناً، وكان المرتدون قد أحرقوا السُفُن فصلّى ركعتين، ثم قال: يا حليم يا عليم يا عليّ يا عظيم أجزنا، ثم أخذ بعنان فرسه ثم قال: جوزوا بسم الله، قال: أبو هريرة فمشينا على الماء، فوالله ما ابتلّ لنا قدم ولا خفّ ولا حافر، وكان الجيش أربعة آلاف، وفي رواية: وكان البحر مسيرة يوم، وفي رواية: حُبِس لهم البحر حتى جاوزوه أي العلاء وأصحابه مشياً على أرجلهم، وكانت تجري فيه السفن قبل ثم جرت فيه بعد، فقاتلهم فأظفره الله عليهم، وأسلموا [وسلموا] له ما منعوه من

جزية صالحهم عليها رسول الله ﷺ، وفي ذلك يقول عفيف بن المنذر وكان معهم:

ألم تــــر أنّ الله ذلّـــل بحره ... وأنزل بالكفار إحدى الجلائـل
دعانا الذي شق البحار فجاءنـا ... بأعظم من خلق البحار الأوائـل

(غزو الروم)

(ثم) جهّز أجل الجيوش وأمّر عليهم أمراء ووجّههم إلى غزو الروم على (الشام، حتى استقام علم الإسلام) وطارت هيبته في قلوب الأعداء، وبيان ذلك: أن أبا بكر رضي الله عنه لما فرغ من أهل الردة واستقامت له العرب عزم على غزو الشام، فشاور أكابر الصحابة من العشرة وغيرهم، فاستصوبوا رأيه وأطاعوه، فخطب ورغّب الناس في الجهاد، ثم أمر بلالاً أن يؤذن في الناس بالخروج إلى جهاد عدوهم الروم بالشام، وأمّر عليهم خالد بن سعيد، وكان من عمّاله ﷺ على اليمن كما مرّ، ثم عزله بأمر عمر رضي الله عنه، ودعا يزيد بن أبي سفيان، وأبا عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة فقال لهم: إني مؤَمِّرُكُمْ على هذا الجيش، وأمدّ كلاً منكم بالرجال ما قدرت، فإذا أجمعتم على حرب عدوكم فأميركم أبو عبيدة، فإن لم يلقكم فيزيد بن أبي سفيان، ثم أمر بالعسكر مع هؤلاء الثلاثة، وبلغ خالد بن سعيد عزله ولم يتكدر، فقال لأبي بكر إنك غير متهم: ورأيك حسن فافعل فيّ ما ترىٰ [تريد]، فخرج هو وإخوته وغلمته، فكانوا أول من خرج إلى المعسكر، ثم كتب أبو بكر كتاباً مع أنس إلى اليمن يدعوهم إلى الجهاد، حتىٰ انتهىٰ إلى ذي الكُلاع الحميري، فلما قرأ الكتاب دعا بفرسه وسلاحه ونهض في قومه، فجاء بجموعٍ كثيرةٍ بأولادهم ونسائهم مسرعين إلى المدينة، ففرح أبو بكر، قال أنس: وجاء قيس بن هبيرة المرادي بجمع كثير، فقال لأبي بكر: ما تنتظر؟ قال: قدومكم، قال: قدمنا فابعث

الناس الأول فالأول، فإن هذه البلدة ليست ببلدة خفّ ولا كراع.

فعقد أبو بكر ليزيد بن أبي سفيان لواءً وأمره أن يخرج بجيشه قِبل الشام، فشيعه أبو بكر ماشياً ويزيد راكب، فقال له: إمّا أن تركب وإمّا أن تأذن لي بالمشي، فقال أبو بكر: ما أنا براكب وما أنت بنازل(٢٤٧) سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من اغبرّت قدماه في سبيل الله تعالىٰ حرّمهما الله على النار »(٢٤٨) ثم أوصاه وودّعه، ثم أمر شرحبيل في اليوم الثالث بالخروج فودعه كما فعل بيزيد، وبقي عظيم الجيش مع أبي عبيدة يصلي بهم في المعسكر وينتظر الإذن بالخروج، وأبو بكر ينتظر قدوم العرب عليه من كل ناحية [مكان] لقوّة عدوهم من الروم، فاجتمعت جموع كثيرة من حمير فيهم ذو الكلاع، ومذحج فيهم قيس بن هبيرة، وطيّ فيهم حابس بن سَعد الطائي، وأزد فيهم جندب بن عمرو، وجماعة من قبائل قيس.

وأما ربيعة وتميم فكانوا بالعراق، ثم أمر أبا عبيدة بالخروج، فشيعه وأوصاه وودّعه ولما تهيأ خالد بن سعيد للخروج مع أبي عبيدة قيل له: ابن عمّك يزيد ابن أبي سفيان أولىٰ بذلك، فقال: ابن عمّي أحب إليّ في قرابتي وهذا أحب إليّ في دينه، وكان أخي في ديني في عهده ﷺ، فقام من الغد هو وإخوته وغلمته وأتباعه، فصلّوا الصبح مع أبي بكر ثم جلسوا إليه، فحمد الله وأثنىٰ على رسوله ثم قال: هات يدك يا أبا بكر، فإنّا لا ندري أنلتقي في الدنيا أم لا ؟، فإن بقينا فنسأل الله عفوه، وإن افترقنا فعرّفنا الله وإياك وجه النبي ﷺ في جنّات النعيم، فأخذ أبو بكر بيده فبكىٰ، وبكىٰ خالد والمسلمون، ثم خرج الناس معه، قال أنس: فما رأيت أحداً شيّعه أكثر مما شيع خالداً يومئذ، ثم ودّعهم أبو بكر ودعا لهم، ثم أتى محمد بن خليفة الطائي أخو عدي بن حاتم لأمه، ومعه ستمائة من طيّء،

---

(٢٤٧) إلى هنا رواه الطبراني في الكبير (ج٢٢ رقم٦٠٧) بسند منقطع.

(٢٤٨) هذا الحديث المرفوع رواه البزار (١٦٦٠) باسناد فيه كوثر بن حكيم وهو متروك.

فقالوا لأبي بكر: اختر لنا والياً صالحاً، فقال: الحقوا بأبي عبيدة، فنعم الرفيق فلحقوه بالشام، ثم قدم من خثعم قريب من ألف بنسائهم وذراريهم فلحقوا بيزيد، ثم بلغ ذلك هرقل وهو بفلسطين، فقيل له: إن العرب قد جمعت جموعاً عظيمةً يريدون الاستيلاء على بلادك، ومعهم نساؤهم وأولادهم تصديقاً لإخبار نبيّهم: بأنهم سيملكون هذه البلاد فاشتدّ علىٰ هرقل، وجمع أشراف الروم من البلاد، ومن كان على دينه من العرب، فحصّنهم على التمسّك بدينهم والثبات علىٰ حربهم، ثم خرج إلى دمشق فوصاهم بذلك، ثم إلى حمص كذٰلك، ثم إلى أنطاكية وأقام بها وبعث إلى الروم ليجتمعوا بها، فاجتمع ما لا يحصىٰ لخوفهم من العرب، ثم أقبل أبو عبيدة فمرّ بوادي القرىٰ، ثم بالحجر: أرض صالح النبي عليه الصلاة والسلام، ثم سار إلىٰ مآب بعمّان من أرض البلقاء بالشام، فخرج إليهم الروم فهزمهم المسلمون، فحاصروهم في مدينتهم، فصالح أهل مآب عليها، فكانت أول مدائن الشام صلحاً، ثم دنا أبو عبيدة من الجابية قرية بدمشق فأخبروه: أن هرقل قد جمع بأنطاكية ما لم يجمع أحد قبله، فكتب إلى أبي بكر بذلك، فكتب إليه: أن جمعه بأنطاكية وتحوّله من ملكه بلا قتال جبن وهزيمة، وأن من معك من المسلمين قوم يحبون الموت في الجهاد حُبَّ عدوهم الحياة، ورجل منهم عند الحرب خير من ألف من المشركين، فالقهم بجندك ولا تستوحش فإن الله معك، وأنا مع ذلك ممدّك بالرجال حتى تكتفي والسلام.

وكتب يزيد أيضاً إلى أبي بكر رضي الله عنه: إنّ هرقل ألقى الله الرعب في قلبه وتحوّل إلى أنطاكية وخلف أمراء على جند الشام لقتالنا، ثم استنفر أهل مملكته وجاؤوا يجرّون الشوك والشجر فمرنا بأمرك وعجّل والسلام، فأجابه بنظير ما أجاب به أبا عبيدة، ثم بعث أبو بكر هاشم بن عتبة في ألف عوناً لأبي عبيدة ثم عامر بن سعيد في أكثر من سبعمائة عوناً ليزيد، فشهدوا معه يوم العربة ويوم الداثنة، وهما أول وقعة بالشام وليسا من الأيام العِظام، ثم قدم على أبي بكر حمزة بن مالك الهمداني في ألف أو أكثر فلحقوا بأبي عبيدة، فما زال أبو

بكر يوجه الجنود من قبائل تأتيه من كل ناحية نصرةً للإسلام، ولما رأىٰ أهل مدائن الشام أن العرب جاشت عليهم من كل ناحية بعثوا إلى ملكهم يسألونه المدد، فكتب إليهم: أن مدينةً من مدائنهم فيها أكثر من جميع ما جاءكم منهم فكيف تستمدونني، ومع ذلك لأبعثن إليكم ما تضيق به الأرض، فقاتلوهم حيث وجدتموهم، فكتب أبو عبيدة بذلك إلى أبي بكر، فدعا أشراف قريش من المهاجرين وأشراف الأنصار، وأمّر عليهم عمرو بن العاص، وأمرهم أن يلحقوا بأبي عبيدة، فكانوا نحو ألفين، فسُرَّ أبو عبيدة بعمرو، لأنه كان ذو رأي في الحرب وتجربة في الأمور، وقد أشار الناظم إلىٰ بعض فتوح العراق والشام إجمالاً فقال:

فابن الوليد فتح الأُبلَّة ووقعت في الفرس أي ذلة

(فابن الوليد) خالد (فتح الأُبُلَّة) بضم الهمزة والباء وفتح اللام المشدّدة مدينة صغيرة بالبصرة حسنة عامرة، يجري فيها أنهار الأبلة طيبة جداً نضرة الأشجار متدفقة الأنهار، حتّىٰ عدّت من جنان الدنيا (ووقعت في الفرس) بسبب انهزامهم مرة بعد أخرىٰ لما قاتلهم خالد رضي الله عنه (أي ذلّه) أيْ ذلة أيُّ ذلة أيْ ذلة عظيمة، على حدّ مررت برجل أيّ رجل.

وبيان ذلك أن خالداً لما قدم الأُبلّة لقي هرمزاً في ثمانية عشر ألفاً، فانهزم أهل فارس وقتل منهم كثير، وقسم خالد الأسلاب، وبعث بالخمس مع سعيد ابن النعمان، وبلغ الخبر أردشير فبعث الأندر في خلق كثير، فلقوا خالداً فهزمهم، ومات الأندر عطشاً في البراري، وبلغت قتلاهم سبعين ألفاً كما في عيون التواريخ، ثم قصد خالد الأنبار وهي مدينة قديمة أول بلاد العراق ففتحها، واستخلف عليها الزبرِقان بن بدر وقصد عين التمر موضع قرب الكوفة، فامتنع أهلها، فحاصرهم حتىٰ أنزلهم وضرب أعناقهم وسبا منهم كثيراً،

ووجد في بيعتهم أربعين غلاماً يتعلمون الإنجيل، عليهم باب مغلق فكسره عنهم وقسمهم في العسكر، منهم سيرين أبو محمد بن سيرين، ثم خلف على عين التمر عويمر الأسلمي فسار إلىٰ دومة الجندل فقاتله أهلها فانهزموا، وتحصن أقوام بالحصن فلم ينفعهم، وقلع خالد باب الحصن، وسبا ابنة الجودي صاحب دومة، وكانت موصوفةً بالجمال، ولما بلغ الروم ما صنع خالد حميت واستعانت بمن يليهم من الفرس، ومن تغلب، وأنمار، وغيرهم، فأمدّوهم ثم ناهزوا خالداً حتى إذا صار الفرات بينهم قالوا: إما أن تعبروا إلينا وإمّا أن نعبر إليكم، قال خالد: بل اعبروا إلينا فعبروا واقتتلو قتالاً طويلاً، فهزمهم الله تعالىٰ وبلغ قتلاهم أزيد من مائة ألف، وأقام خالد هناك بعد الوقعة، ثم أمر عاصم بن عمرو أن يسير بالقوم إلىٰ الحيرة، وخرج خالد حاجاً مكتتماً، يعتسف البلاد في طريق لم يسلكه أحد في أسرع زمن شكراً لله عزّ وجلّ، فلما علم أبو بكر رضي الله عنه ذلك عتب إليه، ونهاه أن يعود لمثله خوف ضياع المسلمين، وأمره أن ينصرف من العراق إلى الشام، ويغيث عسكر المسلمين من الروم كما قال الناظم:

وجاء إلى الشام من العراق   يجوب ذاك البر باختراق

(وجا) أي خالد في أصحابه الذين كانوا معه، وهم ثمانمائة وخمسون كلهم ذوو نية وبصيرة، وفيهم ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار، كما قاله قيس بن حازم وحذف همزة جاء لالتقاء الهمزتين (إلى الشام) هي بلاد واسعة وحدّه: من الفرات إلى العريش كما ذكره ابن الملقن، وهي الأرض المقدسة مهبط وحي الأنبياء، وأهلها أحسن الناس خَلْقاً وخُلُقاً قال بعضهم: إن الشام خمس شامات الأولىٰ: غزّة والرملة وفلسطين والثانية: الأُردن وطبرية والغور، والثالثة: الغوطة ودمشق وسواحلها، والرابعة: حمص وحماه وقنسرين وحلب، والخامسة: أنطاكية والعواصم وطرسوس، وقيل: لما كان الشام في أيدي الروم مقسوماً على أربعة أقسام بعث أبو بكر إلىٰ كل جنداً، وأمّر عليهم أميراً (من العراق) ناحية

مشهورة وهي من الموصل إلى عبّادان طولاً ومن القادسية إلى حلوان عرضاً، أرضها أعدل أرض الله مولداً، وأصحّها تربةً، وأهلها أصحاب الأبدان الصحيحة، والعقول الوافرة كما ذكره المؤرخون، روي أنه لما نزل أبو عبيدة الجابية قرية بدمشق كتب إلى أبي بكر رضي الله عنه: إنّ الروم ومن تبعهم أجمعوا على حربنا ونحن نرجو النصر وأحببت إعلامك لترينا رأيك والسلام.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله لأنسيّنّ الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد، وكان خالد إذ ذاك يلي حرب العراق فكتب إليه: أمّا بعد فدع العراق وخلّف فيه أهله وامض مختفياً في أهل القوة من أصحابك حتى تأتي الشام فتلتقي أبا عبيدة ومن معه فإذا لقيتهم فأنت أمير الجماعة والسلام.

ويروى أنه كان فيما كتب إليه: فلتهنك النعمة والحظوة أبا سليمان، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل فوافاه الكتاب وهو بالحيرة منصرفاً من حجة حجّها مكتتماً كما مرّ، وذلك بعد فراغه من إيقاعه بالروم ومن أعانهم من جموع فارس بالفتراض [بالفراض]، هو موضع بين البصرة واليمامة كما في القاموس، وكان قد اشتدت هيبة أهل العراق من خالد، لأنه إذا نزل بقوم من المشركين كان عذاباً من عذاب الله تعالى عليهم، فلما قرأ الكتاب قال: أمّا إذ ولآني فقد سررت، فقد كنت أرجو أن يفتح الله على يدي العراق، وإن في الشام خلفاً منه، فقيل له: ما الشام إلاّ كجانب من العراق، فقال: إن بالشام أهل الإسلام، وقد تجمع لهم الروم، فإنما أنا مغيث، ويروى: أن أبا بكر أمره بالخروج في شطر الناس، ويخلّف المثنى بن حارثة على الشطر الآخر ففعل، وأوصى المثنى أن لا يقصر في الجهاد، وقال لهم: إن فرغنا عاجلاً عجلنا إليكم، وإن أبطأتُ رجوت أن لا تهنوا حتى بفتح الله عليكم هذه البلاد، وخليفة رسول الله ﷺ لا يترك إمدادكم (يجوب) أي يقطع خالد في مجيئه من العراق إلى الشام (ذاك البرّ) الأقفر (باختراق) أي باختراقه وقطعه له بغير طريق على خلاف العادة، ذكره

الطبري: أنه لما أراد المسير إلى الشام، دعا بالأدلّة، فارتحل من الحيرة ثم طعن في البرّ إلى قِرَاقِرَ، ثم قال: كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم، فإني إن استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين، فقالوا: لا نعرف إلاّ طريقاً لا يحمل الجيش، فإياك أن تهلك المسلمين، ولم يجبه إلى ذلك إلاّ رافع بن عميرة الطائي، وحرضهم على المسير وحسن النيّة.

وذكر غير الطبري: أنه لما أراد المسير قيل له: اجعل كوكب الصبح على حاجبك الأيمن، ثم أُمَّه حتى تصبح، فإنك لا تجوب، فجرّبه فوجده كذلك، ثم أخذ في السماوة حتىٰ انتهىٰ إلىٰ قراقِرَ، ففوزاء أي سلك في المفازة من قراقر إلى سُوىٰ، وهما منزلان بينهما خمس ليال، فلم يهتدوا للطريق، فدُلّ خالد على رافع ابن عمير الطائي، فقال له خفّف الأثقال واسلك هذه المفازة إن كنت فاعلاً، فكره خالد أن يخلف أحداً وقال: قد أتـاني أمر لا بدّ من إنفاذه وأن نكون جميعاً قال: فوالله إن الراكب المنفرد ليخاف على نفسه أن يسلكها، فكيف أنت بمن معك؟ قال: لا بدّ من ذلك، ثم قال لخالد: ابغني عشرين جزوراً سِماناً عظاماً مساناً أي كباراً فأتاه بها فظمّأهن حتى إذا جهدهنّ عطشاً سقاهنّ حتّىٰ أرواهن، ثم قطع مشافرهنّ ثم عكمهنّ أي شدهنّ بثوب، ثم قال لخالد: سِرْ بالخيول والأثقال، فكلّما نزل منزلاً نحر من تلك الشرف أي الإبل الهرمة الكبار أربعاً، فافتظّ أي عصر ماءهنّ فسقاه الخيول وشرب الناس مما تزودوا، حتّىٰ إذا كان آخر ذلك، قال خالد لرافع: ويحك ما عندك؟ قال: أدركك الرِيّ إن شاءالله تعالىٰ، انظروا هل تجدون شجرة عوسج على ظهر الطريق قالوا: لا، قال: إنّا لله إذاً والله هلكت وأهلكت انظروا فوجدوها، فكبّر وكبّروا، وقال: احفروا في أصلها فاحتفروا فوجدوا عيناً فشربوا وارتووا، فقال: والله ما وردت هذه الماء إلاّ مرة مع أبي وأنا غلام، قال راجز من المسلمين:

لله درّ رافـــع أنّـــى اهتـــدىٰ　　　فـوّز مـن قـراقـر إلى سُـــوىٰ

أرضاً إذا ما سارها الجيش بكا ما سارها من قبله إنس يُرىٰ

وروي أنه لما أقبل خالد من عين التمر موضع قريب الكوفة إلىٰ الشام كتب إلى المسلمين: أمّا بعد فإن كتاب خليفة رسول الله ﷺ أتاني بالمسير إليكم وقد شمّرت، وكان قد أظلت عليكم خيلي ورجالي، فأبشروا بإنجاز موعد الله وحسن ثوابه للمجاهدين والسلام.

وإلى أبي عبيدة كتاباً آخر فيه: أمّا بعد فإني أسأل الله لنا ولك [ولكم] الأمن يوم الخوف والعصمة في دار الدنيا من كل سوء، وقد أتاني كتاب خليفة رسول الله ﷺ بالمسير إلى الشام وبالقيام على جندها والتولي لأمرها، والله ما طلبت ذلك ولا أردته قط، فأنت على ما كنت عليه لا نعصيك، فأنت سيد المسلمين لا ننكر فضلك، ولا نستغني عن رأيك والسلام.

ولما بلغهم ذلك شقّ على المسلمين تولية خالد على أبي عبيدة، وأمّا أبو عبيدة فلم يتغيّر منه شعرة فقال: بارك لخليفة رسول الله ﷺ فيما رأىٰ، وحيّا الله خالداً، وكتب أبو بكر إلى أبي عبيدة:

أمّا بعد فإنّي قد ولّيت خالداً قتال العدوّ بالشام، فاسمع له وأطعه، فإني لم أبعثه عليك أن لا تكون خيراً منه، ولكن ظننته أعلم بأمور الحرب، أراد الله بنا وبك خيراً والسلام، ولمّا خرج خالد من عين التمر إلى الشام، أغار في الطريق على كل من قدر عليه من بني تغلب وغيرهم، وعن قيس بن أبي حازم قال: أقبل بنا خالد حتىٰ مرّ بأركة أي قرية قرب تدمر أي بوزن تنصر، مدينة فتحصنوا منه، فأحاط بهم فلم يقدر عليهم، فقال حين أراد الانصراف عنهم: والله لو كنتم في السحاب لاستنزلناكم وظهرنا عليكم، فإن لم تصالحوني في هذه المرّة لأرجعنّ إليكم، ثم لا أرحل عنكم حتىٰ أقتلكم وأسبي ذراريكم، فقال علماؤهم: هٰؤلاء هم الذين كنا نتحدث أنهم يظهرون علينا فافتحوا لهم، فصالحوا خالداً. وعن سراقة بن عبد الأعلىٰ قال: لمّا مرّ خالد علىٰ حوران أغار عليهم،

فغنم وقتل وأقام عليهم أياماً، فجاء لهم الإمداد من بعلبك، وهي أرض دمشق ومن بصرىٰ، وهي مدينة حوران من أرض دمشق أيضاً، فخرج خالد إليهم وصفّ بالمسلمين، ثم تجرّد في مائتي فارس فحمل على مدد بعلبك، وهم أكثر من ألفين، فما وقفوا حتى انهزموا ودخلوا المدينة، ثم انصرف يوجف بأصحابه [في أصحابه] حتىٰ كان بحذاء مدد بصرىٰ، فحمل عليهم وهم أكثر من ألفين فهزمهم أيضاً، فدخلوا المدينة، ثم أظهر الله عليهم المسلمين فصالحوا خالداً، وقال أهل حوران:

لما جاءنا المدد خرجنا لنقاتلهم وكنّا أكثر من أصحاب خالد بعشرة أضعاف، فلما دنونا صاروا في وجوهنا كأنهم الأسد فانهزمنا، وفينا فارس يعدّ بألف فارس، فحلف لئن رأىٰ أميرهم ليقتلنه، فلما رأىٰ خالداً قيل له: هو هذا فحمل عليه وإنا لنرجو من بأسه أن يقتله، فأقدم خالد [عليه] بفرسه فضربه وقتله، فما كان لنا همّ إلاّ الصلح.

وعن قيس بن أبي حازم قال: كنت مع خالد حين مرّ بالشام حتىٰ نزل ببصرىٰ مدينة حوران، ففتحها بعد مقتلة عظيمة، وما نحن إلاّ ثمانمائة وخمسون رجلاً، وكانوا أكثر من خمسة آلاف والكثير والقليل عند خالد سواء لجرأته عليهم، ثم خرج منها فأغار على غسّان في جانب مرج راهط بالشام انتهىٰ، قالوا: إن بصرىٰ أول ما افتتح من بلاد الشام على يد خالد بمن معه من العراق.

واجتمعوا في يوم أجنادينا ... ما بين رملة إلى جبرينا

(واجتمعوا) أي خالد بمن معه مع أمراء الشام قبله بمن معهم فوافوا جميعاً بأجنادين لحرب الروم (في يوم) وقعة (أجنادَينا) بفتح الدال كما في النهاية وإشباع النون للوزن موضع بالشام كما بينه الناظم بقوله (ما بين رملة) بفتح الراء وسكون الميم هي المدينة المشهورة المسماة بفلسطين وهي أيضاً اسم محلّة

بسرخس، ومكان ببغداد خربت الآن، وقرية بالبحرين لبني عامر، ورملة بناحية نجد، وليست مرادةً هنا (إلىٰ جِبرينا) بالجيم وبالنون في آخره بوزن غسلين بُليدة بالشام قرب غزة وبها حصن، ذكر سعد بن الفضل وغيره: أن خالداً لما دخل الغوطة مرّ بثنيّة ومعه راية تدعى العُقاب فسميت ثنيّة العقاب، ثم نزل ديراً فسمي دير خالد وهو [وهي] مما يلي باب شرقي دمشق، وجاء أبو عبيدة فنزل بباب الجابية، فبينما هما مقيمان على قتال عدوهما، وشنّ الغارات في الغوطة بلغهما أن وردان صاحب حمص جمع الجموع لشرحبيل وهو ببصرىٰ، وأن جموعاً من الروم نزلت بأجنادَين، وأن أهل البلاد ومن مرّوا بهم قد سارعوا إليهم، فهالهما هذا الخبر، فتشاورا، فقال أبو عبيدة نغيث شرحبيل ثم نلقى عدونا جميعاً، وقال خالد: إن جمع الروم بأجنادَين هنا، وإن سرنا إلى شرحبيل تبعونا، فالرأي أن نبعث إليه من يحذره، ونأمره أن يوافينا بأجنادين، وكذلك نبعث إلى يزيد وعمرو بن العاص، فيلحقا بنا بأجنادين، ثم نقاتل عدونا فاستحسنه أبو عبيدة، فكتب إلى كل أن يوافوه بأجنادَين، ثم خرجا بالناس إلى أهل أجنادين، والمسلمون سراع إليهم جرآء عليهم فراعهم أهل دمشق في آثارهم، فلحقوا في جمع كثير أبا عبيدة في أخريات الناس وهو في نحو مائتي رجل، فأحاطوا به فقاتلهم أشد القتال، فبلغ خالداً وهو في أمام الناس مع الفرسان، فرجع في أهل القوة مسرعين فلحقوه، وهو في أحسن قتال معهم، فحمل عليهم خالد بخيله، وقذفهم ثلاثة أميال حتى أدخلهم دمشق، ثم انصرف وهو ينتظر قدوم أصحابه عليه، فأقبل شرحبيل ويزيد بن أبي سفيان بمن معهما خالداً وأبا عبيدة، ثم ساروا إلى أجنادين فوافاهم عمرو بن العاص بمن معه، فاجتمعوا بأجنادين، وكذلك لحق وردان أمير حمص في جمع الروم بأجنادين، واشتدّ أمرهم.

فتزاحف الناس غداة السبت، فأنزل خالد أبا عبيدة في الرجال، ومعاذ بن جبل على الميمنة وسعد [سعيد] بن عامر على الميسرة، وسعيد بن زيد على

الخيل، وكان خالد لا يقرّ في مكان، يحرض الناس على القتال وأمر النساء أن يقمن وراء الناس، يدعون الله تعالىٰ ويستغثنه، وكلما مرّ بهنّ رجل رفعن أولادهنّ، وقلن: قاتلوا دون أولادكم ونسائكم، وأمر خالد كل قبيلة بتقوى الله وبقتال من كفر بالله فقال: لا تنكصوا علىٰ أعقابكم، ولا تهابوا من عدوكم، وأقدموا كإقدام الأسد، لو ينجلي الرعب وأنتم أحرار كرام، قد أوتيتم الدنيا، واستوجبتم ثواب الآخرة، ولا يهولنكم كثرتهم، فإنّ الله تعالىٰ منزل عقابه بهم، فإن [فإذا] حملت عليهم فاحملوا معي، وكان خالد بطلاً مجرّباً بصيراً بالحروب مبارك الولاية، وكان من رأيه أن يدافعهم ويؤخرهم إلى صلاة الظهر عند مهب الأرياح، لأنها الساعة التي أحب ﷺ القتال فيها، فعجل الروم وحملوا عليهم مرتين، من قبل معاذ وسعيد بن عامر، فلم يتحرك لهم أحد، فنودي: يا خالد علام نستهدف لهٰؤلاء الأعلاج وقد رشقونا بالنشّاب، فأمر خالد بالحملة فحملوا بأجمعهم فما واقفوهم فواقاً وهزمهم الله تعالىٰ.

وكان ذاك اليوم أيّ ملحمـة وظهرت للعرب أيّ مكـرمـة

(وكان ذاك اليوم) أي يوم وقعة أجنادين ملحمة وقتال (أيَّ ملحمة) أي ملحمة عظيمة نصر الله المسلمين على الروم حتى قتلوا منهم في المعركة ثلاثة آلاف، ثم اتبعوهم يأسرونهم ويقتلونهم كيف شاؤوا، فبلغ فُلُّ الروم أي منهزموهم إلى إيليا وقيثارية ودمشق وحمص، فتحصنوا في المدائن خوفاً منهم (وظهرت) في ذلك الحرب كغيره (للعُرب) بضم العين وسكون الراء (أيَّ مكرُمَة) بضم الراء أي مكرمة ومنقبة عظيمة، لأن الله تعالىٰ أظفرهم على عدوهم مع عِظَم عِدّتهم كما عرفت، وقتل من المسلمين جماعة منهم: أبان بن سعيد أخو خالد بن سعيد، ويعبوب بن عمرو، وقاتلا أشدّ القتال، وسلمة بن هاشم المخزومي، ونعيم بن عدي بن صخر العدوي، وهشام بن العاص أخو عمرو بن

العاص، وعبدالله بن عمرو بن الطفيل الدوسي، وكان من فرسان المسلمين رحمهم الله تعالىٰ، ثم كتب خالد إلى أبي بكر:

من خالد بن الوليد سيف الله المسلول على [الأعداء و] المشركين إلى عبدالله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ سلام عليكم، فإني أخبرك أيها الصديق إنا التقينا نحن والمشركون، وقد جمعوا لنا بأجنادين وقد رفعوا صليبهم، وتقاسموا بالله لا يفرّون، حتىٰ يفنونا أو يخرجونا من بلادهم، فخرجنا واثقين بالله، فطاعنّاهم بالرماح شيئاً، ثم صرنا إلى السيوف فقارعناهم بها مقدار جزر جزور، ثم إن الله تعالىٰ أنزل نصره وأنجز وعده وهزم الكافرين، فقتلناهم في كل فجّ شعب وغائط، فالحمدلله على اعتزاز دينه وإذلال عدوه وحسن الصنع لأوليائه والسلام.

فلما بلغ أبا بكر وهو في مرضه الذي توفي فيه كما في كتاب الخميس وغيره قال: الحمدلله الذي نصر المسلمين وأقرّ عيني بذلك. قال سهل بن سعد: كانت هذه الوقعة أول وقعة عظيمة كانت بالشام سنة ثلاث عشرة سلخ جمادىٰ الأولىٰ يوم السبت قبل وفاة أبي بكر بأربع وعشرين ليلة.

وقبض الصديق ذاك الأولىٰ ثاني عشرين جمادىٰ الأولىٰ

(وقبض) أي توفي إلىٰ رحمة الله تعالىٰ (الصديق) أبو بكر رضي الله عنه (ذاك الأولىٰ) أي الأفضل الأحق بالخلافة بعده ﷺ (ثاني عشرين) تركيب إضافي ظرف قبض، وفي صحة هذه الإضافة نظر، وقد تكرّر نظيره من الناظم فيما يأتي، ويأتي له زيادة إيضاح، والتقدير هنا: في ثانٍ وعشرين من (جمادى) بوزن حبارىٰ (الأولىٰ) بضم الهمزة وهذا ينافي ما في رواية سهل بن سعد المذكور آنفاً، وكذا رواية ابن اسحٰق: توفي يوم الجمعة لليالٍ بقين من جمادىٰ الآخرة سنة ثلاث عشرة، وكذا رواية غيره من أهل السير: توفي ليلة الإثنين لثمان بقين من جمادىٰ الآخرة، قيل: وعليه الأكثر، وكذا رواية الواقدي والحاكم

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت بدء مرض أبي بكر أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادىٰ الآخرة وكان يوماً بارداً فحمّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى الصلاة [صلاة] ، وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادىٰ الآخرة وله ثلاث وستون سنة(٢٤٩) فلو قال: ثاني عشرين جمادىٰ الأخرىٰ لكان أصوب، ثم رأيت في شرح العقائد العضدية ما يوافق كلام الناظم.

وطيبــة ارتجت مــن البكـــاء كيــوم مــات خير الأنبيـــاء
وجاء عليّ وهو يجري مسرعـاً لبـابـه ثم بكـــىٰ واسترجعـــا

(وطيبة) من أسماء المدينة المشرفة كطابة كما سبق سمّاها ﷺ بذلك لطيبها وخلوصها من الشرك، أو لطيب عيشها بدعائه ﷺ (ارتجّت) أي اضطربت باضطراب أهلها (من) الحزن وكثرة (البكاء، كيوم) بفتح الميم وكسرها (مات) رسول الله ﷺ (خير الأنبياء. وجا) بالقصر للوزن (عليّ) بن أبي طالب كرّم الله وجهه لما بلغه الخبر (وهو يجري) أي يمشي حال كونه (مسرعاً، لبابه) أي باب أبي بكر رضي الله عنه (ثم بكىٰ واسترجعا) أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون اليوم انقطعت النبوّة، ثم وقف على باب بيت أبي بكر رضي الله عنه فقال: رحمك الله يا أبا بكر لقد كنت إلْفَ رسول الله ﷺ وأنيسه وثقته وموضع سرّه ومشورته، وكنت أول القوم إسلاماً وأخلصهم إيماناً وأشدّهم إيقاناً وأخوفهم لله وأعظمهم غناءً في دين الله، وأحوطهم على رسول الله ﷺ، وأحسنهم صحبةً وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق، فجزاك الله عن رسوله وعن الإسلام أفضل الجزاء، كذا ساقه ابن سيد الناس في مختصره.

---

(٢٤٩) رواه الحاكم (٣/٦٣).

وكـــان مما قـــال مـــن ثنـــاء جللت يـا صـديـق عـن بكـــاء
وعظمـــت لـــدى السما رزيتـــك نعـم وهـدّت القـوىٰ مصيبتـــك

(وكان مما قال) عليّ (من ثناء) أي ثنائه على أبي بكر كما ذكره ابن سيد الناس أيضاً لقد (جللت) بكسر اللام أي عظمت (يا صديق عن بكاء) الناس (وعظّمت لدى السما) بالقصر أي عند أهلها (رزيتك) بفتح الراء المهملة وكسر الزاء وتشديد الياء أي مصيبتنا بموتك، إذ الرزية المصيبة (نعم وهدّت) أي كسرت (القُوىٰ) بضم القاف جمع قوة أي قوى الأنام وهو مفعول هدّت وفاعله (مُصيبتُك) رضينا عن الله قضاءه وسلمنا إلى الله أمره، والله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله ﷺ بمثلك أبداً، ولمّا مات أوصىٰ أن تغسله زوجته أسماءُ بنت عُميس، فهي أول امرأة غسلت زوجها في الإسلام، وأوصىٰ أيضاً أن يدفن إلىٰ جنبه ﷺ وقال: إذا متُّ فجيئوا بي على الباب فإن فتح لكم فادفنوني، قال جابر: فانطلقنا به إلى الباب، وقلنا: هذا أبو بكر الصدّيق قد أحب أن يدفن عند النبيّ ﷺ ففتح الباب، ولا ندري من فتحه كذا في الصفوة لابن الجوزي، في شواهد النبوة سمعوا صوتاً يقول: ضمّوا الحبيب إلى الحبيب [للحبيب]، ودفن ليلاً في بيت عائشة رضي الله عنها ونزل في قبره عثمان وطلحة وابنه عبدالرحمٰن، وصلّى عليه عمر رضي الله عنه في مسجده ﷺ.

(ذكر شيء من فضائله ومناقبه رضي الله عنه)

قد كان خير الخلق بعد المصطفى اتفـــاق النـــاسِ ممن سلفـــا

(قد كان) الصديق رضي الله عنه (خير الخلق) وأفضلهم قطعاً عند إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري، وظناً عند القاضي أبي بكر الباقلاني واختاره إمـام الحرمين في الإرشـاد (وبَعـدَ) محمد (المصطفـى) ﷺ كما صحـت بـه الأحاديث: منها ما ورد من طرق تقتضي الحسن بل الصحة كما أشار إليه ابن

كثير عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: [ما طلعت الشمس ولا غربت علىٰ أحد أفضل من أبي بكر إلاّ أن يكون نبياً][٢٥٠] وفي لفظ: [ما طلعت الشمس على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر][٢٥١] (هذا) أي كون أبي بكر أفضل الأمة بعد نبيّها (اتفاق الناس) أي إجماع علماء الأمة (ممن سلفا) بألف الإطلاق حكىٰ الإجماع على ذلك أبو منصور السمعاني وغيره، ولا عبرة بخلاف الشيعة في تقديمهم علياً، ولا بمخالفة من فضّل غيره كعمر عليه، فقد تواتر عن عليّ كرّم الله وجهه: خير هذه الأمة بعد نبيّها أبو بكر وعمر[٢٥٢] وقال: لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلاّ جلّدته حدّ المفتري كما أخرجه ابن عساكر[٢٥٣].

أعلم أن الذي أطبق عليه عظماء الملّة وعلماء الأمّة: أنّ أفضل هذه الأمة الصدّيق، ثم عمر، ثم اختلفوا فالأكثرون ومنهم الإمام الشافعي وأحمد وهو المشهور عن مالك أنّ الأفضل بعدهما عثمان ثم عليّ، وجزم الكوفيون ومنهم الثوري بتفضيل علي على عثمان.

---

(٢٥٠) رواه ابن أبي عاصم في السنة (١٢٢٤) والطبراني في الكبير والقطيعي في زيادات فضائل الصحابة (١٣٧)، وفي إسناده بقية بن الوليد وابن جريج وهما مدلسان ولم يصرحا بالسماع.

وقال ابن أبي حاتم في العلل (٣٨٤/٢) عن أبيه: هذا حديث موضوع، سمع بقية هذا الحديث من هشام الرازي عن محمد بن الفضل عن ابن جريج، فترك الإثنين من الوسط. قال أبي: محمد بن الفضل بن عطية متروك الحديث. وليس عندهم كلمة «إلا أن يكون نبياً».

(٢٥١) رواه أحمد بن جعفر القطيعي في زيادات فضائل الصحابة للإمام أحمد (١٣٥) وفي إسناده عبدالله بن سفيان وهو ضعيف وتدليس ابن جريج ولم يصرح بالسماع.

(٢٥٢) رواه أحمد في المسند (١١٠/١) وفي فضائل الصحابة (٤٥).

(٢٥٣) رواه عبدالله بن أحمد في زيادات فضائل الصحابة (٤٩) وإسناده ضعيف لضعف أبي عبيدة ابن الحكم.

رویٰ البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نخيّر بين الناس في زمن النبيّ ﷺ فنخيّر أبا بكر، ثمّ عمر، ثم عثمان[٢٥٤] زاد الطبراني: فيعلّم بذلك النبيّ ﷺ، ولا ينكره[٢٥٥]. وروىٰ الترمذي عن عمر رضي الله عنه قال: أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ[٢٥٦] وغير ذلك من الأحاديث.

أوّل من صدّق بالرسالة فانظر لحسّان وما قد قاله

(أوّل) بالرفع على أنه خبر محذوف، وبالنصب عطفاً علىٰ خبر بإسقاط العاطف (مَن صدّق) من الرجال كما سبق تفصيله (بالرسالة) وآمن بها ثم علّل ما ذكره بقوله (فانظر) للإستدلال على ذلك (لحسّان) فعلان من الحسّن فهو غير منصرف أو فعّال من الحسن وهو منصرف.

وهو حسّان بن ثابت الأنصاري من شعرائه ﷺ، وقد أمدّه جبرائيل عليه السلام بأبيات كما سبق، وقد قال ﷺ له: «وروح القدس معك» (وما قد قاله) أي فانظر إلى ما قد قاله حسّان في مدح أبي بكر رضي الله لتعلم منه ما ذكرنا، إذ قول الصحابي حجّة في مثل ذلك وعن الشعبي: أنه قال أول من صلّى أبو بكر ثم تمثل بقول حسّان رضي الله عنه:

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها بعد النبي وأوفاها بما حملا
الثاني التاليَ المحمود مشهده وأول الناس حقاً صدّق الرسلا

---

(٢٥٤) رواه البخاري (٣٦٥٥).

(٢٥٥) رواه الطبراني في الكبير (١٣١٣٢) والأوسط (ص٣٣٤ مجمع البحرين) ومسند الشاميين (١٧٦٤).

(٢٥٦) رواه الترمذي (٣٦٥٧).

سمّاه خير الأنبياء صدّيقا وكان في الغار له رفيقا
وأنفق الأموال في الإسلام على النبي وصحبه الكرام

(سمّاه خير الأنبيا) بالقصر (صديقاً) لتصديقه بخبر الإسراء حين كذّبه قريش كما مرّ في مبحث الإسراء (وكان) أبو بكر (في الغار) أي غار ثور (له رفيقا) وقت الهجرة إلى المدينة وهو من أشرف فضائله، وقد سبق تفصيله في مبحث الهجرة (وأنفق الأموال) الكثيرة التي كان يملكها في مصارف الخير (في الإسلام) حتى لم يبق له شيء (على النبيّ) بتخفيف الياء للوزن أي على حبّه ورضاه أو على نفسه وأهله، أخرج ابن عساكر: أنه أسلم وله أربعون ألف دينار، وفي رواية أربعون ألف درهم، فأنفقها على رسول الله ﷺ، وروى الترمذي أنه ﷺ قال: «ما لأحد عندنا يد إلاّ وقد كافأناه ما خلا أبي بكر، فإنّ له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة، ولا نفعني مال أحد قطّ مثل ما نفعني مال أبي بكر»[٢٥٧] والطبراني: أنه ﷺ قال: «ما أحد عندي أعظم يداً من أبي بكر، واساني بنفسه وماله وأنكحني ابنته»[٢٥٨] والإمام أحمد وغيره عن جماعة من الصحابة أنّه ﷺ قال: ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر، وبكى أبو بكر وقال: هل أنا ومالي إلاّ لك يا رسول الله[٢٥٩] وصحّ عن عمر رضي الله عنه أنه ﷺ أمرنا أن نتصدق فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت في نفسي اليوم أسبق أبا بكر فجئته بنصف مالي، فقال ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قلت: مثله، فأتى أبو بكر بجميع ماله، فقال: «يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟» قال أبقيت لهم الله ورسوله، فقلت: لا أسبقه إلى شيء أبداً[٢٦٠] (وصحبه الكرام) وقد اشترى جماعةً أسلموا فعذّبهم أهل مكّة عذاباً شديداً فأعتقهم، ومنهم بلال كما سبق،

---

(٢٥٧) رواه الترمذي (٣٦٦٢).

(٢٥٨) رواه الطبراني في الكبير (١١٤٦١) وفيه أرطاة أبو حاتم وهو ضعيف.

(٢٥٩) رواه أحمد (٢/٢٥٣) وابن ماجه (٩٤) وفيه عنعنة الأعمش.

(٢٦٠) رواه أبو داود (١٦٧٨) والترمذي (٣٦٧٦) وقال: حسن صحيح.

ومن إنفاقه رضي الله عنه في وجوه الخير والمصالح العامة إعطاؤه ثمن محلّ مسجد النبي ﷺ لما اشتراه النبي ﷺ من بني النجار، فكان سبباً في وصول ثوابه العظيم إلى حدّ لا يحصى.

يكفيه قول المصطفى هل أنتُم لي تاركون صاحبي يعظّمُ

(يكفيه) شرفاً وفضلاً على غيره (قول المصطفى) ﷺ في حقّ أبي بكر مخاطِباً للصحابة (هل أنتم لي) متعلق بقوله (تاركون صاحبي) في الغار وغير ذلك، والتقدير: هل أنتم تاركون صاحبي لي أي تجعلونه صاحباً لي فقط، ولا تجعلونه صاحباً لكم، ولا تعظّمونه، فقوله: لي مفعول ثان لتاركون لأنّ ترك بمعنى صيّر يقتضي مفعولين، والاستفهام للإنكار، والأولى: أن يجعل الاستفهام للتقرير والطلب فهو أمر أخرج مخرج الاستفهام، على حدّ قوله تعالى ﴿فهل أنتم شاكرون﴾ أي اشكروا والمعنى هنا: اتركوا صاحبي لي خاصة ولا تؤذوه، وقوله (يُعَظِّمُ) من كلام الناظم حال من المصطفى أي حال كونه ﷺ يعظم أبا بكر بهذا القول وينهاهم عن ترك احترامه، أو استئناف كأنه قيل: ما أراد صلى الله بهذا القول حتى يكفيه، فأجاب بأنه يعظم أبا بكر به، روى البخاري عن أبي الدرداء قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر فسلّم وقال: [كان] بيني وبين عمر بن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى فأقبلت إليك، فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر، ثم إنّ عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فلم يجده، فأتى النبيّ ﷺ، فجعل وجهه ﷺ يتمعّر حتّى أشفق أبو بكر فجثى على ركبتيه فقال: يا رسول الله: أنا كنت أظلم منه أنا كنت أظلم منه فقال ﷺ: إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر: صدقت، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟ فما أوذي أبو بكر بعدها[٢٦١].

(٢٦١) رواه البخاري (٣٦٦١ و ٤٦٤٠) من حديث أبي الدرداء.

تاركو في الحديث مضاف إلى صاحبي ولذا حذف نون الجمع، ولي متعلق بتاركو فصل له [به] بين المضاف والمضاف إليه كما صرّح به ابن هشام وغيره وهو جائز في السعة، وأمّا الناظم فغيّر لفظ الحديث وجعل صاحبي مفعولاً لا مضافاً إليه، ولذا أعاد نون الجمع.[٢٦٢]

وكم لـه منـاقـب لا تحصىٰ	وعم له فضل يفوت الإحصا
وكان قبل أن تولّىٰ يَحلِبُ	للحي أغنامهم ليشربوا
فعندما بويع قالت جارية	من الذي يحلب لي أغنامية

(وكم له) أي كثير له (مناقبٌ) بالتنوين أي خصال حميدة (لا تحصىٰ) بمثل هذه الرسالة (وكم له فضل يفوت الإحصا) كالتأكيد لما قبله، ومن غرر فضائله أنه اجتمعت الأمة على تسميته بالصدّيق لأنه بادر إلى تصديقه ﷺ، ولازم الصدق ولم يقع منه وقفة ما في حال، ومنها قصة يوم ليلة الإسراء وثباته وجواب الكفار في ذلك كما مرّ.

ومنها هجرته معه ﷺ وترك عياله وأطفاله وملازمته له في الغار وسائر

(٢٦٢) قال الحافظ في الفتح (٢٥/٧ - ٢٦) بعد أن ذكر أن في الرواية التي رواها البخاري في التفسير «تاركون لي صاحبي»: وهي الموجهة، حتى قال أبو البقاء: إن حذف النون من خطأ الرواة، لأن الكلمة ليست مضافة، ولا فيها ألف ولام، وإنما يجوز الحذف في هذين الموضعين، ووجهها غيره بوجهين:

أحدهما: أن يكون «صاحبي» مضافاً وفصل بين المضاف والمضاف إليه بالجار والمجرور، عناية بتقديم لفظ الإضافة، وفي ذلك جمع بين إضافتين إلى نفسه تعظيماً للصديق، ونظيره قراءة ابن عامر (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاءهم) بنصب أولادهم وخفض شركائهم، وفصل بين المضافين بالمفعول.

والثاني: أن يكون استطال الكلام فحذف النون كما يحذف من الموصول المطول، ومنه ما ذكره في قوله تعالى (وخضتم كالذي خاضوا).

الطريق، ومنها كلامه يوم بدر ويوم الحديبية، حين اشتبه على غيره الأمر في تأخر دخول مكّة كما مرّ أيضاً.

ومنها بكاؤه وفهم مراده ﷺ حين قال: إنّ عبداً خيره الله بين الدنيا والآخرة كما مرّ أيضاً.

ومنها: ثباته في وفاته ﷺ وخطبته الناس كما مرّ أيضاً.

ومنها قيامه في قضية البيعة للمصلحة، وثباته في بعث جيش أسامة إلى الشام، وفي قتال أهل الردة كما مرّ كله. ومن أجلّ فضائله استخلافه لعمر رضي الله عنه (وكان) أبو بكر (قبل أن تولّى) أمر الناس وبويع بالخلافة (يحلب للحي) من أحياء العرب (أغنامهم) بإشباع الميم (ليشربوا) من ألبانها (فعندما) مصدرية (بويع) بالخلافة (قالت جارية) من الحي (من الذي يحلب لي أغنامية) بالحاق هاء السكت توهمت أنه ولّي الخلافة لا يباشر مثل هذه الأعمال.

فسمع القول فقال إني ... أرجو إلهي لا يغيرني
عن خلق قد كنت فيه قبلها ... وكان بعد ذاك حالبا
وقال قبل الموت مذ ولينا ... أمر ابن آدم أجمعينا
لم نتناول ما لهم من شيء ... وليس باقياً لهم من فيء

(فسمع) أبو بكر رضي الله عنه (القول) أي قول الجارية (فقال إني أرجو إلهي) أن (لا يغيرني) بالنون المؤكدة لكون الفعل منفياً (عن خُلُقٍ) بضمتين يستعمل في الأخلاق السجية الباطنة كالحلم والكرم والتواضع، وأمّا الخَلْقُ بفتح فسكون ففي الصور الظاهرة (قد كنت فيه) أي في ذلك الخلق وهو التواضع بحلب أغنامهم لهم (قبلها) أي الخلافة (وكان) رضي الله عنه (بعد ذاك) أي بعد أن ولّيْ الخلافة (حالباً) أغنامهم (لها) ولهم كما كان يفعله قبل ذلك، لأن

ازدياد نعم الله تعالى على العبد مقتضٍ لمزيد الشكر والتواضع، لا للغرور والترفع (وقال) رضي الله عنه كما رواه ابن أبي الدنيا عن أبي بكر بن حفص (قبل الموت) أي لما احتضره الموت لعائشة رضي الله عنها يا بنية (مُذْ وَلينا) بفتح الواو وكسر اللام من الولاية أو بضمّها وتشديد اللام من التولية (أمْرَ بني آدم) من المسلمين (أجمعينا) بألف الإطلاق (لم نتناول) أي لم نأخذ ما (لهم من شيء) دينار أو درهم بغير حق، ولفظ رواية ابن أبي الدنيا ولّينا أمر المسلمين فلم نأخذ لنا ديناراً ولا درهماً، ولما غيّر الناظم: لنا، إلى لهم، احتيج إلى تقدير ما كما قدرنا فافهم، وتتمة الحديث: ولكنّا أكلنا من جريش طعامهم ولبسنا من خشن ثيابهم (وليس) باقياً (عندنا) ما (لهم) أي للمسلمين (من فيء) ويجوز جعل لهم حالاً مقدماً لا نعتاً لعدم جواز تقدم النعت على المنعوت، فعلى هذا من في من فيء زائدة.

غير كسا وناضح وعبد فأوصلوه للإمام بعدي
وبعد موته بالأمر وصّى لعمرٍ منه بعهد خصّا

(غير) بالنصب على الاستثناء (كِسا) بالقصر للوزن (و) بعير (ناضح) للسقي (وعبد) حبشي وجرد قطيفة، فإذا مت (فأوصلوه) أي ما ذكر (للإمام) الذي يلي من (بعدي) وهو عمر رضي الله عنه أخرج الطبراني عن الحسن بن علي كرم الله وجهه قال: لما احتضر أبو بكر قال: يا عائشة انظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها، والجفنة التي كنا نضطبع فيها، والقطيفة التي كنا نلبسها، فإنا كنا ننتفع بذلك حين نلي أمر المسلمين، فإذا متّ فارديه إلى عمر رضي الله عنه، فلما مات أرسلت به إلى عمر فبكى، ثم قال: رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده[٢٦٣] (وبعد موته) حال مقدم من الأمر في قوله

(٢٦٣) انظر الحديث (٣٨) من المعجم الكبير للطبراني وابن سعد (١٩٢/٣ - ١٩٣).

(بالأمر) أي أمر الخلافة ينقل حركة الهمزة إلى اللام للوزن متعلق بقوله: (وصّىٰ) ولا يجوز تعلق بعد به أيضاً لأن التوصية في حياته لا بعد موته، والتقدير: وصّىٰ بالأمر حال كونه بعد موته (لعمر) رضي الله عنه منصرف للوزن ثم (منه) أي من جهة أبي بكر (بعهد) متعلق بقوله (خصّا) بالبناء للمفعول وألف الإطلاق، والمعنىٰ خصّ عمر رضي الله بعهد الخلافة كائناً من جهة أبي بكر رضي الله عنه ثانياً بعدما وصّىٰ به له في الملأ، أخرج الواقدي من طرق أن أبا بكر لما ثقل دعا عبدالرحمٰن بن عوف فقال: أخبرني عن عمر بن الخطاب فقال: ما تسألني عن أمر إلاّ وأنت أعلم به مني، فقال أبو بكر: وإنّ، فقال عبدالرحمٰن: هو والله أفضل من رأيك فيه، ثم دعا عثمان رضي الله عنه فقال: أخبرني عن عمر بن الخطاب، فقال: اللّهم علمي به أنّ سريرته خير من علانيته وأن ليس فينا مثله، وشاور معهما سعيد بن زيد وأسيد بن حُضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار، فقال أسيد: اللهم أعلمه الخير يرضي للرضىٰ، ويسخط للسخط الذي يسرّ خير من الذي يعلن، ولن يلي هذا الأمر أحد أقوىٰ منه، ودخل عليه بعض الصحابة، فقال له: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن تولية عمر علينا وقد ترىٰ غلظته، فقال أبو بكر الصديق: أبالله تخوفني؟ أقول: أَللّهمّ استخلفت عليهم خير أهلك، وأتقىٰ عبادك، أبلغ عني ما قلت من وراءك، ثم دعا عثمان فقال: اكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها: [إني] استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوه، فإن عدل فذلك ظنّي فيه وعلمي به، وإن بدّل فلكل امرىء ما اكتسب، والخير أردت، ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم أمر بالكتاب فختمه (٢٦٤).

---

(٢٦٤) انظر طبقات ابن سعد (٣/١٩٩ - ٢٠٠) والواقدي متروك.

ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب فبايع الناس عمر رضي الله عنه ورضوا به، ثم دعا أبو بكر عمر خالياً فأوصاه بوصايا مذكورة في الإحياء وغيره، وأخرج ابن عساكر عن يسار بن حمزة قال: لما ثقل [مرض أبي] أبو بكر أشرف على الناس من كوة فقال: أيها الناس إني قد عهدت عهداً أفترضون به؟ فقال الناس: رضينا يا خليفة رسول الله ﷺ، فقام عليّ فقال: لا نرضىٰ إلاّ أن يكون عمر، قال: فإنه عمر.

[فائدة] اختلف في سبب موته رضي الله عنه، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن سببه الوجد والكمد على موته ﷺ فمازال يذبل جسمه حتّىٰ مات.

وصحّ عن الإمام الأكبر ابن شهاب الزهري: أن سببه السم في خزيرة أهديت له. وذكر الواقدي أنّ سببه الاغتسال في ماء [يوم] بارد، فحمّ ومرض ومات منه. وعن الزبير بن بكّار: أنه مات بالسلّ، قلت: لا مانع أن يكون به الكل، وأن يكون لكل منها دخل في موته.

(خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه)

هو ابنَ خطّاب نفيل عبد ... عزّىٰ بن رياح وهو ابن عبد
الله قرط رزاح عدي ... وهو ابن كعب من الغدِ
فكان أولى خطبة خطبها ... من بعد حمدٍ وثناء أيها
الناس إن الله قد هدانا ... سبيله وبالنبيّ كفانا
فليس يبقىٰ بعد ذا إلا الدعا ... والاتباع والهدى والاقتدا
أعوذ بالله إلهي أن أزلّ ... أو أن أضلّ وأتم ونزل

(هو) أي عمر (ابن خطّاب) بن (نفيل) بالتصغير ابن (عبد عزّىٰ) بن (رِياح) بالياء المثناة بوزن كتاب كما في القاموس (وهو ابن عبدالله) بقطع

الهمزة للضرورة ابن (قرط) بفتح القاف وسكون الراء ابن (رزاح) بفتح الراء المهملة والزاء وهو في الأصل البعير الهالك هزالاً بن (عدي) بتخفيف الياء للوزن (وهو ابن كعب) بن لؤي فهو يلتقي معه ﷺ في كعب (فأتى) الإمام عمر (من الغد) من يوم خلافته (فكان أولى خطبة خطبها) كما قاله سالم بن عبدالله (من بعد حمدٍ) لله تعالى (وثناء) عليه (أيها الناس) بقطع الهمزة للوزن (إن الله قد هدانا) أي دلنا وأوصلنا (سبيله) أي دين الإسلام (وبالنبي) بتخفيف الياء أي نبيه وهو الفرد الكامل (كفانا) في إيضاح سبيله (فليس يبقى بعد ذا) المذكور من الهداية والكفاية (إلاّ الدعا) بالقصر أي التضرع إلى الله تعالى في كل الأمور (والاتباع) لرسوله فيما أمر به وفيما نهى عنه (والهدى والاقتدى) بالقصر إطناب للتأكيد (أعوذ بالله إلّهي) أي معبودي بالحقّ (أن) أي من أن (أزل) بفتح الهمزة وكسر الزاء وفتحها من باب ضرب وعلم أي أزلِقُ، وغالب استعمال الزلق [الزلل] في الخطأ في المنطق (أو) من (أن أضلّ) بضم الهمزة وفتحها أي أضلّ غيري، أو أضلّ بنفسي عن طريق الحقّ، ثم قال الدواني وصاحبيّ كنفر ثلاثة سلكوا طريقاً، فأخذ أحدهم مهله إلى داره وقراره، ثم تلاه الآخر فسلك سبيله واتبع أثره حتّى أفضى إليه سالماً، ثم تلاه الثالث فإن سلك سبيلهما واتبع أثرهما أفضى إليهما سالماً ولاقاهما، وإن هو زلّ يميناً أو شمالاً لم يجتمع بهما أبداً ذكره ابن سيد الناس (وأتم) الإمام الخطبة (ونزل) عن المنبر، وأخرج ابن سعد عن شدّاد قال: أول كلام تكلّم به عمر رضي الله عنه حين صعد المنبر قال: أَللّهمّ إني شديد فليّنّي، وإني ضعيف فقوّني وإني بخيل فسخّني[٢٦٥].

(٢٦٥) رواه ابن سعد (٣/٢٧٤ - ٢٧٥) من طريق جامع بن شداد عن ذي قرابة له قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: ثلاث كلمات إذا قلتها فهيمنوا عليها، اللهم إني ضعيف فقوني، اللهم إني غليظ فليني، اللهم إني بخيل فسخني.
وروي لفظ المصنف (٣/٢٧٤) من طريق جامع بن شداد عن أبيه فذكره.

وسار بعد صاحبيه في سنن يقيم فرض الله فيها والسنن

(وسار بعد صاحبيه) أي النبي ﷺ وخليفته أبي بكر رضي الله عنه (في سَنَن) بفتح السين والنون أي سار في طريقتها وسيرتها، كأنه قيل: ما فعل حين سار في طريقتها فقال: (يقيم فرض الله) الإضافة للعموم أي كل فرض له تعالى على عباده (فيها) أي في تلك الطريقة (و) يقيم (السنن) فيها أيضاً وهو بضم السين جمع سُنة أريد بها ما عدى الفروض، قال الإمام ابن شهاب الزهري: استخلف عمر يوم توفي أبو بكر، فقام بالأمر أتم قيام وكثرت في أيامه الفتوحات كثرةً عظيمةً لم يقع مثلها لأحد بعده.

(صفة عمر رضي الله عنه)

قال ابن قتيبة: الكوفيون يرون أنّ عمر آدم أي أسمر شديد الأدمة، وأهل الحجاز يرون أنه أبيض أمهق أي شديد البياض، وفي الصفوة لابن الجوزي: كان طويلاً أصلع أي انحسر شعر مقدم رأسه، شديد حمرة العينين، خفيف العارضين، وعن سماك بن حرب: كان عمر رضي الله عنه أروح أي يتدانا قدماه إذا مشى، كأنه من طوله راكباً والناس يمشون. وفي المختصر الجامع: كأنه راكب جمل والناس مشاة، كأنه من رجال سدوس خرّجه الحافظ السلفي، وقال وهب: صفته في التوراة: قرن من حديد أمين شديدٌ، القرن الجبل الصغير.

(كتابه رضي الله عنه)

ومن كتابه: عبدالرحمن بن خلف وزيد بن ثابت، وعلى بيت المال زيد بن أرقم.

(قضاته رضي الله عنه)

ومن قضاته شريح بن الحارث الكندي بالكوفة، ويقال إن شريحاً هذا أقام قاضياً خمساً وسبعين سنة إلى أيام الحجّاج، وامتنع عن الحكم في فتنة ابن الزبير، فلما تولّى الحجّاج استعفاه فأعفاه، وتوفي، سنة تسع وسبعين وله مائة وعشرون سنة، وقيس بن أبي العاص بمصر، ثم كعب بن يسار.

(أمراؤه رضي الله عنه)

من أمرائه عمرو بن العاص بمصر، ثم صرفه إلى الصعيد، وردّ أمره إلى عبدالله بن أبي سرح العامري، ومعاوية بالشام.

(ذكر ما كان في أيامه رضي الله عنه من الفتوحات وغيرها)

سنة أربع عشرة وسط رجب   في دمشق بعد حصر وتعب

اعلم أنّ عمر رضي الله عنه لما استخلف عزل خالداً عن ولاية الشام، واستخلف أبا عبيدة، فالتقى المسلمون والروم حول دمشق، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انهزم الروم وتحصنوا في دمشق فرابطهم المسلمون ستة أشهر، حتى فتحوها على إعطاء الجزية على يد خالد، واستحيي أبو عبيدة أن يعلمه بكتاب عزله في هذه المدة، فكان يصلي خلف خالد، ولما فتحت أظهر ذلك، فلامه خالد على ترك إعلامه، والصلاة خلفه في هذه المدة، فقال أبو عبيدة: لا بأس إنما نحن إخوان وكان (سنة أربع) بسكون العين إجراءً للوصل مجرى الوقف (عشرة) بسكون الشين وبالتنوين للوزن (وَسْطَ) بسكون السين على لغة قليلة منصوب بتقدير في (رجب) الأصم (فتح دمشق) بكسر الدال وفتح الميم بلدة معروفة بالشام، ورد في فضائلها وفضائل جامعها الكبير أحاديث ليس هذا محل بسطها (بعد حصر) وتضييق شديد على أهلها (وتعب) بفتح العين أي مشقة

عظيمة في فتحها، وما ذكره الناظم هو ما جزم به صاحب عيون التواريخ وغيره.

وقال ابن اسحٰق: بل فتحها سنة ثلاث عشرة.

ثـــم بها جسرُ أبي عبيـــــده   ومصرت بصرتهم بـــأيـــده

(ثم بها) أي في سنة أربع عشرة (جَسْرُ) بفتح الجيم وكسرها هو المعبر، وجمعه: أجسر وجسور (أبي عُبَيْدَه) بحذف التاء للوزن، قيل: إن جسر أبي عبيدة كان على نهر دجله ليعبر عليه جيش المسلمين [الإسلام] إلى العراق، (و) فيها أيضاً كما قيل ومشىٰ [عليه] الناظم عليها، والأصح أنه في سنة سبع عشرة كما في عيون التواريخ وغيره (مصّرت) مجهول التفعيل أي جعلت مصراً وبلداً (بصرتهم) بتثليث حركة الباء كما حكاه الأزهري وغيره، وأفصحها الفتح، وهي في الأصل حجارة رخوة فيها بياض، وبها سميت البصرة، وإضافتها في النظم إلى المسلمين لملابسة أنهم بنوها وسكنوا فيها (بأيده) أي بقوة وسلطان للمسلمين عليها، إذ الأيدي جمع يد بمعنى القوة والجماعة، ويجوز جعله من باب الاكتفاء المقرر في البيان، والأصل بأيديهم أي الصحابة،. فاكتفى ببعض الكلمة، ثم إنها بناها عتبة بن غزوان المازني شهد بدراً بأمر عمر رضي الله عنه، ويقال لها قبة الإسلام وخزانة العرب، لم يُعبَد صنم قط بأرضها، وهي أقوم البلاد قبلةً، لأنها قبالة باب الكعبة والمقام، وليس بينها وبين مكة بلد كما في النجم الوهّاج وغيره، وهي مدينة على قرب البحر، سبخة التربة، ملحة الماء، كثيرة النخيل والأشجار، وأحصيت مساجدها، فكان بها مائة ألف مسجد وسبعة عشر ألفاً، وكان بها خلق لا يحصون ولها نخيل متصلة علىٰ أزيد من خمسين فرسخاً كأنما غرست في يوم واحد، وأحصيت أنهارها فكانت مائة ألف وعشرين ألفاً، قيل: ومن عجائبها عدم وجدان ذبابة علىٰ رطبها ومعاصرها،

ذكروا أن ذلك لطلسم، وفي سنة سبع عشرة أيضاً كما في عيون التواريخ وغيره بناء الكوفة البلدة المعروفة الكبيرة على جانب الفرات، قبة الإسلام ودار الفضل وهجرة المسلمين، وهي في الأصل الرملة الحمراء المستديرة، وبها سميت الكوفة مصّرها سعد بن أبي وقاص كما في القاموس وغيره، وكان منزل نوح عليه السلام وذلك: أن الصحابة لما استوخموا المدائن انتقلوا منها إلى الكوفة، فأمر سعد ببنائها بعد أمر عمر رضي الله عنه بذلك، ومن قال: مصّرها عمر رضي الله عنه كما قال النووي في تهذيب الأسماء أراد أنه أمر بذلك، وقيل: بناها عليّ بعد البصرة بسنتين وهو غريب، ويمكن أن يقال: إنه زاد فيها بعد بنائها فنسب إليه.

ثم بها وقعة مرج الصفر ويوم فِحل وهروب قيصر

(ثم بها) أي في السنة المذكورة (وقعة) أي حرب المسلمين مع الروم في (مرج) بفتح فسكون (الصفّر) بضم الصاد المهملة وتشديد الفاء المفتوحة موضع بغوطة دمشق كما في النهاية، وعن أمامة كان بين وقعة أجنادين وبين وقعة مرج الصفّر عشرون يوماً قبل وفاة أبي بكر بأربعة أيام، ثم رجع المسلمون إلى محاصرة دمشق ونزل كل منهم منزلهُ الأول، وضيقوا عليهم، فبلغهم وفاة أبي بكر رضي الله عنه ذكره صاحب كتاب الخميس، وما ذكره الناظم لا يتمشىٰ عليه، وكذا ما رویٰ غير ابن اسحٰق أنّ خالداً لما فرغ من أجنادين سار بمن معه إلى دمشق، فنزل بديره المعروف إلى الآن بدير خالد مما يلي باب شرقي دمشق على ميل منه، ونزل أبو عبيدة بباب الجابية، ويزيد بباب آخر، فضيقوا عليهم في الحصار، وخرجوا ذات يوم ودنوا من أبوابها يرجون فتحها، فرماهم أهلها بالحجارة والنبل من فوق السور، فبينما هم كذلك إذ بلغهم أن هذا جيش بعثه ملك الروم إليكم، فنهض خالد بالناس، وقدم الأثقال مع يزيد بن أبي سفيان،

ووقف هو وأبو عبيدة من وراء الناس، ثم استقبلوا الجيش فإذا هو درنجار في خمسة آلاف من أهل القوة والبأس ليغيثوا أهل دمشق، وانضم إليهم من أهل دمشق وحمص فبلغوا نحو خمسة عشر ألفاً، فحمل خالد بمن معه على عظم جمعهم فهزمهم الله تعالىٰ وقتلوهم كل قتلة، فرجع بعضهم إلى دمشق وبعضهم إلى حمص وبعضهم إلى قيصر، انتهى.

وعن عمرو بن محصن: أنّ قتلاهم يومئذ وهو يوم مرج الصفّر خمسمائة في المعركة وأسراهم كذلك. (و) بها أيضاً وقعة (يوم فِحْلٍ) بكسر الفاء وسكون الحاء المهملة موضع بالشام، كان به حرب عظيم بين المسلمين والروم، فنسبت تلك الوقعة إليه، وقيل لمن شهدها فِحليّ كما يقال لمن شهد بدراً: بدري ذكره عزّالدين الجزري في تهذيب الأنساب، وذكر أخوه ابن الأثير في النهاية مثله (و) بها (هروب قيصر) ملك النصارىٰ إلى أقصىٰ مملكته لانهزام جيشه مرّات.

سنة خمس وقعة يَرموكِ وقادسية المجوس النوك

(سنة خمس) بعد عشرة كما قاله الواقدي وغيره، وقيل: سنة ثلاث عشرة في جمادىٰ الآخرة، بُعَيد وفاة أبي بكر رضي الله عنه كانت: (وقعة اليرموك) بفتح [الياء] المثناة وسكون الراء المهملة واد بناحية الشام كما في القاموس، وعبارة غيره: موضع وبلدة بالشام من أرض حوران، كانت من أعظم الوقائع، كان المسلمون فيها أكثر من عشرين ألفاً وجيش قيصر أزيد من مائة ألف فارس، فقتل منهم يومئذ أزيد من النصف أو أقلّ، واستشهد من الصحابة جماعة كما قاله صاحب الخميس، وفي كتاب عيون التواريخ: كان المسلمون ستةً وثلاثين ألفاً، والمشركون مائة ألف وأربعين ألفاً، فالتحم بينهما فهزم الله الروم، وأصيبت يومئذ عين أبي سفيان فصار أعمىٰ لذهاب عينه الأخرىٰ يوم الطائف كما قاله ابن قتيبة (و) في سنة خمس أيضاً، وقيل: أربع عشرة في أول المحرم كانت

وقعة (قادسية) بالقاف وكسر الدال والسين المهملتين بُلَيدة بقرب الكوفة، ذات نخيل ومياه كثيرة، وتطلق على مواضع أُخَر ليست مرادةً هنا وقوله: (المجوس) نعت قادسية باعتبار أهلها أي عبدة النار لأنهم الفرس (النُوك) بضم النون جمع أنوك بمعنى أحمق نظير حُمُر جمع أحمر وهو صفة ذم [للمجوس].

روي أنّ عمر نادىٰ في الناس فجمعهم وأخبرهم باجتماع الجموع على كسرىٰ يزدجرد بقصد إهلاك العرب، فشاورهم في الخروج إليهم بنفسه، فأشاروا إليه أن يبعث واحداً، فبعث سعد بن أبي وقاص، وولاّه حرب العراق، فخرج في سبعة آلاف فارس، ثم كتب إلى جرير بن عبدالله والمثنىٰ أن يجتمعوا إلى سعد، فانضم إليه أزيد من ثلاثين ألفاً فشهدوا القادسية وأصابوا في الطريق غنائم من فارس، فبلغهم أنّ كسرىٰ ولّى على الحرب رستم الأرمني، وقد عسكر بالمدائن ومعه الخيول والفيول، فسار سعد إليهم [إلى يزدجرد] فانهزم الفرس إلى أن لحقوا بنهاوند، وبعث إلى يزدجرد مَن يدعوه إلى الإسلام، فأبىٰ وأغلظ في الجواب، ثم وجّه رستم في ستين ألفاً، وجعل على مقدمته جالينوس في أربعين ألفاً، ثم انضم إليهم ما صاروا به فوق مائتي ألف، وفيهم أزيد من ثلاثين فيلاً، فنزلوا القادسية، وكان سعد رضي الله عنه مريضاً لا يستطيع الركوب ولا الجلوس، فجمع الناس، فوعظهم وحرّضهم على الجهاد، فالتقى الجمعان واقترن ثلاثون ألفاً من أهل فارس بالسلاسل لئلا يهربوا، ثم زحف المسلمون عليهم، فاقتتلوا إلى غروب الشمس، ثم تراجعوا ثم في اليوم الثاني كذلك، ثم في الثالث، قتل من المسلمين ألفان، ومن المشركين عشرة آلاف، واشتدّ الأمر على الفريقين، وقدم هشام بن عتبة من الشام في سبعمائة فارس بعد فتح دمشق، وتقاتلوا في الليل أشدّ القتال، وكان كلامهم الهرير فسميت ليلة الهرير، وأقبل سعد على الدعاء، وكان مجاب الدعوة، فلما أصبحوا اقتتلوا حتّىٰ قامت الظهيرة، وهبت ريح عاصف، فمال الغبار على المشركين، فانتهىٰ القعقاع وأصحابه إلى سرير رستم، وقد قام عنه فاستظل بظل بغل عليه المال، فضرب هلال بن علقمة الحمل

الذي استظل به فقطع حباله، فوقع على رستم أحد العِدلَيْنْ، فهرب نحو الجسر ورمىٰ نفسه، واقتحم هلال عليه فأخذ برجله، ثم أخرجه فقتله فرماه بين أرجل البغال، ونادىٰ على سريره قتلت رستم وربّ الكعبة، فانهزم المشركون وتهافتوا في الماء، وقتل المسلمون منهم ثلاثين ألفاً، وقتلوا منهم في المعركة عشرة آلاف سوىٰ من قتل منهم قبل ذلك، وقتل من المسلمين في القادسية ستة آلاف، ولما انهزموا أمر سعد زهرة باتباعهم فقتل الجالينوس وخلقاً كثيراً منهم، ثم رجع بأصحابه فبات بالقادسية، واستكثر سعد سلب الجالينوس، فكتب إلى عمر رضي الله عنه بذلك فأمره بإعطائه لمن قتله، فأعطاه سعد إيّاه فباعه بسبعين ألفاً، وأعطى أيضاً هلالاً قاتل رستم سلبه فباعه بتسعين ألفاً، وجمع من الأسلاب والأموال ما لم يجمع مثله، ثم إنّ الفرس لما انهزموا أرادوا الجمع بنهاوند قرب همذان، فبعث سعد في طلبهم حتىٰ انتهوا إلىٰ جلولاء فكانوا بها إلى أن وقعت وقعتها.

سنة ست حلب انطاكية وعمر القدس وجاء الآتية

(سنة ست) وعشرة من الهجرة، وقيل: سنة خمس، وقيل: أربع [فتح] (حلب) مدينة عظيمة بالشام كثيرة الخيرات طيبة الهواء صحيحة التربة، كان بها مقام إبراهيم الخليل عليه السلام، وفيها أيضاً [فتح] (أنطاكية) بفتح الهمزة وكسرها وسكون النون وكسر الكاف وفتح المثناة الخفيفة مدينة عظيمة موصوفة بالنزاهة، وهي قصبة البلاد الخمسة بالشام المسماة بالعواصم كما تقدم، بنتها أنطاكية بنت الروم بن عيص، ولها سور عظيم، وسماها الروم مدينة الله تعظيماً لها، ومدينة الملك، وأم المدن، لأن عندهم أول مدينة ظهر فيها دين النصرانية، وفيها مسجد حبيب النجار وقبره هناك يزار ويتبرك به (و) فيها أيضاً في شهر ربيع الاول كما في مثير الغرام، أو شهر ربيع الآخر كما قاله الحافظ أبو محمد

القاسم، وفي فضائل بيت المقدس لابن الجوزي: أن فتح بيت المقدس سنة خمس عشرة من الهجرة، ويوافقه ما في صحيح البخاري، وقيل: سنة سبع عشرة (عُمِّر) مجهول من التعمير (القدس) أي بيت القدس [بضم الدال وسكونها لغتان، والثاني متعين هنا، وهو كالبيت المقدس] من أسماء مسجد الأقصىٰ كما مرّ، واسم مدينة بيت المقدس إيلياء ككبرياء وجاز فيه القصر، وتعمير بيت القدس على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فإنه لما دخل بيت المقدس وجد على الصخرة زِبلاً عظيماً مما طرحه الروم غيظاً لبني إسرائيل، وفي رواية جعلت صخرة بيت المقدس مزبلةً عظيمة مما ألقته النصارىٰ عليها مضارةً لليهود، حتى إن كانت المرأة لتبعث بخرق دمها من رومية فتلقىٰ عليها، فبسط عمر رضي الله عنه رداءه وجعل يكنس ذلك الزبل، وجعل المسلمون يكنسون معه حتى طهرها، وصلّىٰ في محراب داود عليه السلام، ثم بنىٰ للمسلمين مسجداً في موضع مسجد سليمان بن داود عليهما السلام في مقدم الصخرة، مما يلي الغرب، وكان قد سأل كعباً [كعب الأحبار]: أين ترىٰ أن نجعل المسجد؟، فقال: اجعله خلف الصخرة فتجتمع القبلتان، قبلة موسىٰ عليه السلام، وقبلة محمد ﷺ، فقال له عمر رضي الله عنه: قد ضاهيتَ اليهود يا أبا اسحٰق، خير المساجد مقدمها، فبنىٰ في مقدم بيت القدس مسجده، ولم يزل القدس الشريف من لدن الفتح العمري في أيدي المسلمين أيّام الخلفاء فمن بعدهم إلى سنة سبعين من الهجرة، فبنى عبدالملك بن مروان قبة الصخرة ومسجد بيت المقدس، يقال: إنه صرف في بنائه خراج مصر سبع سنين.

وفي مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي: أنّ عبدالملك ابتدأ في بنيانه [بنائه] سنة تسع وستين، وفرغ منه سنة اثنتين وسبعين من الهجرة، ثم إنه زيّن المسجد الأقصىٰ بأنواع الذهب والفضة والطيب مما يحيّر الفكر، وكان فيه خمسون باباً، وستمائة عمود من رخام، وسبعة محاريب، وأربعمائة سلسلة، وخمسة آلاف قنديل، ورتب له ثلاثمائة خادم، وغير ذلك مما يطول ذكره، ثم إنه لم يزل مع خراب

بعضه بأيدي المسلمين إلى سنة إحدى وثمانين وأربعمائة.

(استيلاء الفرنج على القدس)

فاستولى عليه الفرنج ضحى يوم الجمعة من سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة، وقتل من المسلمين كثير، حتى قتل في المسجد الأقصى أكثر [أزيد] من سبعين ألفاً، وانزعج بسبب ذلك بلاد الإسلام، ثم استولى على بلاد السواحل وما فيها من الحصون، ولم تزل القدس وما والاها من بلاد السواحل في أيدي الفرنج المخذولين نيفاً وتسعين سنة، إلى أن جاء السلطان الـمَلِك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب، فاستنقذها من أيديهم وطردهم من جميع البلاد التي أخذوها فَسَّح الله له في الجنان وسقى ضريحه صوب الرضوان.

ثم إن الفرنج قد بنوا على الصخرة كنيسة ومذبحاً، وزينوها بالصور والتماثيل، وعيّنوا بها مواضع الرهبان ومحط الإنجيل، فأمر السلطان بتطهيرها من هذه الأنجاس، وأعادها كما كانت في الزمن القديم، ورتب في قبة الصخرة إماماً قارئاً حسن الصوت جداً، ورتب للمسجد وظائف عظيمة يطول شرحها، ثم لم يزل القدس المعظم في أيدي المسلمين إلى الآن وإلى يوم القيامة إن شاءالله تعالى (٢٦٦).

واعلم أنه ورد في كيفية فتح بيت المقدس آثار كثيرة مختلفة الطرق والألفاظ: منها ما روي عن شدّاد بن أوس الأنصاري قال: إنا لما فرغنا من قتال اليرموك سرنا إلى ناحية فلسطين فحاصرنا البيت المقدس فتعذر الفتح علينا حتى قدم

---

(٢٦٦) عند إنشاء دولة اليهود على أرض فلسطين الإسلام سنة ١٩٤٨ سلمت القدس الغربية إلى اليهود، ثم احتل اليهود جميع القدس إلى نهر الأردن سنة ١٩٦٧ ولا زالوا محتليها إلى الآن، وأعلنوا القدس عاصمة لدولتهم، والمسلمون مشغولون بمنازعاتهم، بل بالتسابق لخدمة الشرق أو الغرب الذين أيدوا اليهود منذ انشاء دولتهم.

ولن ترجع القدس إلى المسلمين إلا بالإتحاد والعمل بكتاب الله وسنّة نبيّه وإعلان الجهاد الإسلامي، وسيكون ذلك كما أخبر به الرسول ﷺ.

عمر رضي الله عنه في أربعة آلاف راكب، فنزل على جبل بيت المقدس، ونحن على حصارنا محيطون بها، وانحدر علينا من أصحاب عمر رضي الله عنه يقاتلون بنشاط، فسررنا بذلك ورجونا الفتح، فقاتلناهم ملياً، ثم أرسل إلينا عمر بالكفّ عن قتالهم، فقال: إن رسول الله ﷺ أخبرني أني أفتحها بغير قتال، فصالحهم على أداء الجزية وأن يعطيهم الأمان على دمائهم وأموالهم وكنائسهم.

ومنها ما روي عن عطاء الخراساني أن المسلمين لما نزلوا ببيت المقدس قال رؤساؤهم: إنا قد أجمعنا على مصالحتكم وقد عرفتم منزلة المسجد الأقصىٰ ونحن نحب الفتح على يد ملككم، فبعث المسلمون إلى عمر رضي الله وفداً، وبعث الروم معهم إليه وفداً حتّى أتوا المدينة، فجعلوا يسألون عن أمير المؤمنين، فاشتدّ عجب الروم وقالوا: هذا الذي غلب الروم وفارس وأخذ كنوز كسرىٰ و قيصر، وليس له مكان يعرف بهذا غلب الأمم، فوجدوه قد ألقىٰ نفسه حين أصابه الحرّ نائماً فازدادوا تعجباً، فلما قرأ كتاب أبي عبيدة أتىٰ بيت المقدس وفيه اثنىٰ عشر ألفاً من الروم وخمسين ألفاً من غيرهم، فصالحهم على أداء الجزية وإخراج الروم منها وأجّلهم ثلاثة أيام.

ومنها ما في مثير الغرام: أن أبا عبيدة رضي الله عنه جمع العسكر [عسكره] بالأردن وكتب إلىٰ أهل إيلياء و سكانها: بسم الله الرحمٰن الرحيم من أبي عبيدة ابن الجراح إلىٰ أهل إيلياء وسكانها سلام على من اتبع الهدىٰ وآمن بالله ورسوله: أمّا بعد فإنا ندعوكم إلى شهادة أن لا إلٰه إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، فإذا شهدتم بذلك حرمت علينا دماؤكم وأموالكم وكنتم لنا إخواناً، وإن أبيتم فأدّوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وإن أبيتم سرت إليكم بقوم هم أشد حباً للموت منكم لشرب الخمر، ثم لا أرجع عنكم حتىٰ أقتل مقاتلكم وأسبي ذراريكم، فلما بلغهم أبوا أن يأتوه وأن يصالحوه، فسار إليهم فحاصرهم وضيّق عليهم، فخرجوا ذات يوم

لقتال المسلمين، فشدّ عليهم المسلمون من كل جانب حتىٰ أدخلوهم الحصن، وكان الذي يلي قتالهم يومئذ خالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان، فلما رأى أهل إيلياء أنهم لا طاقة لهم بحربهم، قالوا لأبي عبيدة: نحن نصالحك ولكن أرسل إلى خليفتكم عمر فهو الذي يعطينا هذا العهد ويكتب لنا الأمان، فاستحلفهم بالأيْمان المغلظة والمواثيق المؤكدة إن قدم عليهم أمير المؤمنين عمر وكتب لهم كتاب الصلح ليقبلنه وليؤدين الجزية، فكتب أبو عبيدة:

بسم الله الرحمٰن الرحيم لعبدالله عمر من أبي عبيدة سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إلٰه إلاّ هو أمّا بعد فإنا أقمنا على أهل إيلياء، فظنوا أن لهم في مطاولتهم فرجاً، فلم يزدهم الله تعالىٰ، إلاّ ضيقاً وذلاًّ، فَسَألوا: أن يقدم عليهم أمير المؤمنين، فيكون هو المعطي لهم العهد، فأخذنا عليهم المواثيق المؤكدة لقبول ذلك، فإن رأيت أن تقدم فافعل فإن لك أجراً وصلاحاً يسّر الله أمرك، والسلام.

فلما قرأ الكتاب استشار الصحابة فأشار إليه عثمان رضي الله عنه بعدم المسير، حتىٰ يروا أنه مستحقر لشأنهم ويزدادوا رعباً .فينزلون عن الحكم ويعطون الجزية، وأشار عليّ كرم الله وجهه بالمسير إليهم حقناً لدماء المسلمين، ولأنهم طلبوا المنزلة التي فيها الذّل والصغار لهم، والفتح والعزّ العاجل للمسلمين في عافية قال: وفي قدومك عليهم أجر في كل ظمأ ومخمصة وقطع كلّ واد، ثم قال عمر رضي الله عنه: قد أحسن عثمان النظر في مكيد العدوّ، وأحسن عليّ النظر لأهل الإسلام، سيروا على اسم الله تعالىٰ فإني سائر.

فخرج من المدينة في وجوه الأنصار والمهاجرين والعرب، واستخلف علياً كرم الله وجهه، فلما دنا من الشام أقام بعسكره حتىٰ لحق من تخلف، فلما طلعت الشمس أقبل الجنود على الخيول بالرايات والرماح يستقبلون أمير المؤمنين ويسألون عنه، فلما رأوه اقتحموا عن خيولهم فناداهم عمر رضي الله عنه لا

تفعلوا، ثم طلع أبو عبيدة في عظم الناس يستقبل عمر رضي الله عنه، فإذا هو على ناقة مخطومة بخطام ليف لابساً سلاحه، فلما رأىٰ عمر أناخ إبله [ناقته] وأناخ عمر رضي الله عنه أيضاً بعيره، ولما دنا منه أخذ أبو عبيدة يده ليقبّلها تعظيماً له، فأهوى عمر إلىٰ رجل أبي عبيدة ليقبّلها فقال: مه يا أمير المؤمنين، وقال عمر مه يا أبا عبيدة، فتعانقا ثم ركبا يتسايران، وسار الناس أمامها، ثم قال للناس: انصرفوا، ودخل بيت أبي عبيدة فلم يجد فيه سوى سيفه وترسه وقوسه ورحله، فبكىٰ عمر رضي الله عنه وقال لأصحابه: تمنّوا، فقال واحد منهم: أتمنّىٰ [أن يكون] ملء هذه الدار ذهباً أنفقه في سبيل الله، وقال آخر: جوهراً أنفقه كذلك، فقال عمر رضي الله عنه: وأنا أتمنىٰ ملء هذه الدار [البيت] رجــالاً مثل أبي عبيدة. وروي عن ابن شهاب قال: لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة، فنزل عن بعيره وأمسك جرموقيه بعد نزعها وخاض الماء ومعه بعيره فقال له أبو عبيدة: لقد صنعت اليوم صنعاً عظيماً عند أهل الأرض، فصكّ عمر في صدره، وقال: لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة، إنكم كنتم أذلّ الناس وأقلّ الناس فأعزّكم الله بالإسلام، ومهما تطلبوا العزّ بغيره يذلكم الله[٢٦٧].

ووردت في كيفية كتاب الصلح لهم واشتراط الشروط عليهم روايات للبيهقي وغيره ليس هنا محل بسطها (وجا) بالقصر للوزن في السنة (الآتية) أي سنة سبع عشرة، وقيل: فيما قبلها، وقيل: فيما بعدها.

(٢٦٧) رواه الحاكم (٨٢/٣) من حديث طارق بن شهاب. نعم كان العرب أذلاء قبل الإسلام فأعزّهم الله بالإسلام مع قلتهم وفقرهم، والآن وصل عدد المسلمين إلى ألف مليون بل أكثر، وهم أذلاء بيد أعداء الإسلام، لأنهم تركوا الإسلام وراء ظهورهم، وبدلوا به القوانين الوضعية واغتروا بالمدنية المزيفة، مما جعلهم بعيدين عن الإسلام الذي يعز من تمسك به، ولن يرجع إليهم عزّهم إلا برجوعهم إلى كتاب ربّهم وسنّة نبيّهم يطبقونها في جميع مجالات الحياة، فحينئذ سيصبحون أعزاء بعد أن كانوا أذلاء.

عام الرمادة به استسقىٰ عمرُ   ثم أتىٰ جابية وما عبر

(عام الرمادة) فاعل جاء أي ابتداؤه كان فيها، في القاموس كالصحاح: عام الرمادة أعوام جدب تتابعت في أيام عمر رضي الله عنه، فهلك فيه الناس والأموال، من رمدت الغنم ترمد رمداً أي هلكت انتهىٰ.

وفي عيون التواريخ: وفي ثمان عشرة كان عام القحط وهو عام الرمادة، أصاب الناس مجاعةٌ شديدة وقحط، وكانت الريح تسفي التراب كالرماد فسميت عام الرمادة، واشتد الجوع، حتى كانت الوحش تأوي إلى الإنس، وكان الرجل يذبح الشاة فيعافُها من قبحها، وفيها كان طاعون عمواس، وكتب أبو عبيدة إلى عمر رضي الله عنه: أن نفراً من المسلمين شربوا الخمر، منهم ضرارٌ وأبو جندل فسألناهم فتأوّلوا وقالوا: خيّرنا فاخترنا قال تعالىٰ: ﴿**فهل أنتم منتهون**﴾ ولم يعزم علينا، فكتب إليه عمر رضي الله عنه: معناه انتهوا، وقال: فادعهم على رؤوس الناس، فإن قالوا: الخمر حرام فاجلدهم ثمانين، وإن قالوا: حلال فاضرب أعناقهم، فسألهم فقالوا: بل حرام، فجلدهم، وندموا على لجاجتهم وقال: ليحدثن فيكن يا أهل الشام حدث فحدث الرمادة، وأقسم عمر رضي الله عنه: لا يذوق سمناً ولا لبناً حتى يحيى الناس، فقدم السوق عكة سمن ووطب لبن فاشتراهما غلام لعمر بأربعين درهماً، فقال: يا أمير المؤمنين قد أبر الله يمينك قدم السوق عكّة من سمن ووطب من لبن، ابتعتهما بأربعين درهماً، فقال: تصدّق بهما، فإني أكره أن آكل إسرافاً، فقد أغليت بهما، ثم كتب إلى الأمصار يستعينهم لأهل المدينة ومن حولها، فكان أول من قدم عليه أبو عبيدة بأربعة آلاف راحلة من طعام، فولاّه قسمتها فيمن حول المدينة، فقسمها وانصرف إلى عمله وتتابع الناس، واستغنىٰ أهل الحجاز، ولم ير الناس بعد الرمادة مثلها، وفي تلك المدة كان عمر رضي الله عنه كالمحصور عن أهل الأمصار.

(استسقاء عمر رضي الله عنه بالعباس)

(به) أي في عام الرمادة (استسقىٰ عمر) أي [دعاه] وطلب السقي من الله تعالىٰ بالعباس عمّ النبي ﷺ فسُقوا ، وفي البخاري : أن عمر رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقىٰ بالعباس رضي الله عنه ، فقال : أللّهم إنّا كنّا نتوسّل إليك بنبيّنا محمّد ﷺ إذا قحطنا فتسقينا ، وإنّا نتوسل إليك بعمّ نبيّك فاسقنا ، فيسقون (٢٦٨) . وفي تأريخ دمشق : أن الناس كرّروا الإستسقاء عام الرمادة سنة سبع عشرة من الهجرة فلم يُسقوا ، فقال عمر رضي الله عنه : لأستسقينّ غداً بمن يسقيني الله به ، [فقال الناس : بمن ؟ بعلي بحسن بحسين ؟] فلما أصبح غدا إلىٰ منزل العباس رضي الله عنه ، فدق عليه الباب فقال : مَن ؟ قال عمر ، قال : ما حاجتك ؟ قال : اخرج حتى نستسقي الله بك ، قال : اقعد فأرسل إلى بني هاشم أن تطهّروا والبسوا من صالح ثيابكم فأتوه ، فأخرج طيباً فطيّبهم ، ثم خرج وعليّ أمامه بين يديه ، والحسن عن يمينه ، والحسين عن يساره ، وبنو هاشم خلف ظهره ، وقال : يا عمر لا تخلط بنا غيرنا ، ثم أتى المصلّىٰ فوقف فحمد الله وأثنىٰ عليه وقال : أللهم إنك خلقتنا ولم تؤامرنا ، وعلمت ما نحن عاملون قبل أن تخلقنا فلم يمنعك علمك فينا عن رزقنا ، أللهم فكما تفضلت علينا في أوله فتفضل علينا في آخره (٢٦٩) .

وأخرج الحاكم أن عمر لما استسقىٰ بالعباس خطب فقال : يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان يرىٰ للعباس ما يرىٰ الولد لوالده ، يعظّمه ويبرّ قسمه ، فاقتدوا برسول الله ﷺ في عمّه العباس ، واتخذوه وسيلة إلى الله عزّ وجلّ فيما نزل بكم (٢٧٠) ، وأخرج ابن عبدالبرّ بطرق عن عمر أنه لما استسقىٰ به قال : أللهم

---

(٢٦٨) رواه البخاري (١٠١٠ و ٣٧١٠) .

(٢٦٩) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ترجمة العباس (ص١٨٧) .

(٢٧٠) رواه الحاكم (٣/٣٣٤) وفي إسناده داود بن عطاء المدني قال الحافظ الذهبي في تلخيص المستدرك : متروك .

إنّا نتقرب إليك بعم نبيّك ونستشفع به فاحفظ فيه نبيك كما حفظت الغلامين بصلاح أبيهما، وأتينا مستغفرين مستغيثين[٢٧١]. وأخرج ابن سعد أن كعباً قال لعمر: أن بني إسرائيل كانوا إذا أصابتهم سنة استسقوا بعصبة نبيهم، فقال عمر: هذا العباس انطلقوا بنا إليه، فأتاه فأخذه بيده وأجلسه معه على المنبر وقال: اللهم إنّا قد توجهنا إليك بعمّ نبيّك، ثم دعا العباس[٢٧٢]، وفي عيون التواريخ أن عمر رضي الله عنه: لما استسقى خطب وأوجز وصلّى ثم جثىٰ على ركبتيه وقال: أللهم عجزت عنا أبْصارنا وعجز عنّا حولنا وقوتنا وعجزت عنّا أنفسنا ولا حول ولا قوة إلاّ بالله، اللهم فاسقنا وأحيي البلاد، وأخذ بيد العباس، ودموع العباس تتحادر على شيبته فقال: اللهم إنّا نتقرب إليك بعمّ نبيّك وبقية آبائه وأكبر رجاله مستغيثين به ومستغفرين، ثم أمر الناس بالاستغفار، وكان العباس قد طال عمره وعيناه تذرفان وهو يقول: اللهم أنت الراعي فلا تهمل الضالة، ولا تدع الكبير بدار مضيعة، فقد ضرع الصغير ورقّ الكبير، وارتفعت الشكوىٰ وأنت تعلم السر وأخفىٰ، اللهم فأغنهم بغناك قبل أن يقنطوا فيهلكوا. اللهم إنك لم تنزل بلاءً إلا بذنب ولم تكشفه إلا بتوبة وقد توجه القوم بي إليك فاسقنا الغيث، ثم زاد بكاؤه، فطلعت سحابة ثم التأمت، فوالله ما برحوا حتىٰ علقوا الحذاء وقلصوا المآزر، فطفق الناس يمسحون أردان العباس ويقولون هنيئاً لك ساقي الحرمين ودموعه تتحادر وفيه قال حسّان رضي الله عنه:

سأل الإمام وقد تتابع جدبنا ... فسقى الإمام بغرة العباس
عمّ النبيّ وصنو والده الذي ... ورث النبيّ بذاك دون الناس
أحيا الإلّه به البلاد فأصبحت ... مخضرة الأجناب بعد الياس

(٢٧١) انظر الاستيعاب (٨١٥/٢) لكنه لم يذكر الأسانيد حتى تنظر فيها.
(٢٧٢) ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص١٨٥).

(طاعون عَمواس)

(ثم) في تلك السنة (أتى) عمر رضي الله عنه قاصداً للشام حتىٰ وصل (جابية) قرية من قرىٰ دمشق بناحية حوران، وهو بالجيم في الأصل الجماعة والحوض الضخم، فسمع أن بالشام طاعوناً فرجع بالناس (وما عبر) منها إلى بقية الشام من القدس وغيره.

مِن عمواس وهو طاعون وقع ثم جلـولا ليس مثلهـا سمـع

(من) خوف (عمواس) بفتح العين والميم قرية بين الرملة والقدس (وهو) أي عمواس من ذكر المحل وإرادة الحال فصح تفسيره بقوله (طاعون وقع) سنة سبع، وكان أول ظهوره في عمواس، ولذا نسب إليه فقيل: طاعون عُمواس، مات فيه خمسة وعشرون ألفاً، منهم أبو عبيدة ومعاذ بن جبل كما في الخميس وغيره.

وفي الصحيحين: أن عمر رضي الله عنه خرج إلى الشام، فأخبر أن بها وباء فاستشار المهاجرين فاختلفوا، والأنصار فاختلفوا، فدعا من كان هناك من أشياخ قريش من مهاجرة الفتح فاتفق رأيهم أن يرجع بالناس، ولا يقدمهم على ذلك الوباء، فهمّ بالرجوع، فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: لو غيرك قالها لأوجعته ضرباً، نعم نفرّ من قدر الله إلى قدر الله، وكان عبدالرحمن بن عوف غائباً، فلما جاء قال: إنّ عندي في هذا علماً: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الطاعون رجس أرسل على بني إسرائيل أو علىٰ من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه» فحمد الله تعالىٰ عمر رضي الله عنه، ثم انصرف [٢٧٣].

---

(٢٧٣) رواه البخاري (٥٧٢٩ و٥٧٣٠ و٦٩٧٣) ومسلم (٢٢١٩).

قال الحافظ أبو محمد القاسم: قدم عمر الشام أربع مرات مرتين في سنة ست عشرة ومرتين في سنة سبع عشرة ولم يدخلها في الأولى من الأخيرتين.

(وقعة جلولاء)

(ثم) كانت في تلك السنة وقيل سنة ست عشرة وقعة (جلولاء) بفتح الجيم وبالقصر للوزن قرية ببغداد من ناحية فارس، والنسبة إليها جلوليّ على غير قياس كحروري في حروراء (ليس مثلها) أي وقعة جلولاء في عظم الغنيمة وكثرة القتلىٰ من المجوس الفرس (سمع) قال: سيف بن عمر بلغت الغنائم ثلاثين ألف ألفِ درهم، فطلع سهم كل فارس تسعة آلاف وسبع دوابّ، وبلغت قتلاهم مائة ألف، قيل: اشتهرت الوقعة بجلولاء لما جلّلته من قتلاهم.

روي أن المسلمين لما توطّنُوا المدائن وبعثوا بالأخماس إلى عمر رضي الله عنه بلغهم أن مهران قد عسكر بجلولاء وخندق، وأن أهل الموصل قد عسكروا بتكريت، فكتب سعد إلى عمر بذلك، فكتب إليه: أن سَرِّحْ هاشم بن عتبة إلى جلولاء في اثني عشر ألف، واجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو، وعلىٰ الساقة عمرو بن مرّة الجهني، وكان الفرس لما هربوا من المدائن إلى جلولاء قالوا: إن افترقتم لم تجتمعوا أبداً فلنجتمع على العرب، ونقاتلهم، فحفروا الخندق واجتمعوا على مهران، ونفذ يزدجرد إلى حلوان، ونزل بها وسيّر إليهم الرجال والأموال، فرحل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص بالناس من المدائن في اثني عشر ألفاً، فيهم وجوه المهاجرين والأنصار فقدم بهم إلى جلولاء فحاصرهم، فخرجوا على المسلمين فاقتتلوا، وبعث الله عليهم الريح فأظلمت الأقطار عليهم، فتهافت فرسانهم في الخندق، واشتدّ القتال فهزمهم الله تعالىٰ، وتبعهم المسلمون يقتلونهم كيف شاؤوا، وطلبهم القعقاع حتىٰ أدرك مهران فقتله، فلما بلغ خبر الهزيمة يزدجرد سار من حلوان نحو الجبل، ولجأ إلى الترك وزال ملكه بعد انهزام عسكره مرّات.

وعظم الطاعون في ثمانِ   وفتحوا الموصل مع حِرّانِ

(وعظم الطاعون) أي طاعون عمواس (في) سنة (ثمان) وعشرة، وأصاب الناس من الموت ما لم يروا مثله قط، حتى طمع العدو فيهم لمكث الطاعون فيهم شهوراً، وكذلك أصاب الناس بالبصرة مثله.

وفي عيون التواريخ عدة من مات في طاعون عمواس خمسة آلاف ألف، وفيه أيضاً أن عمر رضي الله عنه لما بلغه طاعون عمواس كتب إلىٰ أبي عبيدة ليستخرجه منه، فأبىٰ ألاّ يشارك المسلمين رِضاً بقضاء الله تعالىٰ، ثم كتب إليه أن يرتفع بالمسلمين عن تلك الأرض، فدعا أبو عبيدة أبا موسىٰ الأشعري وقال: ارتَدِ للمسلمين موضعاً، فرحل بالناس حتىٰ نزل الجابية، وكان أبو عبيدة قد قام في الناس فقال:

يا أيها الناس إنّ هذه الوجع رحمة لكم ودعوة نبيّكم، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظّه فطُعِنَ فمات. واستخلف على الناس معاذ بن جبل فخطب مثل خطبته فطعن في راحته فمات، واستخلف عمرو بن العاص، فخرج بالناس إلى الجبال فرفعه الله عنهم، ولم ينكر عمر رضي الله عنه ذلك منه.

ثم استخلف عمر معاوية على دمشق وخراجها بعد موت أخيه يزيد بن أبي سفيان، وفي ثمان عشرة أيضاً (فتحوا الموصل) بفتح الميم وكسر الصاد هي المدينة العظمىٰ المشهورة إحدىٰ قواعد الإسلام، لها سور وخندق عظيم، وبها من الأولياء والعلماء خلق كثير، وجوامعها الكبير [وجامعها الكبير] من أكبر جوامع بلاد الإسلام حتىٰ قيل ليس أكبر [بأكبر] منه، لكن الآن خرب معظمه، قال بعض الأولياء: يدخله الأبدال كل ليلة (مع حرّان) بفتح الحاء وتشديد الراء مدينة مشهورة بالجزيرة في ديار ربيعة، ويطلق على مواضع أخرىٰ ليست مرادةً هنا، منها قرية من قرىٰ حلب، وقرية من قرىٰ غوطة دمشق، وقرية بالبحرين،

وفتحوا أيضاً نصيبين والجزيرة وآمد وديار بكر والرُّها المشهور الآن بِعُرْفَةَ وغيرها من بلاد الجزيرة بين دجلة والفرات.

سنة تسع فتح تكريت وفي عشرين غزة وما معها اصطفي
ثم نهاوند بعام إحدىٰ وأهل كوفة تشكو سعدا

(سنة تسع) وعشرةٍ كان (فتح تكريتُ) بفتح أوله بلد قديم قريب من الموصل سمي باسم تكريت بنت وائل (وفي) سنة (عشرين) كان فتح (غزة) بفتح الغين المعجمة وبالزاء بلدة بين الشام ومصر علىٰ أطراف الرمال، فتحها معاوية بن أبي سفيان، وليس لها ماء جار بل أبيار، وتطلق أيضاً على بلدة بأفريقية وقرية بدمشق (وما معها) أي غزة من الغنائم والأموال (اصطفي) بالبناء للمجهول أي صفي بأن أخرج منه الخمس، ثم قسم بين الغنائم، فهو تتميم للبيت، أو المعنى: وما معها من قراها فتح أيضاً، واصطفى من الشرك والرجس (ثم) كان فتح (نُهاوند) بضم النون وفتح الواو وسكون النون الثانية مدينة بالجبل بقرب همذان، يقال: إنها من بناء نوح عليه السلام، وأصله: نوحاوند فقلبوا الحاء هاءً (بعام إحدىٰ) وعشرين كما قاله ابن اسحٰق، وقيل في عام تسع عشرة، وقيل: في ثمان عشرة غزو نُهاوند وعراق العجم، وفي تسع عشرة تتمة عراق العجم، وبعض مازندران، وتتمة فارس وكرمان وخراسان، وهرب يزدجرد من خراسان إلى فرغان بعدما هرب من عراق العرب إلى خراسان، وقصته: ما روي أن النعمان بن مقرّن كتب إلى عمر رضي الله عنه أن سعد بن أبي وقاص استعمله في جباية الخراج، وأنه يحب الجهاد، فكتب عمر إلى سعد أن ابعث به إلى نهاوند، وكان قد اجتمع بها من الأعاجم خمسون ومائة ألف، فسار النعمان بمن معه حتىٰ أشرفوا على عساكر العجم فقال النعمان: أيها الناس: قد علمتم ما أعزكم الله به من هذا الدين، وما وعدكم من الظهور، وقد أنجز لكم

هوادي ما وعدكم، وإنما بقيت إعجازه، والله منجز وعده ولا يكوننّ على دنياهم أحرص منكم على دينكم، فإنكم تنتظرون إحدىٰ الحسنيين، إمّا شهيد حيّ مرزوق، أو فتح قريب، فاستعدّوا فإني حامل عليهم إن شاءالله تعالىٰ، فإذا حُملتُ فاحملوا معي، اللهم أعزّ دينك وانصر عبادك، واجعل النعمان أول شهيد، فلما حمل مكبّراً، حمل الناس معه، واقتتلوا قتالاً عظيماً، وزلق فرس النعمان به في الدماء وأصيب، فتناول الراية منه نعيم بن مقرّن، وسُجّي النعمان بثوب، وأتىٰ حذيفة فأقام اللواء، وقال المغيرة: اكتموا مصاب أميركم حتىٰ ننظر ما يصنع الله فينا وفيهم، فلما أظلم الليل انهزم المشركون، وتبعهم المسلمون، فلم يفلت منهم إلاّ اليسير، حتىٰ قتل منهم أكثر من مائة ألف، وبلغ المنهزمون إلىٰ همدان، والخيل في أعقابهم، ثم دخل المسلمون نهاود، واحتووا علىٰ ما فيها وما حولها، فأصاب الفارس من الفيء ستة آلاف، والراجل ألفين.

وفي سنة إحدىٰ وعشرين، وقيل سنة عشرين، وقيل سبع عشرة، (وأهل كوفة) وقد مرّ تفصيلها تَشَكَّوْا إلى عمر رضي الله عنه، وهم قوم من بني أسد من أهل الكوفة زعموا أنّ (سعداً) بن أبي وقّاص أحد العشرة المبشرة غير عادل فيهم، فبعث عمر مَن سأل أهل الكوفة عنه، فقالوا: لا نعلم منه إلاّ خيراً وسكت قوم، وقال رجل يقال له أُسامة: إنه لا يعدل في الرعية ولا يقسم بالسوية، وكان سعد مجاب الدعوة لقوله ﷺ: «اللهم سدّد رميه وأجب دعوته» وفي رواية: «اللّهُمّ استجب لسعد إذا دعاك» فدعا على ذلك الرجل بقوله: اللهم إن كان كاذباً فأطل عمره وأدِم فقره وعَرّضه للفتن، فوقع له جميع ذلك، وكان يقول: شيخ سوء أصابتني دعوة سعد، ثم عزله عمر عن الكوفة، فأمّر عليهم أبا موسىٰ الأشعري، فشكوا منه أيضاً، فأشخصه إلى البصرة، فأمّر المغيرة بن شعبة، وفي سنة عشرين أو قبلها فتح سوق الأهواز، وتُستَر، ورامهرمز، وفيها أُسِرَ الهرمزان، وكان عمر رضي الله عنه قد كتب إلى سعد: أن ابعث إلى الأهواز بعثاً كثيفاً مع النعمان بن مقرّن، وابعث معه سويد بن

مقرّن، وجرير بن عبدالله، فينزلوا بأزاء الهرمزان، وكتب إلى أبي موسىٰ أن ابعث إلى الأهواز جنداً كثيفاً، وأمّر عليهم سهل بن عدي، وابعث معه البراء ابن مالك في جماعة سماهم، فخرج النعمان في أهل الكوفة، وكان الهرمزان يومئذ برامهرمز، فلما سمع بمسير النعمان بادره والتقيا واقتتلوا قتالاً شديداً، ثم إن الله هزم الهرمزان وكان قد صالح المسلمين ونقض فأسر، وأوتي به إلى عمر رضي الله عنه فهدّده بالقتل، ووبّخه على نقض العهد فأسلم.

وكان تكميل فتوح مصر وسنة اثنتين فتح عمرو

(وكان) في سنة إحدىٰ وعشرين (تكميل فتوح) جميع بلاد (مصر) والإسكندرية على يد عمرو بن العاص، وأمّا ابتداء فتوحها ففي سنة إحدى وعشرين على الأصح، وقيل: قبلها، وفي أخبار الدول: مصر مدينة مشهورة ناحيتها أربعون مرحلة في مثلها، سميت باسم بانيها مصر بن مصر بن سام بن نوح عليه السلام، ذكر السيوطي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: لما خلق الله آدم عليه السلام مثل له الدنيا شرقها وغربها فلما رأىٰ مصر ونيلها دعا لها بالبركة والرأفة، وقيل: إن يوسف عليه السلام لما ولي مصر وأقام بها قال: اللهم إني غريب فحببها إليّ وإلى كل غريب، فمضت [فاستجاب] دعوة يوسف عليه السلام، فليس يدخلها غريب إلاّ أحب المقام بها، واختلف العلماء فيها هل فتحت صلحاً أو عنوة؟ فعن ابن اسحٰق قال: لما فرغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الشام كلها أمر عمرو بن العاص أن يسير إلى مصر وأردفه بالزبير بن العوام مع جماعة آخرين، ففتحوا جميع البلاد صلحاً، وكتب لهم [كتاب] الأمان بعد قتال يسير وعمّر الفسطاط، ونزلها المسلمون. وعن ابن شهاب فتح بعضها صلحاً وبعضها عنوةً، ولقد لخص القضاعي في قصة فتح مصر وخبرها، فقال: لما كانت سنة ثمان عشرة من الهجرة قدم عمرو بن العاص من

عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى فتح مصر ، وكان أول موضع قوتل فيه القَرَما قتالاً شديداً ، وأمير الحصن يومئذ المندفور من قبل المقوقس بن قُرقُب اليوناني ، وكان المقوقس ينزل الإسكندرية وهي في سلطان هرقل ، وأقام المسلمون على باب الحصن محاصرين للروم سبعة أشهر ، فلما ضيّقوا عليهم طلب مقوقس الصلح ، فصالحه عمرو بن العاص ، وكان فتحها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين ، وعدد الجيش الذين كانوا مع عمرو بن العاص خمسة عشر ألفاً وخمسمائة ، ثم سار عمرو إلى الاسكندرية في شهر ربيع الأول سنة عشرين ، وأقام في حصارها وفتحها ستة أشهر ، ثم إنه لما فتح الاسكندرية همّ أن يسكنها ، فكتب إلى عمر رضي الله عنه يستأذنه في ذلك ، فسأل عمر رضي الله عنه الرسول : هل يحول الماء بيني وبين المسلمين ، قال : نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل ، فكتب أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص : إني لا أحب أن تنزل المسلمين منزلاً يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف ، فتحول إلى الفسطاط [أي وهي] المدينة المشهورة بمصر بناها عمرو بن العاص ، وسميت بالفسطاط ، لأن عمرو بن العاص نصب فسطاطه أي خيمته هناك مدة إقامته ، ثم بنى المدينة موضعه فسميت بالفسطاط (و) في (سنة اثنتين) وعشرين كان (فتح عمرو) بن العاص أيضاً .

ناحيةُ الغربِ وفيها فتحت دينور وآذربيجان تلت

(ناحية الغرب) أي أول مدائن المغرب وهي طرابلس الغرب وما يليها من السواحل ، وأمّا فتح تمام بلاد المغرب ، ففي خلافة عثمان رضي الله عنه كما سيأتي (وفيها) أي في سنة اثنتين وعشرين (فتحت ، دِينَوَر) بكسر الدال وفتح النون والواو ، وهو منصرف للوزن وفتحت فيها أيضاً همدان وجرجان والريّ من بلاد العجم كما في كتاب الخميس .

(وآذربيجان) بفتح الهمزة وسكون الذال المعجمة، وفتح الراء المهملة وكسر الموحدة، مملكة واسعة بها مدن كثيرة وقرىٰ وجبال وأنهار كبيرة، وبها نهر الرّس، وهو نهر عظيم شديد الجريان، لا تجري السفن فيه لكثرة الحجارة في أرضه، وله أجواف هائلة، زعموا أن من عبر الرّس ماشياً إذا مسح برجله ظهر امرأة عسرت ولادتها وضعت، وقد جرّب مراراً، وهو نهر مبارك كثير ما ينجو غريقه كذا في أخبار الدول، وهو مبتدأ، وقوله (تلت) خبره أي تبعت ما ذكر من البلاد في فتحها في سنة اثنتين وعشرين، وعدّ ما فتح في أيامه رضي الله عنه غير ما ذكرنا من البلاد، منها كُوَرُ دجلة والأُبلّة على يد عتبة بن غزوان، وكور الأهواز والجابية على يد أبي موسىٰ، ومنها النَّوْبَة والبربر، مملكة واسعة بأرض الغرب كما ذكره المحب الطبري، وخابور وبليسان والري، وما يليها كما ذكره الدميري، وأُرمية وناحيتها إلى تبريز، وفي تقديم بعضها على بعض خلاف، ومما عدّ فتحه في أيّامه: اصطخر، وسيصرح الناظم بأن فتحها في أيام عثمان رضي الله عنه ولعلّها فتحت مرتين لنقض العهد، قال الواقـدي: فتحها سنة ثلاث وعشرين مجاشع بن مسعود بعدما قتل من الفرس مقتلةً عظيمة، وغنم غنائم جمّة، وبعث بالفتح والخمس إلى عمر رضي الله عنه، ثم ذكر أن عثمان بن أبي العاص افتتح جوراً بعد قتال عظيم [شديد]، وذكر بعضهم أن سارية بن زنيم قصد مدينة فَساوَ دارابجرد، فاجتمعت له جموع عظيمة من الفرس والأكراد، ورأىٰ عمرُ رضي الله عنه معركتهم في منامه وعددهم وأنهم في صحراء، وهناك جبل إن استندوا إليه لم يُؤتوا إلاّ من وجه واحد، فنادىٰ عمر من الغد: الصلاة جامعة، ثم صعد المنبر فخطب الناس وأخبرهم بما رأىٰ، ثم قال: يا سارية الجبل يا سارية الجبل، ثم قال: إن لله جنوداً لعلّ بعضها يبلّغهم، فقدم رسول الجيش بعد أيام، فسأله عمر رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين هُزمنا، فبينما نحن كذلك إذ سمعنا منادياً ينادي: يا سارية الجبل، فاستندنا ظهورنا إلى الجبل فهزمهم الله تعالىٰ، ووردت كيفية هذه القصة بروايات أخر.

[فائدة] مات في خلافته رضي الله عنه أبو قحافة والد الصديق، وأم معاوية هند بنت عتبة، وأبو عبيدة أمين هذه الأمة، كان طويلاً نحيفاً معروق الوجه، خفيف اللحية، قتل أباه يوم بدر غيرة على الدين، فنزل فيه: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ الآية، وأبو سفيان بن الحارث بالمدينة وسعد ابن عبادة أحد النقباء، شهد العقبة مع السبعين والمشاهد كلها إلاّ بدراً فإنه تهيأ للخروج فلدغ فأقام، وكان جواداً، وكانت جفنته من ثريد تدور مع رسول الله ﷺ في بيوت أزواجه أينما دار، وكان يكتب في الجاهلية بالعربية، ويحسن العوم أي السباحة والرمي، والعرب تعدّ مَن له هذه كاملاً، مات بحوران من أرض الشام بغتةً لكونه بال في مَنفَق فرماه الجن فقتلوه، وعتبة بن غزوان المازني شهد بدراً، ومعاذ بن جبل، وشرحبيل بن حسنة، وأبو مالك الأشعري الثلاثة بالطاعون في اليوم الذي طُعِنَ فيه أبو عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان، وأبي بن كعب سيد القرّاء مات بالمدينة، وبلال بن رباح بالشام، وعمرو بن أم مكتوم بالمدينة، وأُسَيد بن حضير الأنصاري أحد النقباء، وخالد بن الوليد الأمير البطل الكرّار أبو سليمان المخزومي مات على فراشه عن ستين سنة في بعض قرىٰ حمص علىٰ ميل من حمص سنة إحدىٰ وعشرين بعدما باشر الحروب العظيمة، ولم يبق في جسده شبر إلاّ وهو عليه طابع الشهداء، ويضرب بشجاعته المثل، سمّاه النبيّ ﷺ سيف الله المسلول كما قاله الذهبي، ولما عزله عمر رضي الله عنه، واستخلف أبا عبيدة على الشام أمره أن يشاور خالداً وأن لا يستغني عن رأيه، ثم لم يزل مرابطاً بحمص حتىٰ مرض، فدخل عليه أبو الدرداء عائداً فقال: إن خيلي وسلاحي على ما جعلته عليه في سبيل الله، وداري بالمدينة صدقة قد أشهدت عليها عمر بن الخطاب، ونعم العون هو على الإسلام، وجعلت وصيتي وإنفاذ عهدي إلى عمر، فلما بلغ ذلك عمر قبلها وترحم عليه.

وعن عبدالرحمٰن بن أبي الزناد عن أبيه أن خالداً لما احتضر بكىٰ وقال: لقد رأيت كذا وكذا زحفاً وما في جسدي شبراً إلاّ وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم

أو طعنة برمح، وها أنا أموت على فراشي فلا نامت أعين الجبناء.

وعن شقيق بن سلمة قال: لما مات خالد اجتمعت نساء بني المغيرة في دار خالد يبكين عليه، فقيل: لعمر رضي الله عنه: انههُنَّ فقال عمر: ما عليهنّ أن يُرِقنَ دموعهن على أبي سليمان ما لم يكن نقع أي شق، أو لقلقة أي صوت، ومات في خلافته أيضاً العلاء بن الحضرمي وطليحة الأسدي وقتادة بن النعمان وغيرهم.

سنة ثلاث سادس عشرين مِن ذي الحجة استشهد فاروق الزمن

(سَنَةْ) بإسكان الهاء إجراء للوصل مجرىٰ الوقف (ثلاث) وعشرين من الهجرة (سادس العشرين) هو كما قبله ظرف لاستشهد الآتي أي في سادس والعشرين على الأصح وقيل: في الثالث والعشرين (من) شهر (ذي الحجة) بكسر الحاء كما مرّ.

تنبيه قضية كلام ابن مالك في ألفيته، وكلام شرّاحها امتناع نحو خامس عشرين، سادس عشرين بغير واو، ولذا قدرت الواو في كلام الناظم، لكن قال القاضي زكريا: وفي ذلك الامتناع توقف فاعرفه (استُشهد) بالبناء للمجهول أي جعل شهيداً (فاروق الزمن) بفتح الميم بمعنى العصر أي الفارق بين الحق والباطل في عصره وقد مرّ سبب تسميته بالفاروق، وأن النبي ﷺ سمّاه بذلك في مبحث إسلامه.

روي أنّ كعباً قال له: أجدك في التوراة تُقتَل شهيداً، فقال: وأنّىٰ لي بالشهادة، وأنا بجزيرة العرب. وأخرج البخاري عنه: أنه قال: اللّهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك (٢٧٤).

(٢٧٤) رواه البخاري (١٨٩٠).

ضربه الكلب أبو لؤلؤة   وهو يصلي الصبح في الخاصرة

(ضربه) ضربة أدته إلى القتل (الكلب) لقبه به لما روي أنه حين ضربه قال: أكلني الكلب أو قتلني الكلب وهو (أبو لؤلؤة) فيروز النصراني كما روي عن عمرو بن ميمون، أو المجوسي كما قاله القلعي وغيره. روي أن عمر رضي الله عنه كان لا يأذن لمشرك احتلم أن يدخل المدينة، حتى كتب إليه المغيرة بن شعبة والي الكوفة يستأذنه في غلام له اسمه فيروز، فقال: إن له أعمالاً كثيرةً، حدّاد ونجّار، ونقّاش، وكان يعمل الأرحاء أيضاً، فأذن له في دخول المدينة، فأرسل به، وضرب عليه المغيرة كل شهر مائة درهم، وفي رواية: كل يوم أربعة دراهم، وفي أخرىٰ درهمين فشكىٰ إلى عمر رضي الله عنه ثقل الخراج [خراجه]، وقال: كلّم المغيرة يخفّف عني، فسأله عمر عن صناعاته فأخبره بأعماله، فقال له: اتق الله وأحسن إلى مولاك وما خراجك بكثير، فغضب فقال: قد وسّع الناسَ كلّهم عدله غيري، فأضمر له القتل، فاستعمل له خنجراً له رأسان نصابة في وسطه، وبالغ في حدّه وسُمّه، ثم كمن له في الغلس في بعض زوايا المسجد، حتى خرج عمر رضي الله عنه يسوّي صفوف الناس لصلاة الصبح، فقام ذلك الكلب حذاءه في الصف وضربه بالخنجر (وهو) رضي الله عنه (يصلي الصبح) ثلاث ضربات في كتفه (في الخاصرة) فسقط، وطعن معه ثلاثة عشر رجلاً، كما روي عن عمرو بن ميمون مات منهم سبعة، وفي رواية تسعة، وقيل: ستة، وألقىٰ عليه رجل من أهل العراق ثوباً، فلما اغتم فيه وعلم أنه لا ينجو قتل نفسه، وحمل عمر رضي الله عنه إلى أهله، وكادت الشمس تطلع، فصلىٰ عبدالرحمٰن بن عوف بالناس بأقصر سورتين، ثم سقوه لبناً فخرج كما هو من جرحه، فعلم عمر أنه يموت، وقال الناس له: لا بأس عليك، فقال: إن يكن بالقتل بأس فقد قُتِلتُ، ثم قال: الحمدلله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعي الإسلام.

فيـا لها مصيبـة في الأرض   عمت جميع طولها والعرض

(فيا لها) أي يا للفعلة والواقعة، والنداء للتعجب (مصيبةً) تمييز للفعلة الراجع إليها الضمير بقرينة السياق، ومن تفصيله مع توجيه آخر في مبحث وفاته ﷺ (في الأرض) (عمّت) تلك المصيبة (جميع) الخلق في (طولها) أي الأرض (والعرض) لأن الدين ما زال في إقبال وعزّة منذ أسلم، ومازال في إدبار وذلة منذ مات كما في الأحاديث وسبق بعضها.

وعن كعب الأحبار أنّه قال لعمر رضي الله عنه: إنا لنجدك في التوراة علىٰ باب من أبواب جهنّم تمنع الناس أن يقعوا فيها، فإذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة، وقد صحّ أنّ الشمس انكسفت يوم موته وناحت الجنّ عليه، وسيأتي زيادة مما يتعلق بموته ودفنه.

(فضل الفاروق ومناقبه رضي الله عنه)

ذكر شيء من فضل الفاروق ومناقبه رضي الله عنه

لو لم يكن يذكر من مناقبه ... إلاّ بأن ديننا قد عزّ به

(لو لم يكن يذكر) بالبناء للمجهول (من مناقبه) وفضائله (إلاّ بأنّ) الباء زائدة أو استثناء من المقدر المفهوم من السياق، والتقدير: لو لم يكن يذكر من مناقبه ولم يوصف بشيء منها إلاّ بأنّ (ديننا قد عزّ به) وجواب لو محذوف لدلالة الكلام عليه، أي لكفاه ذلك شرفاً وفضلاً، ونظائره كثيرة في القرآن وغيره، وعزّة دين الإسلام به رضي الله عنه معلومة من دعائه ﷺ له بذلك كما مرّ، ومن الأحاديث الشهيرة السابق بعضها، ومن الفتوحات العظيمة التي عرفنها في خلافته، ومن غير ذلك، وإذا تقرر عظم مناقبه:

فما عسايَ ذاكراً فضله ... وزهده وخيره وعدله

(فما عسايَ) أي فما توقعت وقاربت أن أكون (ذاكراً) مناقبه الجليلة (من فضله) وشرفه على من بعده (وزهده) في الدنيا حتىٰ قال بعضهم: ما منّا أحد

إلاّ مال إلى الدنيا، أو مالت الدنيا إليه ما خلا عُمَرَ وَابْنِهِ (وخيره) ونفعه للناس (وعدله) فيهم وكل ذلك مذكور ومشهور في كتب الأحاديث والسير وسيذكر الناظم جملة منها.

[تنبيه] عسىٰ من أفعال المقاربة عمله كعمل كان، والغالب في خبره المضارع بأن، وقلّ تجرده عنها نحو:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب

وأقل منه كون خبره مفرداً كما قاله ابن مالك وغيره كقوله:

لا تكثرن أني عسيت صائماً

ورده ابن هشام بأن الخبر مثله محذوف أي عسيت أن أكون صائماً لأن المرجو كونه صائماً لا نفس الصيام، وقد يتصل بعسىٰ ضمير منصوب نحو عساني وعساك وعساه، فعن سيبويه أنها أجريت مجرىٰ لعلّ في نصب الاسم ورفع الخبر نحو عساه قائم، وعن الأخفش أنها باقية على عملها عمل كان، ولكن استعير ضمير النصب مكان المرفوع، فعلم أن في النظم اتصال الضمير المنصوب بعسىٰ وهو قليل، وحذف نون الوقاية مع الياء وهو شاذ، وكون الخبر مفرداً وهو قليل أيضاً، وارتكاب مذهب الأخفش مع أن الأصح مذهب سيبويه لظهور الخبر مرفوعاً في مثل قوله: فقلت عساها نارُ كاسٍ، وإنما قدرتُ أن أكون على ذاكراً رعايةً لمذهب ابن هشام لجزالة المعنىٰ، ولو قال: فما عسيت ذاكراً من فضله لكان أسهل.

أول من عسّى وثاني الخلفا ... وأفضل الخلق سوىٰ مَن قد سلفا
ألم يكن قام خطيباً في البشر ... إزاره رفعه اثنتا عشر
ألم تلمه حفصة في لبسه ... وأكله وشأنه في نفسه

وهو رضي الله عنه، (أول من عسّ) أي طاف بالليل لمحافظة الناس، يقال عسّ عسّاً وعسساً واعتسّ أي طاف بالليل وكان يطوف في الأسواق، وعلى عاتقه الدرة يؤدّب الناس بها، فهو أول من أدّب بها (وثاني الخلفا) بعد رسول الله ﷺ بالإجماع كما مرّ (و) هو (أفضل الخلق) من هذه الأمة (سوى من سلفا). أي سبقه وهو أبو بكر رضي الله عنه لما تقدم من إطباق علماء الأمة على أنّ أفضل هذه الأمة الصديق ثم عمر رضي الله عنهما (ألم يكن) الاستفهام للتقرير (قام خطيباً) وهو خليفة (في البشر) كما روي عن الحسن رضي الله عنه، وعليه (إزاره) وهو ما يستر بين السرة والركبة (رُقَعُه) جمع رقعة وهي ما يرقع به الثوب أي رقعه التي فيه (اثنتا عشر) رقعة بعضها من أدم، قال أبو عثمان الفهري رأيت على عمر إزاراً مرقوعاً بأدم، وحذف التاء من عشرة للوزن لوجوب تأنيث الجزءين إذا كان التمييز مؤنثاً في مثله كما لا يخفىٰ (ألم تَلُمْه) بفتح التاء من اللوم (حفصةُ) بالتنوين بنته رضي الله عنه أم المؤمنين (في لبسه) بضم اللّام مصدر لبس الثوب، أي في لبسه من أردء الثياب وأخشنه، ويجوز جعله من اللبس بكسر اللام لما يُلبس، والأول أوفق لقوله (وأكله وشأنه) أي حاله (في حقّ نفسه).

روي أنها قالت له: لو أكلت طعاماً أطيب من طعامك، ولبست ثياباً ألين من ثيابك، فقد وسع الله الرزق وأكثر الخير، فقال لها: أما تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يلقىٰ من شدّة العيش، أما تذكرين ما كان أبو بكر يلقىٰ بعده.

حتى أجـابها بما أبكـاهـا　　　إذ نهج صـاحبيـه قـد تلاهـا
وإذ علي قـد رآه سـالكـا　　　في شـدة الحرّ فقـال ما لكـا
قال بعير من جمال الصدقـة　　　نـدّ وإني مسرع لألحقـه
فقال أتعبـت الذي يستخلـف　　　فقـال لا تلم فـإني أحلـف
لو أن شاةً بالفـرات تـذهـب　　　في ضيعـة كنـت بها أعـذّب

وكان في الدبر منها يدخل   راحته يقول عنك أسأل

فما زال يذكّرها (حتى أجابها بما أبكاها إذ نهج) بفتح فسكون أي طريق (صاحبيه) أي النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه (قد تلاها) أي قرأها وذكّرها إياها كما مرّ، وتأنيث الضمير الراجع إلى نهج لكونه بمعنى السنة والطريقة أو هو كالطريق والسبيل، يذكر ويؤنث، أو العائد إليه محذوف، والضمير المذكور، لحفصة على الحذف والإيصال أي قد تلاه لها، وفي رواية قال له عبدالله وحفصة وغيرهما: لو أكلت طيباً كان أقوى لك على الحق، قال: أكلكم على هذا الرأي؟ قالوا: نعم، قال: لقد علمت نصحكم، ولكن تركت صاحبيّ على جادة، فإن تركت جادتهما لم أدركهما في المنزل، وقال مرةً أخرى: لمن كلّمه في طعامه: ويحك آكل طيّباتي في حياتي الدنيا وأستمتع بها، وقد مرّ أنه في عام الرمادة لم يأكل سمناً ولا سميناً حتى وسع الله على الناس، ومن ثم تغيّر لونه من أكل الزيت في ذلك العام (و) اذكر (إذ عليّ) كرّم الله وجهه قد رآه (سالكاً) في طريق يعدو وهو راكب على قتب (في) وقت (شدة الحر فقال) علي (ما لكا) يا أمير المؤمنين (قال) عمر رضي الله عنه (بعير من جمال الصدقة) أي إبل الزكاة (ندّ) فرّ وشرد (وإني مسرع) في طلبه (لألحقه) وأردّه (فقال) عليّ كرّم الله وجهه (أتعبتَ) أي أوقعت في تعب (الذي يُستخلف) أي يجعل خليفةً بعدك لأنه ينبغي أن يتسيّر بسيرتك فتكون سبباً لتعبه وذلّته (فقال له) عمر رضي الله عنه: (لا تَلُمْ) أي لا تلمني يا أبا الحسن (فإني أحلف) بالله الذي لا إلٰه إلاّ هو (لو أن شاةً) من شياة الصدقة (بـ) شاطىء (الفرات) نهر معروف (تذهب في) مكان ذي (ضيعة) مصدر ضاع يضيع (كنت بها أُعذَّب) أي بسبب ضياع تلك الشاة مع بعده عنّي (أُعَذَّب) وأوخذ يوم القيامة فكيف بالقريب مني (وكان) رضي الله عنه (في الدَّبَر) بفتحتين جمع دبرة وهي قرحة البعير (منها) أي البعير المفهوم من ذكر الدبر، وهو نعت الدبر، وفي الدبر

متعلق بقوله (يُدْخِلُ) راحته أي يده وهو (يقول) إني أخاف أن أكون (عنك) خطاب للبعير أي عما بك من الدبر (أُسأل) يوم القيامة.

وربما كـــان لنـــار أوقـــدا	ثمت ويداني مـــن لهيبهـا اليدا
يقول هل تطيـق في ذا تصبر	والله إن لم تتقـي يـــا عمـــر
لتهلكـن وكــان بـالليــل يمر	بـــآيـــة يبكـــي لها حتى يخر

(وربما كان) رضي الله عنه (لنار) مفعول لقوله (أوقدا) واللام زائدة لتعدية العامل لضعفه بسبب تقديم معموله كما في نحو لزيد ضربت (ثُمَّتَ) إذا لحق ثم تاء التأنيث اختص بعطف الجملة على الجملة، فلا يجوز نحو جاء زيد ثمت عمرو (ويداني) أي يقرب (من لهيبها) أي لهيب النار الخالص من الدخان (اليدا) أي يده وهو (يقول) يا ابن الخطاب (هل تطيق) بضم التاء من الإطاقة (في ذا) اللهيب (تَصبِرُ) أي مع كونه أنقص حرارةً بمراتب من لهب نار القيامة، وإذا لم تطق فكيف من يعذّب بمثل هذه النار من عصاه ثم يقول (والله إن لم تتقي) بإثبات الياء للضرورة (يا عمر لتهلكن) مع الهالكين يوم القيامة (وكان) رضي الله عنه (بالليل) أي فيه (يمرّ بآية) في ورده فيها ذكر النار (يبكي لها) أي لأجل ما فيها من الإنذار (حتىٰ يَخِرْ) بحذف إحدى الرائين للوزن أي يسقط ويعاد مريضاً منها أيّاماً.

ذكر النووي في التبيان: أنّ عمر رضي الله عنه صلّى الصبح بالجماعة فقرأ سورة يوسف، فبكىٰ حتى سالت دموعه على ترقوته، وفي رواية كان يصلي العشاء، فهما روايتان واقعتان، وفي رواية بكىٰ حتى سمعوا بكاءه من وراء الصفوف، فالبكاء حال القراءة من صفات العارفين، وشعار عباد الله الصالحين وقال تعالى ﴿ويخرّون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً﴾ وقد وردت في ذلك

أحاديث: منها: ﴿اقرأوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا﴾ (٢٧٥) وآثار كثيرة لا تحصر:

منها ما روي عن هشام أنه قال: ربما سمعت بكاء محمد بن سيرين في الليل وهو في الصلاة، قال الإمام الغزالي: البكاء مستحب مع القراءة وعندها، وطريق تحصيله أن يحضر في قلبه الخوف [الحزن] بأن يتأمّل ما فيه من التهديد والوعيد والوثائق والعهود، ثم يتأمّل تقصيره فيها، فإن لم يحضره حزن وبكاء، كما يحضر الخواص، فليبك على نفسه فإنه من أعظم المصائب انتهى (٢٧٦).

وليلـــة رآه طلحـــة ولـــج بيتاً وبعـده مـن آخـر خـرج
فـرحـت ذلـك البيـت إذا عجوز عميا مخرج عنها الأذى
وليلة من التجـار لما عـرسوا إذ لابن عـوف امش نحرس
باتا يحرسـان جميعـاً اذ سمـع بكـا صبي فـأتـاه ورجـع
فعـاد للبكـا فعـاد ثـانيـاً فعـاد ثـالثـاً فعـاد جائيـاً

وكان عمر رضي الله عنه يأخذ نبتةً من الأرض، ويقول: يا ليتني كنت هذه النبتة يا ليتني لم أكن شيئاً ليت أمّي لم تلدني (وليلة رآه) أي عمر رضي الله عنه (طلحةُ) رضي الله عنه كما حكى عن نفسه (ولج) أي دخل عمر رضي الله عنه (بيتاً وبعده) أي بعد ولوج ذلك البيت (من) بيت (آخر) بنقل حركة الهمزة إلى النون للوزن (خرج، قال) طلحة (فرحت ذلك البيت) الأول (إذا) فيه (عجوزٌ) غير منصرف للوزن (عَمْيا) بالقصر مقعدة (مخرج عنها) أي بيتها (الأذى) أو القاذورات، فقلت لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه

---

(٢٧٥) رواه ابن نصر عن سعد بن أبي وقاص.

(٢٧٦) التبيان (ص٣٥٦) المطبوع في آخر الجزء العاشر من المجموع.

يتعاهدني (و) يخرج الأذىٰ (و) اذكر ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قدم المدينة (ليلة) رفقة من (التجار) جمع تاجر (لمّا عرّسوا) أي حين نزلوا آخر الليل بالمصلّىٰ من التعريس وهو النزول آخر الليل للاستراحة، (إذ قال) بدل من قوله: لما عرّسوا (لِـ) عبدالرحمٰن (بن عوف امش) معي (نحرس) أي نحرسهم الليلة من اللصوص (باتا) أي صار عمر وابن عوف رضي الله عنهما (جميعاً) أي معاً (يحرسان)، أولـئك التجار في وقت تعريسهم، ويصليان النوافل (إذ) للمفاجأة (سَمِعْ) عمر رضي الله عنه (بكاء صبيّ فأتاهُ وَ)قال لأمه: اتقي الله وأحسني إلى صبيّكِ ثم (رجع) إلى مكانه (فعاد) الصبي (للبكا) بالقصر، ثانياً (فعاد) عمر رضي الله عنه إلى الصبيّ (ثانياً) وقال لأمه: مثل ما قال أوّلا، ثم رجع إلى مكانه (فعاد) الصبيّ إلى البكاء (ثالثاً) فسمعه عمر (فعاد) رضي الله عنه حال كونه (جائيا) إليه.

قال اتقـي في طفلـك وأحسني — قالت له دعني فقـد أبـرمتني
أعجلته الفطام إذ لا يفـرض — إلا لمن يفطـم هـذا الغـرض
فقــال وأرضعيـه ثم جــاء — صلاة فجــر يسمــع البكــا
وأمــر النــداء في الأنــام — فــرضي لكـل ولـد الإسلام
وليلة الصغار كيف قد حمّـل — والدقيـــق والذي عمـــل

ثم (قال) لأمه في الثالث كالأول والثاني: ويحكِ إني أراكِ أُمَّ سوءٍ (اتقي) الله (في) حق (طفلك) بإشباع الكاف للضرورة (وأحسني) إليه بالإرضاع وغيره، ثم قال: ما لي أرىٰ صبيّكِ لا يقرّ الليلة (قالت) أمه (له) أي لعمر رضي الله عنه (دعني) عن هذه المعاودة (فقد أبرمتّني) يقال: أبرمه فبرم وتبرّم أي أملّه (أعجلته) أي الصبي (الفطام) أي إراوده على الفطام والقطع عن الرضاع فيأبىٰ، قال عمر: ولم ذاكِ قالت: (إذ لا يفرض) أي لا يقدّر عمر من

بيت المال (إلا لمن يُفطم) أي يقطع من الرضاع (هذا) هو (الغرض) والباعث على تعجيل الفطام (فقال) عمر: كم له من الشهور؟ قالت: كذا وكذا شهراً، فقال: لا تعجلي عليه - (وأرضعيه ثم جاآ) بإشباع الفتحة أي عمر (صلاة فجر) أي صبح وما تستبين قراءته في الصلاة من البكاء خوفاً مما وقع لذلك الصبي بسبب فرضه وأشار بقوله: (يُسمِع) من الإسماع أي ويسمع الناس في الصلاة (البكاء) أي بكاءه فلما سلم قال: بؤس لعمر كم قتل من أولاد المسلمين (وأمر النداء) أي بالنداء بأن أمر منادياً ينادي (في الأنام) أي الناس لا تعجلوا على صبيانكم بالفطام فإن (فرضي) ثابت (لكل ولد الإسلام) أي لكل مولود في الإسلام رضيعاً كان أم لا؟ (و) اذكر ليلة الأولاد (الصغار) الجائعين عند امرأة بحرة المدينة (كيف قد حمل) عمر رضي الله عنه بنفسه لهم (الشحم والدقيق) (و) اذكر (الذي عمل) في تلك الليلة، وقصته:

ما روي عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرجنا مع عمر إلى حرّة واقمٍ حتى إذا كنا بضرار رأى عمر ناراً توقد، فقال لي: يا أسلم إني لأرىٰ ههنا رَكباً قد قصر بهم الليل والبرد فانطلق بنا إليهم فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم، فإذا بامرأة معها صِبيان صغار وقدْرٌ مَنْصوبَةٌ على النار وصبيانها يتضاغون أي يضجون ويصيحون، فقال عمر رضي الله عنه: السلام عليكم يا أصحاب الضوء، وكره قول: يا أصحاب النار، قالت: وعليك السلام، قال: أأدنو؟ قالت: ادنُ بخير أو دع، وقال: ما لكم؟ ما بالكم؟ قالت: قصر بنا الليل والبرد، وقال: ما بال هٰؤلاء الصبية؟ قالت: الجوع، قال: فما في هذا القدر؟ قالت: ماء أسكتهم به حتى يناموا، والله بيننا وبين عمر، فقال: رحمك الله، وما يدري عمر بكم؟ قالت: يتولىٰ أمرنا ثم يغفل عنّا، قال أسلم: فأقبل عليّ وقال: انطلق، فخرجنا نهرول حتىٰ أتينا دار الدقيق، فأخرج عِدلاً من دقيق وكُبةً من شحم، فقال: احمله عليّ فقلت: أنا أحمله عنك قال: احمله عليّ فراجعته، فقال: ويحك احمله عليّ، أنت تحمل عنّي وزري يوم القيامة لا أمّ لك، فحملته عليه، فانطلقنا

حتىٰ انتهينا إلى المرأة، فألقىٰ الدقيق عندها، وأخرج منه شيئاً وقال [لها]: ذري عليّ وأنا أحرّك عنكِ وجعل ينفخ تحت القدر حتىٰ أنضجها، ثم قال: ابغني شيئاً فأتته بصحيفة فأفرغ فيها وهو يقول: أطعمي الصغار وأنا أسطح لهم. فلم يزل كذلك حتىٰ شبعوا وترك ما بقي عندها، ثم قام فقمت معه فجعلت المرأة تقول: جزاك الله خيراً كنت أولىٰ بهذا من أمير المؤمنين، فيقول لها: قولي خيراً ثم تنحىٰ فربض مربضاً فقلت: لك غير هذا، قال: لا تكلمني فلم يزل رابضاً حتى رأيت الصبية يصطرعون، ثم ناموا فقال: يا أسلم: الجوع أسهرهم، وأبكاهم فأحببت أن لا أنصرف حتىٰ أرىٰ ما رأيت.

وليلةً أبصر ناراً توقد ... ذهب إذ مرأة شخص تلد
فارتد مسرعاً أتىٰ بزوجته ... تقبلها وكل ذا في ليلته

(و) في (ليلة) أخرىٰ (أبصر) عمر رضي الله عنه (ناراً توقد، ثم ذهب) إلى تلك النار (إذ) للمفاجأة (مرأة شخص) [غريب] غريبة (تلد) أي شرعت في الطلق وقربت من الولادة (فارتدّ) أي انصرف إلى منزله، وفيما رأينا من النسخ فردّ، ولعلّه من سهو النساخ لأن ردّ متعدّ بمعنى صرفه لا لازم بمعنى رجع وانصرف حال كونه (مسرعاً أتىٰ بزوجته) أم كلثوم بنت عليّ كرّم الله وجهه إلى تلك المرأة (تقبلها) استئناف بياني من قبلت المرأة كنصر ينصر، أو من أقبلت أي أخذت الولد عند خروجه من الأم، ومنه القابلة (وكل ذا) أي المذكور من رؤية النار وذهابه إليها وانصرافه وإتيانه بزوجته وكونها قابلة (في ليلتِهِ) أي ليلة واحدة، وتفصيل ذلك: ما روي عن ابن عمر وأنس رضي الله عنهما قالا: بينما عمر رضي الله عنه يعسّ المدينة إذ مر برحبة من رحابها فإذا هو ببيت من شعر فسمع منه أنين امرأة، ورأىٰ رجلاً قاعداً عندها، فسلّم عليه، ثم قال: ما هذا الصوت الذي في البيت؟ قال: امرأة غريبة تمخض، قال: هل

عندها أحد؟ قال: لا فانطلق عمر إلى منزله فقال: لامرأته أم كلثوم بنت عليّ كرّم الله وجهه: هل لك في أجر ساقه الله إليك، قالت: وما هو؟ قال: امرأة غريبة تمخض وليس عندها أحد، قالت: نعم، قال فخذي ما يصلح للمرأة عند ولادتها من الخرق والدهن، وائتيني ببرمة وشحم وحبوب، فأتته بها فحملها وهي تمشي خلفه حتى انتهىٰ إلى منزل المرأة، فقال لامرأته ادخلي إليها، ثم قعد إلى الرجل فأوقد ناراً تحت البرمة حتىٰ أنضجها وولدت المرأة، فقالت أم كلثوم: يا أمير المؤمنين بشّر صاحبك بغلام، فلما سمع الرجل قولها: يا أمير المؤمنين هابه وتنحّىٰ عنه، فقال له عمر: مكانك كما أنت، ثم حمل البرمة فوضعها على الباب وقال لزوجته: أشبعيها ففعلت، ثم أخرجت البرمة فأخذ عمر فوضعها بين يدي الرجل وقال: كل فإنك قد سهرت، فأكل، ثم قال لامرأته: اخرجي، وقال للرجل: إننا غداً نأمر لك بما يصلحك ففعل الرجل.

هـــذا ولما جـــاءه الموت بقـوا يبالغـون في الثنـا وصـدقـوا

فأجازه عمر رضي الله عنه وأعطاه (هذا) أي خذ هذا الذي ذكرناه في سيرته العجيبة واقتدِ بها (ولما جاءه) وحضره (الموت بقوا) بضم القاف أي الناس الذين حوله وجعلوا (يبالغون في الثنا) بالقصر أي يثنون عليه خيراً (وصدقوا) أي الناس في ثنائهم عليه جملة معترضة من كلام الناظم.

قـــد وددت أنجـو منهـــا عفواً كفافـا لا أسـأل عنهـا
وعندمـا احتضر قـال يـا بني اذهـب إلى عـائشـةٍ لـدفني
قـل عمـــر ولا تقـل أمير فـإنني الآن امـرء مـأمـور
يسـألـك الإذن لـه في قبره مع صاحبيه المصطفى وصهـره
إن أذنت فيا لها مـن فـرحـة أو منعـت دفنـت مـع الأمـة

فعنـد بلغهـا قـالــت نعــم وذا لدفني ادخرت مـن قـدم

فقال بعضهم: أبشر يا أمير المؤمنين فقد أحيا الله بك سنناً وأظهر بك عدلاً (فقال) عمر رضي الله عنه (قد وددت) بكسر الدال أي أحببت أن (أنجو منها) أي من أمور الخلافة والسؤال عنها يوم القيامة والحساب (عفواً) أي معفواً مغفوراً (كفافاً) بفتح الكاف أي لا لي أجر ولا عليّ عقاب وأن يَسلِم لي صحبة رسول الله ﷺ وقوله: (لا أُسأل) بالبناء للمفعول وقلب الهمزة ألفاً بعد نقل حركتها إلى السين (عنها) بيان لما قبله (وعندما احتضر) بالبناء للمفعول أي حضره الموت كان رأسه في حَجر ابنه عبدالله، فقال له: ضع رأسي بالأرض، فقال: يا أبتا وهل الأرض وحجري إلاّ سواء، قال: ضع رأسي بالأرض لا أم لك، قال فوضعته فجعل يمسح وجهه بالتراب، ويقول: ويلي إن لم يرض [يرحمني] ربي ثم (قال) لابنه عبدالله (يا ابني اذهب إلى عائشةٍ) بالتنوين أم المؤمنين، واستأذنها (لدفني) مع صاحبّي في بيتها (قل عمرٌ) بالتنوين (ولا تقل أمير) المؤمنين (فإنني الآن) لست أميراً بل أنا (امرؤ مأمور) بالارتحال إلى دار القرار، وقوله (يسألك الإذن له في قبره) في بيتك ليدفن فيه (مع صاحبيه المصطفى) ﷺ (وصهره) أبي بكر رضي الله عنه خبر لقوله عمر، والمجموع مقول: قل وما بينهما اعتراض (إن أذنت) عائشة بذلك (فيا لها) النداء للتعجب كما مرّ نظيره غير مرة أي يا لهذه الحالة وقوله (من فرحة) بيان للحالة الراجع إليها الضمير بدلالة السياق، وتنكير فرحة للتعظيم، (أو منعت) أي الإذن (دُفنت بين الأمة) أي في مقابر المسلمين (فعندما) مضى عبدالله وسلم عليها وهي قاعدة تبكي على عمر رضي الله عنها (بلّغها) الخبر فقال: إن عمر يقرئكِ السلام ويستأذِنك أن يُدفَن مع صاحبيه (فقالت نعم) وقال له: إنّ (ذا) المكان (لدفني) فيه قد كنت (ادّخرت) أي ادخرته (من قِدَم) بوزن عنب أي من زمان مديد، وأصل القدم ضد الحدوث، ثم استعمل في القدم الإضافي مجازاً.

لكنــــه منــي أولىٰ وأحـــق كم كنت أسمع النبيّ وصـدق
يقـول إني وهما قــد كنــت دخلت معهما كـذا خــرجـت
وجعل الإمــرة شـورىٰ بعـد في ستـة فــالختنــان سعــد
وطلحة وابن عوف مـع زبير جـاءت لعثمان بجمـع خيّــر

(لكنّه منّي) بفتح الياء متعلق بقوله (أولىٰ وأحقّ) بذلك المكان، ولآثرنه اليوم على نفسي، فلما رجع ابنه عبدالله قال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين أذنت، قال: الحمدلله ما كان شيء أهمّ إليّ من ذلك، ثم قال لابنه: إذا قبضت فاحملوني، ثم سلّم وقل: يستأذن عمر فإن أذنت لي فأدخلوني وإن ردتني فردّوني إلى مقابر المسلمين، فلما مات، استأذنا عائشة رضي الله عنها، فأذنت، فأدخل ودُفِن مع صاحبيه، وظاهر سياقه أن قوله (كم) أي كثير (كنت أسمع النبي) ﷺ من كلام عائشة رضي الله عنها، والذي في الأحياء إنه كلام عليّ كرّم الله وجهه برواية ابن عباس (وَصدقَ) النبيّ ﷺ جملة معترضة (يقول: إني وهما) أي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما مقترنان أو مشتركان في أمرين يأتي بيانهما (قد كنت، دخلت معهما) في الدنيا (وجعل عمر رضي الله عنه (الإمرة) بكسر الهمزة أي الخلافة (شورى) أيْ ذات شورىٰ (بعد) أي بعد موته (في ستة) ثم فصّلهم بقوله (فالختنان) تثنية ختن محركة، وهو زوج بنت الرجل، أراد عثمان وعلياً رضي الله عنهما (وسعد) بن أبي وقّاص (وطلحة) بن عبيدالله (و) عبدالرحمٰن (ابن عوف) غير منصرف للوزن (مع زبير) بن العوام، روي أنه لما احتضر قيل له: أوص يا أمير المؤمنين واستخلف، قال: ما أرىٰ أحداً أحقّ بهذا الأمر من هٰؤلاء الذين توفّى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فذكر الستة، وقال: ليشهد عبدالله بن عمر معهم وليس له من الأمر شيء، فإن أصابت الإمرة سعداً فذاك، وإلاّ فليستعن به أيكم أمّر فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة، ثم أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله تعالى، وأوصيه بالمهاجرين

والأنصار، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً، فلما فرغوا من دفنه ورجعوا، اجتمع هٰؤلاء الستة، فقال عبدالرحمٰن بن عوف: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: جعلت أمري إلى عليّ، وقال سعد: جعلت أمري إلى عبدالرحمٰن وقال طلحة: جعلت أمري إلى عثمان، ثم اختلىٰ هـؤلاء الثلاثة، فقال عبدالرحمٰن: أنا لا أريد بها، فأيكما أمّر فعليه بصلاح الأمة، فسكت الشيخان علي وعثمان، فقال عبدالرحمٰن: اجعلوه إليّ قالا: نعم ثم خلّىٰ بعليّ فقال: لك من القدم في الإسلام والقرابة من رسول الله ﷺ ما قد علمت، الله عليك لئن أمّرتك لتعدلن، ولئن أمّرت عليك لتسمعنّ ولتطيعن قال: نعم، ثم خلا بعثمان فقال له: كذلك، فلمّا أخذ ميثاقهما، شاور أكابر الصحابة فرأىٰ ميل أكثرهم إلى عثمان، فبايع عثمان، ثم بايعه عليّ[٢٧٧]، وكانت مبايعته بعد موت عمر بثلاث ليال، ولما جلس عبدالرحمٰن للمبايعة قال في جملة كلامه: إني رأيت الناس يأبَوْن إلاّ عثمان كما أخرجه ابن عساكر، وفي رواية قال:

أما بعد فيا علي إنّي قد نظرت في الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان فلا تجعلني علىٰ نفسك سبيلاً، ثم أخذ بيد عثمان فقال: نبايعك على سنة الله وسنة رسوله وسنة الخليفتين بعده، فبايعه عبدالرحمٰن وبايعه المهاجرون والأنصار، وإلىٰ ذلك أشار بقوله: (جاءت) خمسة من الستة المذكورة (لعثمان) أي إليه واجتمعوا عنده للمشاورة وأمر الخلافة ملتبسين (بجمع خير) وصلاح ديني ودنيوي

(خلافة عثمان بن عفان) رضي الله عنه

هو ابن عفانٍ فهو أدنىٰ العشره بعد علي في التقاء الشجرة

(هو) أي عثمان (بن عفّان) بن (أبي العاص) بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف جدّ النبي ﷺ (فهو) أي عثمان رضي الله عنه (أدنى) أي أقرب

(٢٧٧) انظر الحديث (٣٧٠٠) حول استشهاد عمر رضي الله عنه ووصيته واستخلاف عثمان رضي الله عنه.

(العشرة) المبشرة بالجنة المشهورة (بعد علي في التقاء الشجرة) أي في التقائه مع النبي ﷺ في عبد مناف، بخلاف غيره ممن عدا علياً، فإنّهم يلتقون معه ﷺ فيمن فوق عبد مناف، وأمّا عليّ كرّم الله وجهه فهو يلتقي معه ﷺ في عبدالمطلب فهو أقرب من الكل.

(مبايعة عثمان رضي الله عنه بالخلافة)

بويع بالإمرة منهم أجمعْ   في أول السنة عام أربعْ

(بويع بالإمرة) أي الخلافة والولاية (منهم) أي من الستة وغيرهم من الصحابة (أجمع) تأكيد للضمير (في أول السنة عام) بدل من السنة (أربع) وعشرين من الهجرة، فثبت خلافة عثمان رضي الله عنه وإجماع الصحابة عليها، وأن علياً بايعه وأقام الحدود بين يديه.

(صفات عثمان رضي الله عنه)

(صفة) عثمان رضي الله عنه، قال ابن عبدالبر في الاستيعاب: كان ربعة معتدلاً حسن الوجه رقيق البشرة كثيف اللحية عظيمها أسمر اللون كثير الشعر ضخم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين، كان يشد أسنانه بالذهب انتهى[278] وكان رضي الله عنه ذا جمال باهر، وعن الحسن: نظرته فإذا هو حسن الوجه وبوجهه أثر الجدري وشعره قد كسى ذراعيه. وقال البغوي: مشرف الأنف من أجمل الناس انتهى، ولكثرة شعره سمّاه أعداؤه نِعثَلاً بمعنى عظيم اللحية طويلها.

(ذكر ما كان في أيامه من الفتوحات وغيرها)

سنة ست زاد أرض المسجدِ   وفتح سابورَ بصلح جيد

(سنة ست) وعشرين من الهجرة (زاد) عثمان رضي الله عنه (أرض المسجد) الأعظم للنبي ﷺ بالمدينة المشرفة بأن أدخلها في المسجد، وصحّ أن

---

(٢٧٨) انظر الاستيعاب (٣/١٠٥١ - ١٠٥٢) لابن عبدالبر.

المسجد الشريف كان على عهده مبنياً باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل، وبناه ﷺ مرتين، وكان في المرة الأولى سبعين ذراعاً في ستين ذراعاً أو أكثر، وفي الثانية جعل طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع، وكذا في عرضه، ثم لم يزد فيه أبو بكر رضي الله عنه شيئاً، ثم زاد عمر رضي الله عنه من جهة القبلة الرّواق المتوسط بين الروضة ورواق المحراب العثماني، وبناه باللبن والجريد كما في عهده ﷺ، ثم غيّره عثمان رضي الله عنه وزاد فيه زيادات كثيرة، فبنىٰ جداره بالحجارة المنقوشة والجص، وجعل عمده من حجارة منقوشة، وسقفه بالساج، قال أهل السير: وجعل عثمان رضي الله عنه طول المسجد مائة وستين ذراعاً وعرضه مائة وخمسين، وجعل أبوابه ستة كما في عهد عمر رضي الله عنه، ثم زاد الوليد بن عبدالملك فيه، فجعل طوله مائتي ذراع، وعرضه في مقدمه مائتين، وفي مؤخره مائةً وثمانين ثم زاد المهدي فيه مائة ذراع من جهة الشام فقط، والحديث الصحيح وهو: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد»[(٢٧٩)] إنما يتناول ما كان في عهده ﷺ دون بقية الزيادات كما صرّح به النووي في الإيضاح وغيره، ووافقه جمع، واعترض آخرون بأشياء، أجيب عنها[(٢٨٠)]. لكن قالوا: إذا صلى في جماعة فالتقدم إلى الصف الأول، ثم ما يليه أفضل وإن كان من جملة الزيادات ولما ضاق المسجد بأهله في عهده ﷺ اشترىٰ عثمان بقعةً بعشرين ألف درهم من خالص ماله، وأدخلها النبي ﷺ في المسجد وبشّره بالجنة كما في الحديث الصحيح[(٢٨١)] فحصل لعثمان رضي الله عنه

---

(٢٧٩) رواه البخاري (١١٩٠) ومسلم (١٣٩٤) وفي آخر الايضاح المسجد الحرام» وعندهما من حديث أبي هريرة.

(٢٨٠) انظر الإيضاح (ص٢٢٧ - ٢٢٨) مع حاشية الفقيه ابن حجر الهيثمي، والصواب أن المسجد يعم كل ضم إلى المسجد النبوي.

(٢٨١) رواه الترمذي (٣٧٠٤) والنسائي (٤٦/٦ - ٤٧ و٢٣٥) وله طرق وشواهد فهو بها حسن.

الفضل العظيم إلى يوم القيامة بالزيادة في المسجد مرتين. (و) كان فيها أيضاً وقيل فيما قبلها(فتح سابور) بلدة بأرضْ فارس بناها سابور بن أردشير، بها أنهار جارية وثمار دانية حتى قيل: من دخلها لم يزل يشم رائحةً طيّبةً حتّىٰ يخرج منها لكثرة رياضها وأزهارها، وكان فتحها على يد عثمان رضي الله عنه ابن أبي العاص (بصلح جيّد) على ثلاثة آلاف ألف وثلاثمائة ألف في كل سنة كما في الخميس.

سنة سبـع قـد غـزا معـاويـة قبرس ثم فتحهـم افــريقيــه

(سنة سبع) وعشرين (قد غزا معاوية) بن أبي سفيان (قبرس) بضم القاف وسكون الموحدة وضم الراء جزيرة للروم واسعة عريضة ثمانون فرسخاً طولاً، وفيها أنهار ومزارع وأنواع الثمار، وفيها قصور عالية، وهي مع ذلك كثيرة الخيل والبغال والحمير، وكان معاوية يلحّ على عمر رضي الله عنه في غزوة قبرس وركوب البحر لها فمنعه منها لخطر ركوب البحر، ولمّا استخلف عثمان رضي الله عنه أعاد الإلحاح والمشاورة لعثمان رضي الله عنه في غزوها، فلم يأذن له لكراهية الإمام عمر لذلك، ثم قال له: فإن أبيت فاحمل معك أهلك وولدك، اعلم أنّ البحر هيّن ليّن كما تقول، ففرح معاوية بذلك رضي الله عنه، ثم ركب البحر بأهله وجيشه، فلما هاجت الريح واقتحموا لجة البحر فزعوا وندم على أخذ أولاده وأهله فتضرعوا إلى الله تعالىٰ فسكّن الله الريح وأمنوا وساروا إلى قبرس في عافية، وأرسوا مراكبهم علىٰ ساحل قبرس فخرجوا منها، وأغاروا على قبرس ففتحوا، وصالحه ملك قبرس علىٰ أداء سبعة آلاف دينار ومائتي دينار في كل سنة، ومما فتحه معاوية أيضاً جزيرة روذس بضم الراء وكسر الذال المعجمة جزيرة تجاه الإسكندرية على ليلة منها، بعد استيذانه عثمان رضي الله عنه، فلما ساروا إليها غنموا غنائم عظيمة، ثم بعد مدة خربت روذِس إلى الآن. (ثم) كان

(فتحهم) أي المسلمين وأمير الجيش عبدالله بن سعد بن أبي سرح أمير مصر جزيرةٌ (إفريقية) بكسر الهمزة وسكون الفاء وكسر الراء والقاف بلاد واسعة بالمغرب قبالة الأندلس كثيرة الخيرات، وبها معادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص، وبها أيضاً عين تنبع بالمداد ويكتبون بها، استأذن ابن أبي سرح في غزوها عثمان رضي الله عنه، فلم يأذن له وكان كارهاً لذلك، ثم لما رأى تشوّف المسلمين إلى غزوها، أذن لهم، فبعث جيشاً من أهل المدينة، وأمّر عليهم مروان بن الحكم بن أبي العاص، ووصّاه بالإحسان إليهم، فساروا حتى قدموا على عبدالله بن أبي سرح بمصر فتهيأ للخروج إلى إفريقية، فخرج في ثلاثة وعشرين ألفاً، فساروا حتى دخلوا بلاد إفريقية وانتشروا بها وبثّوا السرايا، فأصابوا غنائم كثيرة من الحيوان وغيرها، فبينما هم على ساحل البحر سائرين إذا بمراكب إفريقية قد أرسيت على الساحل فأخذوها بما فيها من الغنائم، ثم أحرقوا المراكب، وتوسطوا بلاد إفريقية ونزلوا هناك وبعث عبدالله بن أبي سرح رضي الله عنهم إلى ملكهم بالإسلام أو أداء الجزية فأبى، ثم أقبل في ستين ألف أو يزيدون، فوقع بين الفريقين مقتلة عظيمة حتى ولّت الكفار وهرب ملكهم إلى أقصى الإفريقية، ثم سأل الصلح والكف عنه على الجزية، فصالحه عبدالله على ألفي ألف دينار وخمسمائة ألف دينار، فرجعوا إلى مصر، وما تعذر نقله من أثاث إفريقية وحيواناتها، اشتراه مروان من ابن أبي سرح الأمير بمائة ألف نقداً أكثرها، ثم جاء سابقاً مبشراً بفتحها فترك عنه عثمان بقية الثمن جزاءاً لبشارته، فإن قلوب المسلمين كانت في غاية القلق والإضطراب لشدة أمر إفريقية، وللإمام أن يعطي المبشر ما يراه لائقاً بتعبه وخطر مشقته فلا اعتراض عليه.

سنة تسع فتحوا اصطخرَ مَعْ فارس بعدها خراسان جمع

(سنة تسع) وعشرين (فتحوا) أي المسلمون وأمير الجيش عبدالله بن عامر

ابن كريز، وهو جواد من سادات قريش شاب ابن خمسة وعشرين سنة (إصطخر) بكسر الهمزة وفتح الطاء، وجوز بعضهم فتح الهمزة أيضاً كما قاله النووي، بلدة معروفة بإقليم فارس قديمة لا يعرف بانيها، وذلك أنّ عثمان رضي الله عنه عزل أبا موسىٰ الأشعري عن نيابة البصرة لشكاية جند أعماله شحّه، ولأنّ جند الكوفة نقموا عليه بعض الأشياء، فخاف عثمان الفتنة، فولّىٰ على البصرة عبدالله بن عامر بن كريز، وكتب له كتاباً ووصّىٰ أهل البصرة بإطاعته، فلما استقرّ بالبصرة اشتدّ غضب أهل فارس على عثمان بن عفان، وأقبل سَهرُكُ ابنُ مَاهَكٍ في ثلاثين ألفاً من شجعان الفرس يريد انتزاع ما في أيدي المسلمين من بلادهم، فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه، فكتب إلى عبدالله بن عامر بن كريز أن يسير إلى إصطخر لفتحها ومنع الفرس منها، ثم يسير إلى سائر بلاد خراسان، وكان علىٰ بلاد فارس قبل ذلك عثمان بن أبي العاص فعزله عثمان بن عفان، وجعل الولايتين أي ولاية البصرة وفارس لابن كريز، ولما بلغه كتاب عثمان رضي الله عنه جمع أهل البصرة وقرأ عليهم الكتاب ورغبهم في الجهاد فأجابوه، فخرج في جمع كثير حتّىٰ وصل فارس، فبلغ ذلك سهرُك بن ماهك، فجمع أمراء الفرس وأعطاهم الخلع ومنّاهم بالأماني وأمرهم بأخذ الأهبة، ثم التقاهم ابن كريز بجيشه، واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم الفرس وتبعهم المسلمون بالسيوف حتىٰ قتلوا منهم الألوف، ومن نجا منهم دخل مدينة اصطخر إلاّ سَهرُك فدخل مدينة أخرىٰ ثم حاصروا اصطخر كذا في كتاب الفتوح حتىٰ فتحوها، وصالحوهم على إعطاء الجزية، وأرسل ابن كريز إلى سهرك ورجع إليه خاضعاً فولاّه علىٰ إصطخر، كذا في كتاب الفتوح، وفي كتاب الخميس أن إصطخر فتحت بالسيف لا بالصلح، فقال: وفي سنة تسع وعشرين فتح أمير الجيش عبدالله بن عامر بن كريز مدينة إصطخر بعد قتال عظيم، فحلف ابن كريز: لئن ظفر بها ليقتلن بها حتى يسيل الدم من باب المدينة، فلما فتحها أسرف في القتل، والدم لا يجري، فقيل له: أفنيتهم فأمر بالماء فصُبَّ على الدم

فجرىٰ انتهىٰ، (مع فارس) أي حال كـون إصطخـر مـع بقيـة بلاد فـارس ومصاحبته لها في أنّها فتحت سنة تسع، وإنما قدرت المضاف على فارس، لأن إصطخر من أعظم مدن فارس، فلا يصحّ إخراجها منها، ومما فتحه ابن كريز من أرض فارس جورا وغيرها وفي الفتوح: ولمّا فتح ابن كريز إصطخر وما والاها بعث جيشاً أمّر عليهم مجاشع بن مسعود البصري إلى بلاد كرمان، ففتحها، ثم فتحوا (بعدها) أي بلاد فارس إقليم (خراسان جمع) بضم الجيم وفتح الميم تأكيد، والمدائن العظام لخراسان أربعة نيسابور، وهراة، وبلخ، ومرو وتفصيل بعض ذلك: أن ابن كريز لما فرغ من بلاد فارس خرج إلى بلاد خراسان، وعلى مقدمته الأحنف بن قيس التميمي، فسار إلى أن وصل إلى بلاد قُهُستان بضم القاف والهاء ناحية بخراسان بين هراة ونيسابور ففتحها كلها، ثم سار إلىٰ نيسابور فقاتل أهلها شهراً، وكان يبعث السرايا لإغارة قراها، وبعث ملك طوس إلى ابن كريز بالأمان، والمصير إليه للانتصار فأجابه إلى ذلك، فاجتمع مع ابن كريز لمحاصرة نيسابور فدام الحرب بينهم أياماً، فحلف ابن كريز أن لا يبرح عنها إلىٰ أن يفتحها أو يموت، ثم فتحها وأسر منهم وغنم وولّى عليها ملك طوس، وقيل فتحت نيسابور صلحاً وبه صرّح الناظم فيما بعد، ولمّا بلغ فتح نيسابورُ إلى بقية خراسان خافوا، وأرسلوا رسلهم إلى ابن كريز يسألونه الصلح، فأقبل إليه ملك الهراة فصالحه على ثلاثة آلاف ألف درهم كما في الفتوح، وفي الخميس: أنّ هراة استقبلوا ابن كريز فقاتلوهم فهزمهم، ويمكن الجمع بينهما فاعرفه، وصالحه أيضاً ملك سرخس على مائة ألف درهم وألف جريب حنطة وشعير، وبعث إليه ملك مرو بالصلح فصالحه ابن كريز على ألفي ألف درهم ومئتي ألف في السنة.

ثُمّـتَ فيهـا كثر الفتـوحُ　　فحُثِـي الأمـوال لا تـروحُ

(ثمت) بتاء التأنيث الحرفية كما مرّ إيضاحه (فيها) أي في سنة تسع وعشرين

وما بعدها إلى إحدى وثلاثين كما يدل عليه السياق والوفاق (كثر الفتوح) فبعث ابن كريز جيشاً أمّر عليهم ابن عمّه عبدالرحمن بن سمرة إلى بلاد سجستان ففتح منها زالق [فالق] وغيرها، وصالح أهل مدينة زَرَنْج بفتح الزاء والراء وسكون النون بعدها جيم قصبة سجستان على إعطاء ألفِ وصيفٍ مع كل وصيف جام من ذهب، ثم سار إلى مدينة كابل بضم الباء ناحية معروفة من الهند (٢٨٢)، وفتحها بعد قتال ومحاصرة سنةً، ثم أخبر عبدالرحمن عبدالله بن كريز بما فتح الله على يديه ففرح به، وبعث ابن كريز أيضاً الأحنف بن قيس إلى نواحي الجرجان وطخارستان في أربعة آلاف فارس، فاجتمع لحربه أهل تلك النواحي وقائدهم طوغان شاه، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انهزم المشركون.

وفي الخميس: فتح المسلمون في أشهر معدودة نحواً من عشرين مدينة، وفي سنة ثلاثين فتح سعيد بن العاص طبرستان بعد محاصرة انتهى، وفي سنة تسع وعشرين أيضاً فتح المسلمون أصفهان، ثم خلف ابن كريز الأحنف بن قيس على خراسان، وخرج من نيسابور محرماً بالحج من موضعه شكراً لله تعالى على هذه الفتوح، كما في الخميس وغيره فدخل مكة وطاف، ثم أتى وافداً على أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه بالمدينة، ولما سمع أهل مرو وغيرهم خروجه من أرض خراسان للحجّ اجتمع منهم أكثر من ثلاثين ألفاً، وبلغ ذلك الأحنف فأمر بالاجتماع، ثم سار بجيشه حتى نزل بالقصر الذي يعرف بقصر الأحنف، فالتقوا مع المشركين، واقتتلوا قتالاً شديداً، ثم حمل الأحنف على علج منهم فقتله، ثم على آخر فقتله، ثم انهزموا وقتل منهم أُلوف، وأخذ المسلمون غنائم عظيمة، ثم أقبل الأحنف إلى مدينة بلخ، فصالح أهلها على أربعمائة ألف درهم وخمسمائة جريب من الحنطة والشعير، ثم جعل الأحنف يفتح بلداً بلداً ويجمع أموالها ويبعث الخمس إلى عثمان رضي الله عنه، فكان الأحنف على طوائف خراسان إلى

(٢٨٢) بل هي عاصمة أفغانستان الحالية.

نهر بلخ، وعبدالرحمٰن بن سمرة على بلاد سجستان كذا في كتاب الفتوح، وقتل يزدجرد آخر ملوك الأكاسرة في خراسان بمرو كما في كتاب الخميس، وقد سبق أنه هرب في أيّام عمر رضي الله عنه إلى أقصىٰ مملكته، ثم إلى فرغانة من أقصىٰ بلاد خراسان، ويقال: أخذ المسلمون من خزائن كسرىٰ يزدجرد مائة ألف بدرة من الذهب وزن كل بدرة أربعة آلاف، ثم إن المدينة المشرفة صارت دار الأمان وقبة الإسلام يجيء إليها خراج الممالك من جميع النواحي، فأمر عثمان رضي الله عنه باتخاذ الخزائن [العظيمة] بالمدينة لتلك الأموال كما ذكره صاحب الخميس وإليه أشار الناظم بقوله (وحُثي) بالحاء المهملة والثاء المثلثة على البناء للمفعول أي رُمي ووضع على الأرض كحثىٰ التراب (الأموال) العظيمة التي تجتمع من الخمس المرصّد للمصالح حال كون تلك الأموال (لا تروح) أي لا تذهب ولا ترجع إلى مراح معين لعدم الخزائن لها، من راحت الإبل تروح أي رجعت إلى المراح، وفيما رأينا من النسخ: خشي بالخاء والشين المعجمتين علىٰ البناء للفاعل ولا يصح إلاّ بتكلّف فتأمّله.

فاتخذَتْ خزائنُ لأجلها وفرّقت في وقتها لأهلها
وكان يعطي مائة الألوف لواحد من غير ما وقوف
فاتسعت عليهم الأموال وبطرت من ذلك الجهّال

(فاتُخِذَت) في المدينة بأمر عثمان رضي الله عنه (خزائن) بالتنوين للوزن (لأجلها) أي لحفظها عن الضياع إلى وقت صرفها (وفرّقت في وقتها) أي في وقت الاحتياج إليها (لأهلها) من المستحقين (وكان) عثمان رضي الله عنه يقسم الأموال بين الناس (ويعطي ماله من الألوف) أي يعطي مائة ألف درهم كما في عبارة غيره من أهل السير (لواحد) من الأشخاص (من غيرما) زائدة (وقوف) لكثرة ما عنده من الأموال (فاتسعت عليهم) أي على الصحابة وغيرهم

(الأموال) والدنيا وكثرت حتى كادت الفَرَسُ تشترى بمائة ألف، وكان البستان يباع بالمدينة بأربعمائة ألف درهم (وبطرت) بوزن فرحت والبطر الطغيان بالنعمة، وكراهية الشيء من غير أن يستحق الكراهية (من ذلك) أي من كثرة الأموال وسعة الدنيا عليهم (الجهّال) أي الغافلون بالتمتع بالنعم عن شكر الله عزّ وجلّ المنعم بذلك، وهذا تعريض بأن مَن عاب على عثمان رضي الله عنه بأمور وقعت في خلافته، حتّىٰ أدىٰ ذلك إلى حصاره وذبحه كما يأتي، جهّال ظالمون، وسببه البطر بالنعمة، قال الذهبي في دول الإسلام:

ولمّا فتحوا أقاليم الدنيا واطمأنّوا بطر الناس بكثرة الأموال والخيل والنعم، فأخذوا ينقمون على خليفتهم عثمان رضي الله عنه لكونه يعطي المال لأقاربه، ويولّيهم الولايات الجليلة، ولأنه صار له أموال عظيمة وله ألف مملوك (٢٨٣) فهمّ الجهّال بعزله كما سيأتي تفصيله إن شاءالله تعالى.

سنة إحدىٰ غزوة الأساوِدَة … وفتح نيسابور بالمجاوِدَة
وفي اثنتين وغل ابن صخرِ … في الروم في البر وجوّ البحرِ

(سنة إحدىٰ) وثلاثين كانت (غزوة الأساودة) بفتح الهمزة وكسر الواو موضع في البحر كما في الخميس (و) فيها كان (فتح نيسابور) بفتح النون وسكون المثناة التحتية من أحسن مدن خراسان، وأجمعها للخيرات سميت بذلك لأن سابور لما رآها قال: يصلح أن يكون ههنا مدينة، وكانت قصباً، فأمر بقطع القصب وبناء المدينة، فقيل نيسابور، والنّيُّ القصب، وقد جمع الحاكم أبو عبدالله في تأريخ علمائها ثمان مجلدات (بالـمُجاوَدَة) أي المصالحة، وقد مرّ أن بعضهم قال: فتحت بالسيف وأن فتحها كانت سنة تسع، ويدل عليه قوله المذكور:

---

(٢٨٣) دول الإسلام (١/١٢) للذهبي.

خراسان جمع لأنها من مدن خراسان كما عرفت، ويمكن أن يقال: هذا فتح ثان لها لنقض عهدهم، أولاً إذ هم كانوا لقهر السيف يصالحون أهل الإسلام، وإذا رأوا فرحةً عادوا إلى ما كانوا عليه لضعف إسلامهم، وبهذا تيسر الجمع بين الاختلاف في أوقات الفتوح، لأن كثيراً مما فتح في زمن عثمان رضي الله عنه، قد قيل بفتحها في زمن عمر رضي الله عنه كما سبق (وفي) سنة (اثنتين) وثلاثين (وَغُل) من وغل في الشيء يَغِلُ وغولاً أي دخل وتوارىٰ، أي بعد وذهب، ويقال أيضاً: أوغل في البلاد أي ذهب وبالغ وأبعد (ابن صخر) أي معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية (في) غزو [غزوه] بلاد (الروم) مملكة واسعة وبلاد عظيمة وهم من نسل عيصو بن إسحٰق عليه السلام، وكانوا قديماً على دين الفلاسفة إلىٰ أن ظهر لهم دين النصارىٰ، ويسمّىٰ ملوكهم القياصرة، وهم من أكثر الناس عَدداً وعُدداً، وبلادهم بلاد بربر وهي كثيرة الخيرات (في البرّ) بدل من قوله: في الروم، فأوغل معاوية رضي الله عنه بجيشه في بلاد الروم حتى وصل إلى المضيق قرية قرب القسطنطينية، فكان بها وقعة مع الروم، وقيل: غزا معاوية رضي الله عنه القسطنطينية أيضاً ووغل أيضاً في بلاد سواحل الروم (وجوّ) أي داخل أو هواء (البحر) لفتح الجزائر فيه، والجو الهواء وداخل البيت وغيره، وبعث معاوية رضي الله عنه جيشاً أمّر عليهم حبيب ابن مسلمة الفهري إلى بلاد أرمينية كورة بالروم لمحاربة من بها من الفرس بأمر عثمان رضي الله عنه له بذلك، فلما وصل حبيب بجيشه إلى قرب شمشاط ونواحيها بلغه أنه أقبل رجل من الروم في نيف وثمانين ألفاً، فأخبر معاوية بذلك، فأخبر هو عثمان رضي الله عنه بذلك، فأمر عثمان رضي الله عنه عامل الكوفة وليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي أخا عثمان لأمه، أسلم يوم الفتح، أن يمدّهم بعشرة آلاف، وقيل: باثني عشر ألفاً، فأمدّهم الوليد بذلك، وأمّر عليهم سليمان بن ربيعة الباهلي، فهزم حبيب بن مسلمة جيش الكفار، قبل وصول جيش الكوفة إليهم، فطلبوا مشاركة أهل الشام في الغنيمة، وقالوا إنما غلبتم

بريحنا فأبى أهل الشام، وتنازعوا فأمر عثمان رضي الله عنه أن يشتركوا فيها فأطاعوا ثم أقام حبيب بن مسلمة في موضعه، وسار سلمان بن ربيعة بأمر عثمان رضي الله عنه إلى بلاد أرمينية، فصار يفتح بلداً بلداً حتى قتل فيها مع جميع جيشه بموضع يقال له الآن: قبور الشهداء كما في الفتوح، وفي الخميس: إن مما فتح سلمان بن ربيعة: بردعة من أرض آذربيجان، انتهى.

ثم سار حبيب بن مسلمة بعد مقتل سلمان بأمر عثمان رضي الله عنه إلى بلاد أرمينية ففتحها ثم عزله وولّى على تلك البلاد حذيفة بن اليمان، ثم عزله وولّى عليها المغيرة بن شعبة.

وفي ثلاث كان غزو قبرس أيضاً وقتل قارن بفارس
ثم بها أيضاً معاوية ملطية حصن المرأة أفرنطية

(في ثلاث) وثلاثين (كان غزو) المسلمين جزيرة (قبرس)(أيضاً) أي مرة ثانية إمّا لنقض العهد منهم أو لفتح تمام حصونها، وإليه يومىء كلام الخميس، وقد مرّ أن معاوية غزاها وفتحها بنفسه أوّلاً (و) فيها أيضاً كان (قتل قارن) المجوسي الذي جمع جمعاً عظيماً بأرض هراة، وأقبل إلى بلاد فارس في أكثر من أربعين ألفاً، وقام بأمر المسلمين عبدالله بن حازم السلمي، وسار إليه في أربعة آلاف فالتقوا فانهزم قارن وقتل (بفارس) وتمزّق جمعه وغنم المسلمون سبياً عظيماً وأموالاً، ثم تقرر ابن حازم على نيابة خراسان (ثم بها) أي في ثلاث وثلاثين (أيضاً غزا معاوية) ابن أبي سفيان (مَلَطْية) بفتح الميم واللام وسكون الطاء المهملة مدينة كانت من ثغور الروم، والآن في بلاد الإسلام كما قاله عزّ الدين الجزري، وفي القاموس: مليطية بسكون الطاء المهملة وتخفيف الياء بلد، وتشديد الياء خطأ، وغزا أيضاً (حصن ألـمَرَاةِ) بنقل حركة الهمزة إلى الراء وحذفها، لم أطلّع إلى الآن على مراده بذلك مع شدّة الفحص، ويحتمل أن يراد حصن مآرب

لأن المرآة اسم من أسماء مآرب ناحية باليمن[٢٨٤] وغزا أيضاً (افرنطية) وفي خلافة عثمان رضي الله عنه نقض الاسكندرية بالمغرب بقرب مصر عهدَهم، فغزاهم عمرو بن العاص ثانياً فقتل منهم وسبى، والاسكندرية من عجائب البلدان وفيها بنيان عجيب، ومنارة على أربعة أساطين طولها ثلاثمائة ذراع، وكان في القديم على تلك المنارة مرآة كبيرة صنعها بليناس الحكيم تلميذ أرسطو طاليس الحكيم، يطلّع بها على القسطنطينية، وبلاد الروم والأفرنج وعلى دمشق بالشام وهراة بخراسان وسمرقند وراء النهر وبروع بآذربيجان.

وابـــن أبي سرح بـلاد الحبـــش في أربع ذات الصواري في الحُرَّش

(و) عبدالله (بن) سعد بن (أبي سرح) ولاّه عثمان رضي الله عنه ولاية مصر، بعد أن عزل عنها عمرو بن العاص لشكاية أهل مصر منه مراراً كما عزله عمر رضي الله عنه لذلك، لكن عمر ردّه إلى مصر لما ظهر له كذبهم في شكايتهم، ولهذا يجاب عن اعتراض الخوارج عليه بتولية ابن أبي سرح بدله، على أن ابن أبي سرح، وإن ارتد في حياته ﷺ فأهدر دمه يوم الفتح، أسلم وصلح حاله، وفتح على يديه نواحي كثيرة، وكفاه فخراً أن عبدالله بن عمرو بن العاص قاتل تحت رايته ككثير من الصحابة، بل وجده أحسن سياسة من عمرو ابن العاص، ومن محاسنه: اعتزاله عن الفريقين لما قتل عثمان رضي الله، ولم يقاتل

(٢٨٤) قال العمري في شرحه: (حصن) بالنصب بدل من ملطية (المراة) مضاف إليه للحصن، وأصله المرأة فنقل حركة الهمزة إلى الراء وأبدلها ألفاً كما في راس وباس وقوله (افرنطية) بكسر الهمزة وسكون الفاء وفتح الراء بعدها نون ساكنة فمهملة فياء مخففة بدل من المراةِ، لأن صاحبة ملطية امرأة من الأرمن كانت تسمى إفرنطية.

ثم عرض بالمصنف فقال: ولبعض الناس هنا كلام يفضي إلى العجب، وما ذكرناه هو المراد.

مسلماً بعد قتاله المشركين، فسار عبدالله بن أبي سرح بجيشه إلى المغرب وغزا (بلاد الحبش) بفتحتين كالحبشة جنس من السودان وجمعه الحُبْشان كحمل وحملان كما في الصحاح، وهي بلاد واسعة جداً وأكثرهم نصارى، وكان النجاشي بها كما سبق، ولما وصل ابن أبي سرح قرب مدينة القيروان بفتح القاف بلد بافريقية بالمغرب التقى مع الكفار، وهم نحو مائتي ألف وملكهم جِرجِر فاقتتلوا ونزل النصر، فانهزم الكفار، وقتل جرجر، وكانت وقعة عظيمة هائلة بحيث طلع سهم الفارس من الغنيمة ثلاثة آلاف دينار، وغزا ابن أبي سرح أيضاً (في) سنة (أربع) وثلاثين غزوة (ذات الصواري) جزيرة في البحر وتبعث في شرح هذه العبارة صاحب كتاب الخميس وعبارته: وغزا ابن أبي سرح نائب مصر الحبشة فأخذ بعضها وغزا غزوة الصواري موضع في البحر وقوله: (في الحرّش) إما بضم الحاء وفتح الراء المشددة جمع حارش من حرش الضب أي صاده، أو من حرشه أي خدشه، ومنه تحارش الكلاب أي تهاوشت فيكون وصفاً لها باعتبار أصلها وصف ذم أو مدح لهم بالشجاعة والقوة، وإمّا بفتح الحاء والراء المخففة بمعنى الخشونة، فيكون وصفاً لها بذلك الاعتبار للمبالغة، أو على حذف المضاف على قياس زيد عدل وهو على الوجهين تتميم للبيت، وذكر صاحب كتاب الفتوح من جملة ما فتحه معاوية جزيرة صقلية وروميه الكبرى، وقسطنطينية، وكانت جزيرة صقلية واسعةً حصينة مسيرة أيام طولاً وعرضاً، وفيها عيون عذبة وذروع وأشجار رخيصة الأسعار، واسعة الأرزاق، ومرساها أعجب المراسي البحرية، وبها مدينة عتيقة أنيقة تعرف بخضرة الصقلية، فيها كنيسة تعرف بكنيسة الأبطال، قد رصعت كلها بفصوص الذهب، وفي حيطانها أشجار من الفصوص الخضر، وللكنيسة صومعة مرفوعة على سواري من الرخام الملوّن، ولها قبة علية نظم أعلاها بالشمسات المذهبات من الزجاج فتسمّى بصومعة السواري، فهي أعجب ما يكون من البنيان، فلما أراد معاوية المسير إليها أسرع المسلمون في أخذ أهبتهم، فسار بهم إلى ساحل البحر، ونزلوا في

ثلاثمائة مركب ورفعوا المراسي واقتحموا اللجة، وبلغ ذلك صاحب صقلية، فأغضبه ذلك لاستبعاده وصول العرب إلىٰ مثل ما هنالك، فجمع جمعاً عظيماً لحرب المسلمين، فحصل بين الفريقين مراسلات ومراجعات يطول ذكرها، ثم اقتتلوا ونزل النصر، فهزمهم المسلمون وفتحوها، وغنموا غنائم عظيمة انتهى ملخصاً.

قلت: ويشبه أن يكون مراد الناظم بذات الصواري هذه الجزيرة، لأن صومعتها تسمّىٰ صومعة السواري كما علمت، ويكون ذات وصفاً للصومعة، فيكون من ذكر الجزء وإرادة الكل، وهي مجموع الجزيرة إلاّ أنّ المانع من ذلك أمران، أحدهما: أنّ سوق كلامه يدل كنص كلام الخميس، على أنّ فاتح ذات الصواري ابن أبي سرح، وقد علمت من كلام الفتوح: أن فاتح صومعة السواري معاوية، ويمكن أن يجاب بصرف النظم عن ظاهره، ويقرأ ذات فيه بالرفع فيكون إخباراً بفتحها في أربع وثلاثين مع قطع النظر عن فاتحها، أو بأن يحمل كلام الفتوح علىٰ المرجوح، وثانيهما أن ذات الصواري بالصاد، وصومعة السواري بالسين، ويمكن أن يجاب بأن التغيير من النساخ، أو بأن السين كثيراً ما يقلب صاداً، حتىٰ قيل: لا يصلح الصاد في محل إلاّ ويصلح فيه السين غالباً، فعلىٰ هذا تكون لفظة ذات الصواري واضحة والله أعلم.

هذا آخر ما أردنا ايراده من شرح هذه الفتوحات متحرياً أوجز العبارات، منتخباً من الكتب المعتبرة مكتفياً بالإجمال عن التفصيل لأنه الحريّ بالمغازي وعليه التعويل، كيف؟ وقد قال الإمام أحمد رضي الله عنه: إن كتب المغازي من الكتب التي لا أصل لها، لكن قال الخطيب في جامعه: كلامه محمول على كتب مخصوصة في هذا الفن، لا يعتمد عليها لعدم عدالة ناقلها. قال الشافعي رضي الله عنه: كتب الواقدي في المغازي كذب، ومن أشهر كتب المغازي: كتب محمد ابن اسحق، إلاّ أنه يأخذ عن أهل الكتاب، وليس في المغازي أصح من مغازي موسىٰ بن عقبة انتهىٰ.

[فائدة] مات في خلافة عثمان رضي الله عنه جماعة أكابر أجلاّء ، منهم:

حكيم الأمة وعالم الشام أبو الدرداء الأنصاري ، آخىٰ ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي ، وكان أبو الدرداء مقرىء دمشق وقاضيهم ، يهابه معاوية ويتأدب معه ، مات بدمشق ، ومنهم عبدالرحمن بن عوف ، ومنهم العباس رضي الله عنه كما مرّ ، ومنهم أبو سفيان بن صخر بن حرب ابن عمّ عثمان رضي الله عنه ، وكان أعمى كما مرّ في وقعة اليرموك ، ومنهم ابن مسعود خادمه ﷺ وصاحب نعليه كما مرّ أقام بالكوفة متولياً على بيت المال وتفقه بطائفة ، وقدم في آخر عمره إلى المدينة ومات بها ، وصلّىٰ عليه عثمان رضي الله عنهما قيل : إنه خلّف تسعين ألف دينار ، وكان قصيراً جداً .

ومنهم : أبو ذرّ الغفاري أحد السابقين ، كان من أكابر العلماء والزهاد ، كبير الشأن ، كان عطاؤه في السنة أربعمائة دينار ، وكان لا يدخر شيئاً ، مات بالربذة كما مرّ .

ومنهم كعب الأحبار بن [ماتع] وهو من حمير ، كان يهودياً أدرك زمنه ﷺ ولم يره ، أسلم في خلافة أبي بكر وقيل في خلافة عمر رضي الله عنهما ، وكان يسكن باليمن وقدم المدينة ،ثم خرج إلى الشام فسكن حمص وتوفي بها كما في الصفوة لابن الجوزي وغيره .

ومنهم المقداد بن الأسود من البدريين ، ومنهم أبو طلحة الأنصاري شهد بدراً ، وكان أكثر الأنصار مالاً يضرب بشجاعته المثل ، ومن ثم استلب عشرين يوم حنين ، كما مرّ توفي بالمدينة على الاصح .

سنـــــة خمس وثلاثين الحصر عثمان ظلماً وابتلاؤهُ حصر

ومنهم عبّادة بن الصامت أحد النقباء (سنة خمس وثلاثين) كما في الاستيعاب

لابن عبدالبر وغيره (انحصر) في داره مع ستمائة رجل من أتباعه (عثمان) الخليفة رضي الله عنه (ظلماً) بشهادة النبيّ ﷺ له بذلك، وبكونه مظلوماً يوم قتله، وأنه على الهدى كما رواه الترمذي وغيره، و[قد] مرّ: أن الجهّال لما بطروا باتساع الدنيا عليهم تكلّموا في خليفتهم بأنه لا يصلح للخلافة، وهمّوا بعزله ونقموا عليه أموراً، بعضها مختلق صرف، وبعضها له تأويل صحيح مذكور في المطوّلات منها:

توليته عبدالله بن أبي سرح، وعزله عمرو بن العاص، وكذا عزله أبا موسى الأشعري، وقد عرفت جوابها ومنها: أنه نفى أبا ذرّ إلى الربذة، وردّ عمّه الحكم بن أبي العاص إلى المدينة، وقد نفاه ﷺ إلى الطائف، والجواب عن الأول: أن أبا ذر كان يزهد الناس في الدنيا، ويفرقهم عن عثمان، ويغلظ الكلام في وجهه. وعن الثاني: أن ردّه كان بإذن منه ﷺ في حياته كما قاله غير واحد.

ومنها: أنه كان يعطي أموالاً كثيرة لأقاربه، ويوليهم الولايات العظيمة، والضابط في الجواب أنّ كل ما فعله عثمان رضي الله عنه من ذلك كان على اجتهاد منه، وعلى جهة المصلحة، فإن أصاب في ذلك فله أجران، وإن أخطأ فله أجر، فلا اعتراض عليه بوجه، كيف؟ وقد شهد له الصادق بأنه الإمام الحق، وأنه يقتل مظلوماً، وأنه من أهل الجنّة، وأن الذين يريدون خلعه عن الإمامة مارقون كما ثبت ذلك كله في الأحاديث(٢٨٥).

(وابتلاءه) الذي أخبر به الصادق ﷺ (حضر) فقد أخبر ﷺ بقتله ظلماً في أحاديث منها: الحديث الصحيح أنه ﷺ ذكر فتنة، فمرّ رجل فقال ﷺ: [يقتل هذا فيها يومئذ ظلماً] قال ابن عمر رضي الله عنهما راوي الحديث:

(٢٨٥) ينظر في هذا الموضوع كتاب العواصم من القواصم لابن العربي فإنه أحسن كتاب في هذا الموضوع.

فنظرت فإذا هو عثمان رضي الله عنه [٢٨٦] وفي سيرة مغلطاي: حاصره الكوفيون وعليهم مالك الأشتر النخعي، والمصريون وعليهم عبدالرحمن بن عديس وعمرو ابن الحمق وسودان بن حمران ومحمد بن أبي بكر انتهى.

وقال ابن خلكان: قدم المدينة مالك الأشتر النخعي في مائتي رجل من أهل الكوفة ومائة وخمسين من أهل البصرة رئيسهم حكيم بن جبلة العبدي وستمائة رجل من أهل مصر كلهم مجمعون على خلع عثمان من الخلافة، فبعث إليهم المغيرة ابن شعبة وعمرو بن العاص ليدعوهم إلى كتاب الله وسنة رسوله، فردّوهما ولم يسمعوا كلامهما، فبعث علياً كرّم الله وجهه إليهم فردّهم إلىٰ ذلك، وضمن لهم ما يعدهم به عثمان، وكتبوا علىٰ عثمان كتاباً بإزاحة علتهم والسيرة فيهم بكتاب الله عزّ وجلّ وسنّة رسول الله ﷺ، وأخذوا عليه عهداً بذلك، واستشهدوا علىٰ عليّ أنه ضمن ذلك، ثم اقترح المصريون علىٰ عثمان رضي الله عنه عزل عبدالله بن أبي سرح وتوليته محمد بن أبي بكر بدله، فأجابهم إلى ذلك وولاّه، فافترق الجمع كل منهم إلى بلده، فلما وصل المسلمون [المصريون] إلى أيلة وجدوا رجلاً علىٰ نجيب لعثمان ومعه كتاب مختوم بخاتم عثمان على لسانه: إلىٰ عبدالله بن أبي سرح بقتل محمد بن أبي بكر وفلان وفلان، ورفعهم إلى جذوع النخل، فرجع المصريون والبصريون والكوفيون لما بلغهم ذلك، وأخبروه الخبر، فحلف عثمان: أنه ما فعل ذلك ولا أمر به، فقالوا: هذا أشدّ عليك، يؤخذ خاتمك ونجيب من إبلك وأنت لا تعلم، وما أنت إلا مغلوب على أمرك، ثم سألوه: أن يعتزل فأبىٰ فاجتمعوا على حصاره كما قال الناظم رحمه الله.

ولم تـزل جهّـال مصر تحصر حتىٰ عليـه الدار هجماً عبروا

---

(٢٨٦) رواه الترمذي (٣٧٠٨).

(ولم تزل جهّال مصر) وكذا جهّال الكوفة والبصرة كما عرفت، وإنما اقتصر على جهّال مصر لكونهم أعظم الفرق الثلاثة وأشدهم عليه (تحصر) أي تحبس عثمان بمن معه في داره عن الخروج، وضيّقوا عليه ليخلع نفسه عن الخلافة، أو يعطيهم مروان، ومنعوه من الصلاة في المسجد، ومدة حصاره أربعون ليلة وفي رواية: أكثر من عشرين.

وكان طلحةُ، وفي رواية علي يصلي بالناس في هذه المدة، وامتدّ حصاره حتىٰ عزموا قتله فتسوروا الجدار ونقبوه فدخلوا عليه بغتةً كما أشار إليه بقوله: (حتىٰ عليه) متعلق بقوله: هجما علىٰ رأي بعض المحققين من جواز تقديم معمول المصدر عليه إذا كان ظرفاً و(الدار) مفعول قوله: عبروا و(هجما) مصدر هجم عليه أي دخل بغتةً وبغير إذن، وقوله (عبروا) من غير السبيل أي شقه وقطعه والتقدير: حتىٰ عبروا الدار وشقوا جدارها هجماً عليه، والأولىٰ أن يجعل عليه متعلقاً بعبروا على التضمين أي عبروا الدار متسورين ومتسلقين عليه هجماً، والذين هجموا عليه ثلاثة: محمد بن أبي بكر ورجلان آخران وإنما نسب العبور إلى الجميع لتسببهم في ذلك، أو من ذكر الكل وإرادة البعض، وهكذا قوله:

فذبحوه تالي القرآن ... بين يديه المصحف العثماني
وقت صلاة الظهر يوم الجمعة ... ثامِنَ عشر قد مضىٰ في الحجة

(فذبحوه) حال كون عثمان الشهيد رضي الله عنه (تاليَ القرآن) (بين يديه المصحف) الذي اتخذه لنفسه ليقرأ فيه خاصة، وإليه أشار بقوله: (العثماني) بتخفيف الياء أي المنسوب إلى عثمان، وكتب رضي الله عنه مصاحف أخر بعثها إلى أمهات بلاد الإسلام كما فُصِّلَ في محله، يقال لها أيضاً: المصاحف العثمانية، فاستشهد رضي الله عنه في الدار بين يديه المصحف، ونضح الدم هذه الآية: ﴿فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾ وفي الشفاء أنه ﷺ قال: يقتل عثمان وهو

يقرأ في المصحف، وأنه يسيل دمه على قوله: فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم، (وقت) ظرف فذبحوه (صلاة الظهر يوم الجمعة ثامن عشر قد مَضت [مضى] في الحجة) أي من شهر ذي الحجة كما في الاستيعاب وغيره، والأصح أنه قتل في أوسط أيام التشريق، ومن ثم قال حسّان رضي الله عنه:

ضحّوا أبا شمط عنوان السجود له ... يقطّع الليل تسبيحاً وقرآنا

وعمره بضع وثمانون سنة على خلاف طويل فيه، وصلّى عليه الزبير لوصيته له بذلك، واختلفوا فيمن باشر قتله بنفسه: أخرج ابن عساكر عن جمع أن قاتله رجل من أهل مصر أزرق أشقر يقال له حمار، وقيل: مالك الأشتر النخعي، وقيل: سودان بن حمران، وقيل: جبله بن الأيهم من المصريين، وقيل: رومان وقيل: سودان بن رومان، وقيل: غير ذلك، وقال الذهبي في دول الإسلام: لما طارت الأخبار بقتل الشهيد عثمان رضي الله عنه حزن عليه المسلمون، ولاسيما أهل دمشق، وأتى البريد بثوبه بالدماء فنصب على منبر دمشق ونعاه معاوية إلى أهلها فتعاقدوا على الطلب بدمه وكانوا ستين ألفاً (٢٨٧) فلما وقع يوم الجمل وسمعوا بذلك تحرك جيش الشام إلى عليّ، فوقعت صفّين انتهى، وسيأتي تفصيل ذلك.

فأنزل الله عليهم لعنه ... إذ كان ذا أول كل فتنة

(فأنزل الله عليهم لعنه) دعاء من الناظم على قاتليه، أو إخبار، وورد أن عامة الّذين ساروا إلى عثمان رضي الله عنه جنّوا (إذ كان ذا أول كل فتنة) وبلاء على الأمة بعد نبيّهم، أخرج ابن عساكر عن حذيفة صاحب رسول الله

(٢٨٧) دول الإسلام (١/١٤).

ﷺ في علم الفتن والملاحم والوقائع بعد وفاة رسول الله ﷺ أنه قال: أول الفتن قتل عثمان، وآخرها خروج الدجال، والذي نفسي بيده لا يموت رجل وفي قلبه مثقال حبّة من حبّ لقاتل عثمان إلاّ تبع الدجال إن أدركه، وإن لم يدركه آمن به في قبره.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء، وصحّ عن عليّ أنه قال: يوم الجمل: اللهم أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسي وجاؤوني للبيعة فقلت: والله إني لأستحيي من الله عزّ وجل أن أبايع وعثمان لم يدفن بعد فانصرفوا، فلما رجع الناس فسألوني البيعة قلت: اللهم إني أشفق مما أقدم عليه، ثم جاءت عزيمة فبايعت، فقالوا: يا أمير المؤمنين فكأنما صدع قلبي، وقلت: اللهم خُذ منّي لعثمان حتىٰ ترضىٰ، وقال كرّم الله وجهه أيضاً كما أخرجه ابن عساكر: إن بني أميّة يزعمون أني قتلت عثمان، ولا، والله الذي لا إلّه إلاّ هو ما قتلت ولا ماليت، ولقد نهيت فعصوني.

وأخرج عبدالرزّاق عن عبدالله بن سلام: كان يدخل علىٰ محاصري عثمان فيقول: لا تقتلوه، فوالله لا يقتل رجل منكم إلاّ لقى الله تعالىٰ أجذمُ لا يدّ له، وإن سيف الله لم يزل مغموداً، وإنّكم إن قتلتموه ليسلّه الله ثم لا يغمد عنكم أبداً، وما قتل نبيّ قط إلاّ قتل به سبعون ألفاً، ولا خليفة إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفاً قبل أن يجتمعوا. واعلم أنه ورد في بيان قتله رضي الله عنه والأشياء التي نقموها منه روايات، وأصحها: ما رواه الأئمة عن ابن شهاب الزهري قال قلت لسعيد بن المسيب: هل أنت مخبري عن كيفية قتل عثمان ولِـمَ خَذَلَهُ أصحاب محمد ﷺ؟ فقال: ما حاصله:

قتل عثمان مظلوماً، وقاتله ظالم، ومن خَذله من الصحابة كان معذوراً، لأنه لما ولّى [الناس] اثنىٰ عشرة سنة رضوا عنه ست سنين وفرحوا به أكثر من

فرحهم بعمر للينه وشدّة عمر رضي الله عنهما، ثم في الستة الأخيرة وقع في نفوسهم شيء، لأنه ولّى فيها أقاربه وأهل بيته ممن ليست له صحبة جميع الأعمال، وأعطاهم الأموال معتقداً أنّ ذلك من صلة الرحم، ففعل أمراؤه ما أنكره الصحابة وشكوا إليه، فلم يعزلهم لحسن ظنّه بهم ومبالغته في توصيتهم بتقوىٰ الله عزّ وجلّ، وانضم إلى ذلك ما كان منه إلى عبدالله بن مسعود وإلى أبي ذرّ وإلى عمّار بن ياسر مما أوجب غضب قبائل هٰؤلاء الثلاثة لأجلهم، فغضب لابن مسعود هذيل وبنوزهرة ولأبي ذرّ بنو غفّار ولعمّار بنو مخزوم، وجاء أهل مصر يشتكون إليه أميرهم عبدالله بن أبي سرح، فكتب إليه كتاباً يهدّده، فلم يزدد إلاّ طغياناً، وضرب بعض من شكاه فقتله، فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل فنزلوا المسجد الشريف وشكوا إلى الصحابة، فكلّم طلحة عثمان بكلام شديد، وكذلك عائشة، وعلي وغيرهم وأشاروا عليه بعزل ابن أبي سرح والانتقام منه بالحقّ، فقال: اختاروا رجلاً، فأشاروا عليه بتولية محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما ففعل، وخرج معه عدد من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبي سرح، فلما كانوا علىٰ مسيرة ثلاثة أيام من المدينة، رأوا غلاماً على بعير مجدٍّ يخبط الأرض خبطاً كأنه يَطلُب أو يُطلَب، فقالوا له: ما قصدك [قصتك] قال: أنا غلام أمير المؤمنين إلى عامل مصر، فقيل له: هذا عامل مصر هنا، فقال: غير هذا أريد، فأمر محمد بن أبي بكر بإحضاره وسأله فقال مرةً أنا غلام أمير المؤمنين، وأخرىٰ قال: أنا غلام مروان، ثم سأله عن مكتوب أرسل به فأنكره، ففتّشوه فلم يجدوا شيئاً، وكان معه إداوة قد يبست فيها شيء يتغلغل فشقوها فرأوا كتاباً من عثمان إلى ابن أبي سرح، فجمع محمد الصحابة وغيرهم، وفك ختم الكتاب بحضرتهم، فإذا فيه: إذا أتاك محمد وفلان وفلان فاحْتَلْ في قتلهم وأبطل كتابه، وقرّ على عملك حتى يأتيك رأيي واحبس من يجيء يتظلم منك، ففزعوا، وختم الكتاب محمد بخواتيم نفر معه، ودفعه لرجل منهم ورجعوا إلى المدينة، فجمعوا طلحة والزبير وعلياً وسعداً وبقية الصحابة

رضي الله عنهم، ثم فضّوا الكتاب وأقرأوه عليهم وأخبروهم بقصة الغلام، فلم يبق أحد من أهل المدينة إلاّ حنق على عثمان، وزاد ذلك أولئك القبائل الثلاث غيظاً، فحاصر الناس عثمان وأجلب عليه محمد بن أبي بكر بني تميم وغيرهم فدخل عليه عليّ ومعه أهل بدر بالكتاب والغلام والبعير، وسألوه عن ذلك، فاعترف بأن الغلام والبعير والخاتم له، ثم أكّد في الحلف أنه لم يكتب هذا الكتاب ولا أمر به ولا علم به، فبرّوه وعرفوا أنه لا يحلف بالله كاذباً لأنه لم يكذب منذ أسلم، وعلموا أن الخطّ خط مروان، إلاّ أنّ قوماً قالوا: لا يبرأ عثمان من قلوبنا إلاّ أن يدفع إلينا مروان لنعرف حال الكتاب، وكيف يأمر بقتل رجلين من أصحاب محمد ﷺ، فأبى أن يدفعه إليهم خوفاً من القتل، وإيثاراً على نفسه الشريفة، فخرج الصحابة من عنده غضاباً ولزموا بيتهم فاشتدّ حصار أهل مصر ومن تبعهم من الأخلاط له حتى منعوه الماء، فأشرف على الناس، فقال: أفيكم عليّ فقالوا: لا، قال: أفيكم سعد، قالوا: لا، ثم قال: ألا أحد يبلغ عليّاً فيسقينا ماءً، فبلغ ذلك علياً فأرسل إليه ثلاث قرب فلم تصل إليه إلاّ بعد أن جرح بسببها كثير من موالي بني هاشم وبني أمية، ثم بلغ علياً أنهم يريدون قتل عثمان فغضب وقال: إنما أردنا منه مروان، وأمّا قتل عثمان فلا، ثم أمر الحسنين أن يقفا بسيفيهما على بابه، ولا يدعا أحداً يصل إليه، وبعث أيضاً عدةٌ من الصحابة أبناءهم لذلك، فكرر الناس عليه طلب مروان فأبى أن يخرجه إليهم فرموه بالسهام، فأصاب بعضها وجه الحسن فخضبه بالدماء وهو على بابه، وكذا خضب محمد بن طلحة وشجّ قنبر مولى علي، فخشي محمد بن أبي بكر غضب بني هاشم للحسن لو رأوا الدم على وجهه، وأن ينكشف الناس عن عثمان لغضبهم، فأخذ بيد رجلين وتسوّروا عليه من دار أنصاري حتى دخلوا عليه من غير أن يعلم بهم أحد ممن كان معه في داره، لأن كل من كان معه كانوا فوق البيوت، ولم يكن معه إلا امرأته، فمنع محمد صاحبيه حتى تسترت امرأته، فلما دخل ذهب فأخذ بلحيته فقال له: لو رآك أبوك لساءه مكانك منّي، فتراخت يده ودخل

الرجلان عليه فذبحاه، وخرجوا هاربين من حيث دخلوا، فصاحت امرأته فلم يسمع صوتها، فأشرفت على الناس فأخبرتهم بقتله، فبلغ ذلك الخبر علياً وطلحة والزبير وسعداً وغيرهم، فخرجوا وقد طاشت عقولهم لذلك الخبر حتى دخلوا عليه فوجدوه مقتولاً فاسترجعوا، فقال عليّ لابنيه كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ورفع يده فلطم الحسن وضرب صدر الحسين، وشتم محمد بن طلحة وعبدالله بن الزبير، وخرج وهو غضبان حتى أتى منزله، وجاء الناس يهرولون إليه، فقالوا له: نبايعك فمدّ يدك فلا بد للناس من أمير، فقال كرّم الله وجهه ليس ذلك إليكم، إنما ذلك لأهل بدر، فأتاه أهل بدر فقالوا: أنت أحق بها مدّ يدك نبايعك، فمدّ يده فبايعوه، وهرب مروان وولده، وجاء عليّ إلى امرأة عثمان فقال لها: مَن قتل عثمان؟، قالت: لا أدري، دخل عليه رجلان لا أعرفهما، ومعهما محمد بن أبي بكر، فدعا علي محمداً فقال له: لم تكذب زوجته والله دخلت عليه مريداً قتله فذكرني أبي فقمت عنده، وأنا تائب إلى الله عزّ وجلّ والله ما قتلته ولا أمسكته، فقالت زوجته: صدق ولكنه أدخلهما، انتهى(٢٨٨). وسيأتي ما ترتب على هذه الفتنة.

(ذكر ما كان في فضل ذي النورين ومناقبه رضي الله عنه)

مَن مثل عثمان الزكيِّ الطاهرِ تالي القرآن للبلاء صابرِ

(من مثل عثمان) أي لا أحد مثله في الفضل بعد الشيخين كما عليه الجمهور، كيف؟ وهو (الزكيّ) سيرته (والطاهر) سريرته وعلانيته، فالوصفان مرفوعان لقطعهما عن المنعوت، ويجوز نصب الأول، وجرّهما على الأصل، ومن زكاء سيرته رضي الله عنه: أنه لم يضع يمينه على فرجه، منذ بايع بها رسول الله ﷺ

---

(٢٨٨) إن غالب ما ورد في هذه الرواية كذب فليراجع كتاب العواصم من القواصم.

ولا زنىٰ ولا سرق، جاهليةً ولا إسلاماً كما في حديث ابن عساكر (تالي القرآن) بنقل حركة الهمزة إلى الراء وحذفها للوزن أي في أكثر أوقاته، وهو أول من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ كما رواه ابن عساكر (للبلاء) أي لوقت نزوله أو عليه (صابر).

أخرج ابن عساكر عن عبدالرحمٰن بن المهدي قال: خصلتان لعثمان ليستا لأبي بكر ولا لعمر رضي الله عنهم صبره على نفسه حتىٰ قتل، وجمعه الناس على المصحف. وأخرج أحمد رضي الله عنه عن المغيرة بن شعبة أنه دخل على عثمان وهو محصور، فقال له: إنك إمام العامة وقد نزل بك ما ترىٰ، وإني أعرض عليك خصالاً ثلاثاً اختر إحداهنّ، إما أن تخرج فتقاتلهم ونحن معك وأنت على الحق وهم علىٰ الباطل، وإمّا أن تخرق لك باباً سوىٰ الباب الذي هم عليه، فتركب راحلتك وتلحق بمكة، فإنهم لم يستحلوك وأنت بها، وإمّا أن تلحق بأهل الشام ففيهم معاوية، فقال عثمان رضي الله عنه: أمّا أن أخرج فأقاتل، فلن أكون أول من خلف رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء، وأما أن أخرج إلى مكّة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُلحد رجل من قريش بمكة عليه نصف عذاب العالم فلن أكون أنا»، وأمّا أن أخرج إلى الشام فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله ﷺ (٢٨٩).

عــاليّ المقــام زوجَ الابنتين ... من أجل ذا سمّي ذا النوريـن
يكفيــه أن المصطفــى أخبره ... بهذه البلــوىٰ كما بشّـــره

(وروي نحوه عن عليّ كرّم الله وجهه، وأنه القائل له ذلك وهو رضي الله عنه (عالي المقام) والهمة شريف النفس، ذو حياء عظيم يستحيي منه الملائكة،

---

(٢٨٩) رواه أحمد (١/٦٧).

روي عن شرحبيل بن مسلم أنّ عثمان رضي الله عنه كان يطعم الناس طعام الإمارة ويدخل بيته فيأكل الخبز والزيت، وعن الحسن رضي الله عنه قال: رأيت عثمان يقيل في المسجد وهو يومئذ خليفة ثم يقوم وأثر الحصى في جنبه، ومما يدلّ على علو مقامه أنه: (زوّج الابنتين) أنكحه رسول الله ﷺ ابنته رقية، فماتت والنبيّ ﷺ ببدر، ولذلك خلّفه لها، وضرب له بسهمه، وجعله من أهل البدر كما مرّ، لأنه إنما تخلّف طاعةً لله ولرسوله، ثم أنكحه أم كلثوم فماتت في السنة التاسعة من الهجرة، ولما ماتت قال ﷺ: «زوجوا عثمان لو كان لي ثالثة لزوجته، وما زوجته إلاّ بوحي من السماء» أخرجه الطبراني(٢٩٠).

وأخرج ابن عساكر عن عليّ كرّم الله وجهه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعثمان: «لو أنّ لي أربعين ابنة زوجتك واحدةً بعد واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة» (من أجل ذا) المذكور من نكاح الابنتين له (سمّي عثمان) رضي الله عنه (ذا النورين) قال الأئمة: ولا يعرف أحد تزوّج بنتي نبي غيره، ولذا سمّي ذا النورين.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما زوّج النبيّ ﷺ عثمان رضي الله عنه بنته أم كلثوم قال لها: «إن بعلكِ أشبه الناس بجدي إبراهيم وأبيك محمد» ﷺ أخرجه ابن عدي(٢٩١). (يكفيه) شرفاً وفضلاً (أنّ) النبيّ (المصطفى) المختار على الخلق ﷺ (أخبره بهذه البلوى) أي الفتنة المذكورة، وأنه يقتل ظلماً كما مرّ.

بجنّــة المأوى وبــالشهـــادة ما بعده ذا فضل ولا سعـادة

---

(٢٩٠) رواه الطبراني في الكبير (ج١٧ رقم٤٩٠) من حديث عصمة بن مالك الخطمي، وفي إسناده الفضل بن المختار وهو ضعيف.

(٢٩١) رواه ابن عدي في الكامل (١٧٨٤/٥) وفي إسناده عمرو بن الأزهر العتكي وهو متروك.

ألم يكـن جهّـز جيش العسرة — من ذهـب هـو مـآت عشرة
جـاء بها جميعهـا فصبهـا — في وسط حجر المصطفى وكبها

(كما بشّره بجنة المأوىٰ وبالشهادة ما بعد ذا) أي ليس بعد [بعد ماذلك من البشارات] ما ذكر من الشهادة بكونه من أهل الجنّة وكونه شهيداً (أفضل ولا سَعَادَة) لأن البشارة بما ذكر تتضمن جميع الفضائل والكمالات.

روى البخاري عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه أنه كان مع النبيّ ﷺ في حائط من حيطان المدينة فجاء رجل يستفتح فقال ﷺ: «افتح له وبشّره بالجنّة» فإذا أبو بكر ففتحت له وبشّرته بالجنّة، ثم استفتح رجل آخر فقال له: «افتح وبشّره بالجنة» ففتحت له فإذا عمر وبشّرته بالجنّة، ثم استفتح رجل آخر وكان ﷺ متكئاً فقال: «افتح له وبشّره بالجنة على بلوىٰ تصيبه» فإذا هو عثمان، ففتحت وبشّرته بالجنة وأخبرته بالذي قال، قال: الله المستعان (٢٩٢).

وعن أنس رضي الله عنه: أن النبيّ ﷺ: صعد أُحُداً فتبعه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فرجف بهم أحد فقال ﷺ: «اسكن فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان» (٢٩٣) والأحاديث في معنى هذين الحديثين كثيرة شهيرة، (ألم يكن) عثمان رضي الله عنه (جهّز) أي هيّأ ما يقيم (جيش العُسرة) أي جيش غزوة تبوك كما مرّ إيضاحه، ووجّه تسمية جيشها بذلك (من ذهب هو مئاتٌ) بالتّنوين (عشرة) بيان لعدد المئات فيكون ألف دينار (جاء) عثمان رضي الله عنه في غزوة تبوك (بها) أي بتلك المئات العشر، وفي رواية: أتىٰ عثمان رضي

(٢٩٢) رواه البخاري (٣٦٧٤ و٣٦٩٣ و٣٦٩٥ و٦٢١٦ و٧٠٩٧ و٧٢٦٢) ولفظه لفظ رواية البخاري الثانية.

(٢٩٣) رواه البخاري (٣٦٧٥ و٣٦٨٦ و٣٦٩٩) وأقرب رواية للبخاري وهي الأخير تقرب من رواية المصنف ونصّها: صعد النبي أحدا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف، فقال: «أسكن أحد ـ أظنه ضربه برجله ـ فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان».

الله عنه بعشرة آلاف (جميعها) تأكيد للضمير المجرور (فصبّها في وسط) بسكون السين (حجر) بتثليث الحاء وسكون الجيم حصنن الإنسان (المصطفى) ﷺ (وكبّها) من كب الشيء أي قلبه، والمعنى قلبها عثمان رضي الله عنه من كمّه إلى حجره ﷺ فهو بمعنى فصبّها، والأحسن نظراً إلى المعنىٰ أن يرجع المستتر في كبّ إلى النبي ﷺ، والمعنى: أنه أدخل يده فيها وقلبها في حجره ناظراً إليها شكراً.

فقـال عنـه مخبراً للقـوم ... ما ضرّ ما عمـل بعـد اليوم
وبات طول الليل شكـراً منـه ... ربّ رضيت عنه فارض عنـه
وحط في تبـوك عنـد الشدة ... ألـف بعير كـاملات العـدة

(فقال) ﷺ: (عنه) متعلق بقوله (مُخبرا) أي حال كونه ﷺ مخبراً عن حال عثمان (للقوم) من الصحابة وغيرهم (ما ضرّ) مقول قال أي ما ضر عثمان (ما عمل) أي عمله على سبيل الفرض (بعد اليوم) وأصل ذلك:

ما رواه الترمذي عن عبدالرحمٰن بن سمرة رضي الله عنه قال: جاء عثمان في جيش العسرة بألف دينار فصبّها في حجر النبيّ ﷺ، فرأيت النبيّ ﷺ يُدخِل يده فيها فيقلبها ويقول: «ما ضرّ عثمان بن عفان ما عمل بعد اليوم»(٢٩٤) وفي رواية ذكرها الطبري في الرياض النضرة عن حذيفة رضي الله عنه: أنّ عثمان أتىٰ بعشرة آلاف دينار فصبّت بين يدي رسول الله ﷺ، فجعل ﷺ يقلبها ويقول: «غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة، ما يبالي بما عمل بعدها» (وبات) ﷺ أي دخل في الليل، وقوله (طول الليل) ظرف لقوله: (شكراً) أي يشكر شكراً (منه) أي من أجل ما فعله عثمان رضي الله عنه.

---

(٢٩٤) رواه الترمذي (٣٧٠٢) ورواه أيضاً أحمد (٦٣/٣) وإسناده حسن.

روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ رافعاً يديه تلك الليلة يدعو لعثمان ويقول: يا (ربّ) عثمان بن عفان قد (رضيت عنه فارض عنه) فما زال كذلك حتى طلع الفجر (وحَطَّ) أي وضع عن ماله في سبيل الله تعالىٰ (في) غزوة (تبوك) (عند الشدّة) على الناس لقلة الأهبة وشدّة الحرّ (ألف بعير كاملات العدة) بضم العين أي كاملات الأسباب من الأحلاس والأقتاب. روىٰ الترمذي أنه ﷺ حضّ على جيش العسرة، فقال عثمان: يا رسول الله عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حضّ ﷺ، فقال عثمان يا رسول الله عليّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حضّ ﷺ فقال عثمان: يا رسول الله عليّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حضّ رسول الله ﷺ فقال عثمان: يا رسول الله عليّ أربعمائة بعير في سبيل الله فنزل ﷺ وهو يقول: «ما على عثمان ما فعل بعد هذه»(٢٩٥).

وفي رواية مشىٰ عليها الناظم حمل عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرساً، واقتصاره على ذكر البعير لا ينافي ذكر الفرس في الرواية، لأن العدد لادلة له على نفي ما عداه كما تقرّر في الأصول، ويحتمل أنه مشىٰ على ما ذكره ابن سيد الناس من أن عثمان قال في غزوة تبوك: يا رسول الله عليّ جهاز من لا جهاز له، فجهّز المسلمين بألف بعير بأقتابها وأحلاسها، وتصدّق بأموال كانت له على المسلمين انتهىٰ.

ذا غير أموال له في الناس وهبها منهم لكي يواسي

وإلى قوله آخرا وتصدّق بأموال إلى آخره أشار بقوله (ذا) أي المذكور في غزوة تبوك من ألف بعير وكذا ألف دينار (غير أموال) كائنة (له) أي لعثمان

(٢٩٥) رواه الترمذي (٣٧٠١) من حديث عبدالرحمٰن بن خباب.

رضي الله عنه (في الناس) أي عليهم (وهَبَها) أي تلك الأموال التي كانت عليهم (منهم) وتصدّق بها يومئذ عليهم (كَيْ يواسي) أي ليواسيهم ويخفّف عليهم يقال: واساه من ماله أي أناله منه، ويحتمل أن يكون ذا إشارة إلى أعم من تلك الأموال لأن له في الناس في كلّ عصر عطايا جمة لكثرة ماله جاهليةً وإسلاماً، ولما قدم النبيّ ﷺ المدينة ولم يكن بها ماء يستعذب غير بئر رومة، وكانت ليهودي قال: «من حفر بئر رومة أو اشتراها فله الجنة» فاشتراها عثمان بعشرين ألف درهم، وأنفق في تعميقها لزيادة الماء مالاً كثيراً، ثم تصدّق بها على المسلمين الضعيف منهم والقويّ فيها سواء، وصحّ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: اشترىٰ عثمان الجنّة من النبيّ ﷺ مرتين حين حفر بئر رومة، وحين جهّز جيش العسرة، وكذلك صحّ أنه ﷺ قال: «من اشترىٰ هٰذا المِربَد ويزيده في مسجدنا فله الجنّة» قال عثمان: فاشتريته بعشرين ألف درهم وزدته في المسجد فيكون هذه مرة ثالثة.

وعندما جاءت له تجاره   فرّقها من قبل تأتي داره
وكم له منقبة وفضل   يضيق عن إيرادها المحل

(وعندما جاءت) أي قدمت ورجعت (له تجارة) أي من الشام وفيها برّ كثير وفي الناس قحط شديد، جاء التجار ليشتروا فأعطوه ربحاً كثيراً، فقال لهم عثمان رضي الله عنه: زادني غيركم، فقالوا: مَن زادك؟ ونحن تجار المدينة، قال: زادني الله عزّ وجلّ، فجعل لكل درهم عشرةً إلى أضعاف كثيرة، ثم قال: أشهدكم أني قد جعلت هذا كله صدقةً على الفقراء والمساكين رواه ابن سيد الناس.

وإليه أشار بقوله (فرّقها) أي ما في تلك التجارة (من قبل أن تأتي داره) أي قبل وصولها إليها، وصحّ أنّ الميرة انقطعت من المدينة فجاعت الناس

فاشترى خمس عشرة راحلةٍ طعاماً فأخذ ثلاثاً لنفسه وأعطىٰ النبيّ ﷺ اثنتي عشرة، فدعا له بالبركة فيما أعطىٰ وفيما أمسك (وكَمْ) أي كثير (له منقبة) بفتحتين بينهما سكون أي خصلة حميدة (وفضل، يضيق عن إيرادها المحلّ) أي ذات الشفاء لبنائها على غاية الاختصار، وزدنا على ما ذكره مناقب في أثناء الشرح كما عرفت، ومما لم يذكر: أنه رابع أربعة في الإسلام وأنه ما مضىٰ [عليه] جمعة منذ أسلم إلاّ وأعتق فيها رقبةً، وأنه رفيقه ﷺ في الجنة، وأنه وليّه ﷺ في الدنيا وفي الآخرة، وأنه أول من هاجر إلى الله بأهله بعد لوط عليه السلام وذلك حين هاجر إلى الحبشة وغير ذلك، كما ثبت ذلك كله في الأحاديث.

(خلافة علي كرّم الله وجهه)

وبعده قد بايعوا عليّاً البطل المؤيّد المرضيا

خلافة علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه (وبعده) أي بعد قتل عثمان رضي الله عنه (قد بايعوا) أي كبار المهاجرين والأنصار وغيرهم من جميع الصحابة، ويقال: إنّ طلحة والزبير بايعا كارِهَيْنِ غير طائعين (عليّاً) كرّم الله وجهه، وتلك المبايعة كانت لِغَدٍ من مقتل عثمان رضي الله عنه كما جزم به ابن حجر في أسنىٰ المطالب وغيره، أو بعد ثلاثة أيام، أو خمسة من قتله، كما قاله الدواني في شرح العقائد العضدية، قال: فقيل الخلافة بعد تمنّع كثير منها وقيل: غير ذلك[٢٩٦] (البطل) وهو بفتحتين الشجاع الذي تبطل عنده دماء الأقران (المؤيّد المرضيّا) من الله عزّ وجلّ إذ هو أحد السابقين المهاجرين والعلماء الربانيّين والشجعان المشهورين والزهاد المعروفين.

---

(٢٩٦) انظر شرح العضدية (٢/٢٨٤) للدواني.

(صفاته كرّم الله وجهه)

كان آدم شديد الأدمة عظيم العينين أقرب إلى القصر، ذا بطن، كثير الشعر، عريض اللحية، أصلع أبيض الرأس، لم يخضب إلاّ نادراً، كذا في صفوة ابن الجوزي، وفي ذخيرة [ذخائر] العقبىٰ للمحب الطبري: كان ربعةً معتدلاً، أدعج العينين عظيمهما، حسن الوجه كأنه قمر، عظيم البطن إلى السمن، وفي رواية: أغيد كأنّ عنقه بريق فضة أصلع ليس في رأسه شعر إلاّ من خلفه، شديد الساعد واليدين إذا مشىٰ إلى الحرب هرول، ما صارع أحداً إلاّ صرعه، خفيف المشي ضحوك السن.

فقام في جد وفي اجتهاد ... يقصد وجه الله بالسداد
أول عام الست ثم كانا ... نَدِم مَن لم ينصروا عثمانا

(فقام) في أمور الخلافة (في) أي مع (جدّ) بكسر الجيم أي سعي بليغ (وفي اجتهاد) عطف تفسير، والأول في المصالح العامّة الدنيوية، والثاني في الأحكام الدينية (يَقصِد) بكسر الصاد أي يريد في ذلك (وجه) أي ذات (الله) تعالىٰ حال كونه ملتبساً (بالسّداد) بفتح السين هو الاستقامة في الدين كالسدد، وأمّا بكسرها فهو ما يسدّ به نحو المنفذ، ويحتمل أن يجعل الباء للسببية متعلقاً بقوله: يقصد أي ما ذكر من قيامه وقصده بسبب استقامته في دين الله وإخلاصه فيه، وفيه إيماء إلى أنه الإمام الحقّ، والمنازع له باغ عليه كما يأتي تقريره.

وفي شرح المقاصد عن بعض المتكلمين: أن الإجماع انعقد على كونه الحقيق بالخلافة بعد الأئمة الثلاثة، ووجه انعقاده الإجماع في زمن الشورىٰ علىٰ أنها له أو لعثمان، فحين خرج عثمان بقتله من البين بقيت لعلي إجماعاً.

قال إمام الحرمين: ولا عبرة بقول من قال: لا إجماع على إمامة علي، فإن

الخلافة لم تنكر له، وإنما هاجت الفتنة لأمور أخرىٰ وقوله (أول عام الست) وثلاثين ظرف لقوله المذكور فقام (ثم كانا) بألف الإطلاق أي ثم كان الشأن في أول العام المذكور (ندم) بكسر الدال أي حزن وتأسّف (من) أي الذين (لم ينصروا عثمانا) رضي الله عنه ورأوا أنهم قد قصروا في نصرته، فخرجوا على الإمام الحق عليّ كرّم الله وجهه للانتقام من قتله عثمان رضي الله عنه، واجتهدوا أن ذلك واجب عليهم، وأنّ علياً كرّم الله وجهه مقصر في حقّه، وهذا سبب لخروجهم، لا للطلب في الرياسة والنزاع في الإمامة وهم:

طلحة والزبير مع عائشة	**فقام هؤلاء في طائفة**
وقصدوا في السر نحو البصرة	**لعل أن يحصل فيها النصرة**
فساق من خلفهم الفتىٰ علي	**وكان من ذلك يوم الجمل**
أثارها جهال كل فرقة	**أقبح بشأن الخِلف وما أشقه**

(طلحة والزبير مع عائشة) وكانت عائشة بمكة، فخرج طلحة والزبير من المدينة إليها، فأخذاها (فقام هؤلاء في طائفة) من أتباعهم فخرجوا إلى العراق (وقصدوا) (في السير نحو البصرة) أي جهتها وطريقها (لعل) أي رجاء (أن يحصل فيها النصرة) أي المعونة والإمداد من أهلها لما قصدوه من الانتقام من قتلة عثمان رضي الله عنه، وإنّما لم يأمر عليّ بذلك لأن قتلة عثمان رضي الله عنه التفّوا علىٰ عليّ وصاروا من رؤوس الملأ، وخاف أن ينتفض الناس لو انتقم منهم، ويحتمل أن علياً اجتهد أنه لا يستحق القتل إلاّ من باشر قتل عثمان رضي الله عنه دون محاصريه، وقد هرب المباشر لقتله في الحال كما مرّ، ويؤيده سؤال علي امرأة عثمان عن قاتله حتى قالت: لا أدري كما تقدم فتأمله، (فساق) أي سار بعسكره (من خلفهم) أي الخارجين (الفتى) الكريم (عليّ) بيان للفتىٰ وحذف الياء للوزن من المدينة إلى العراق، ومعه جميع رؤوس قتلة عثمان رضي

الله عنه، فلقي بالبصرة طلحة والزبير وعائشة ومن معهم (وكان من ذلك) وقعة (يوم الجمل) بلا علم ولا قصد للقتال وإنّما (أثارها) أي هيّج الفتنة والوقعة بالتحام القتال (جهّال كل فرقة) وغوغاؤهم من الجانبين، وخرج الأمر عن علي وعن طلحة والزبير وقتل من الفريقين نحو عشرين ألفاً كما قاله الذهبي في دول الإسلام[٢٩٧] وفي رواية: سبعة عشر ألفاً وفي أخرى: ثلاثة عشر ألفاً، وفي أخرى: ثمانية آلاف، وكانت الوقعة في جمادى الأخرى سنة ست وثلاثين، وذكر أنه قطع على خطام جمل عائشة رضي الله عنها سبعون يداً كلّما قطعت يد نابت عنها أخرى، وقتل في تلك الوقعة طلحة والزبير، أمّا طلحة فوعظه عليّ كرّم الله وجهه، فتأخّر ووقف في بعض الصفوف، فجاءه سهم في ركبته فقتله، وسنه أربع وستون على الأشهر، ودفن بالبصرة، وجاءه عليّ فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول: رحمة الله عليك يا أبا محمد يعزّ عَلَيَّ أن أراك منجدلاً أي ساقطاً على الأرض.

وأمّا الزبير فدعاه عليّ لما تقاربت الصفوف وهو راكب بغلة رسول الله ﷺ، فأقبل الزبير إليه، حتى اختلفت [أعناق] دوابها فقال له: نشدتك الله أتذكر يوم مرّ رسول الله ﷺ بك ونحن في مكان كذا، فقال يا زبير: «أتحب علياً؟» فقلت: ألا أحب ابن خالي وابن عمي وهو على ديني، فقال: «يا زبير والله لتقاتلنه وأنت ظالم له» فقال: بلى والله نسيته منذ سمعته من رسول الله ﷺ، ثم ذكرته الآن، والله لا أقاتلك، ثم أدبر راجعاً فقال له: ولده عبدالله: ما بك؟ فذكر له القصة، فقال: لم تجيء للقتال بل لتصلح بين الناس.

وفي رواية: أنه قال له: جُبْناً جبناً، فقال: قد علم الناس أني لست بجبان، ولكن ذكّرني حديثاً فحلفت أن لا أقاتله، وفي رواية: أن سبب رجوعه أنه قال لأصحاب عليّ: أفيكم عمّار بن ياسر، قالوا: نعم، فأغمد سيفه، وقال: سمعت

(٢٩٧) دول الإسلام (١/١٥) للذهبي.

رسول الله ﷺ يقول له: «ستقتلك الفئة الباغية» وجمع بينهما بأنه قال ذلك أولاً ثم ذكّره عليّ بالحديث زيادة في إعلامه ثم سار الزبير، فلما وصل وادي السباع نام فجاءه رجل فقتله، وسنه سبع وستون سنة على الأشهر، وقال لابنه عبدالله قبل اجتماعه بعليّ: ما أراني إلاّ سأقتل اليوم مظلوماً، ثم أكّد عليه في أن يبيع ماله ويقضي دينه من أرضين له: منها الغابة، وبضع عشرة داراً، وقدر دينه ألفا ألف ومائتا ألف، وقد أخبر النبيّ ﷺ بوقعة الجمل وقتال عائشة والزبير علياً كما أخرجه الحاكم وصحّحه والبيهقي عن أم سلمة قالت:

ذكر رسول الله ﷺ خروج أمهات المؤمنين فضحكت عائشة فقال: «انظري يا حميراء أن لا تكوني أنت» ثم التفت إلى عليّ فقال إن وليت في أمرها شيئاً فارفق بها (٢٩٨).

وأخرج البزار وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «أيّتكنّ صاحبة الجمل الأحمر تخرج حتى ينبحها كلاب الحوءب، فيقتل حولها قتلى كثيرة تنجو بعدما كادت تهلك» (٢٩٩).

وأخرج الحاكم وصحّحه البيهقي عن أبي الأسود قال: شهدت الزبير خرج يريد علياً فقال: أنشدك الله، هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقاتله وأنت له ظالم؟» فمضى الزبير منصرفاً وفي رواية لأبي يعلى والبيهقي، فقال الزبير: ولكن نسيته (٣٠٠) فعلم من هذا ومما مرّ من الإجماع على إمامة عليّ أن من خرج

---

(٢٩٨) رواه الحاكم (٣/١١٩) وعنه البيهقي (٦/٤١١) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٦/٢١٢) وهذا حديث غريب جداً.

(٢٩٩) رواه البزار (٣٢٧٣ كشف الأستار) قال ابن أبي حاتم في العلل (٢/٤٢٦) عن أبيه: لم يرو هذا الحديث غير عصام، وهو حديث منكر، لا يروى من طريق غيره. ويقصد أنه حديث فرد لأن عصام ثقة. وصحّ الحديث من حديث عائشة، وانظر سلسلة الصحيحة (رقم٤٧٥) لشيخنا محمد ناصر الدين الألباني وفتح الباري (١٣/٥٥).

(٣٠٠) رواه الحاكم (٣/٣٦٦) والبيهقي في الدلائل (٦/٤١٥).

عليه باغٍ مجتهد مخطىء له أجر واحد، وعليّ مجتهد مصيب له أجران. وسيأتي إيضاحه وإلى ذلك أشار بقوله: (أقبِحْ بشأن الخِلفِ) بكسر الخاء [المعجمة] وضمّها بمعنى المخالفة، وأقبح من صيغ التعجب، أي ما أقبح شأن المخالفة والخروج عن الإمام الحق لكونه سبباً للفتنة وذهاب النفوس الشريفة (وما أشقه) صيغة تعجب أيضاً أي شيء عظيم جعله شاقاً وصعباً على الناس، وهو كالتأكيد لما قبله، ثم إن علياً كرّم الله وجهه أقام بعد وقعة الجمل بالبصرة خمس عشرة ليلة، ثم انصرف إلى الكوفة، ولما سمع معاوية بذلك خرج ومعه جيش الشام من الذين بايعوا معه على الطلب بدم عثمان رضي الله عنه وهم ستون ألفاً كما سبق، ومن غيرهم فبلغ ذلك علياً كرّم الله وجهه فسار إليه فالتقى الفريقان بصفّين.

(معركة صفين)

وعـــام سبـــع وثلاثيـــن غِيَر فوقّعَـت صفين أثنـاء صفـر
وبقـي الحرب عليهـا مـدة والمسلمـون في أذىً وشـدة

التقى الفريقان بصفين كما قال: (وعام) بالنصب بتقدير في أي حصلت في عام (سبع وثلاثين غِيَر) بكسر الغين المعجمة وفتح الياء المثناة بمعنى الحوادث والشدائد، وفي القاموس: غير الدهر كعنب أحداثه، فهو مرفوع بالظرف أو خبر له على اختلاف القولين في مثله، ويجوز أن يجعل ماضياً من غبر الشيء بفتح المعجمة والباء الموحدة أي بقي إذ الغابر جاء بمعنى الباقي والماضي فهو من الأضداد كما في الصحاح وغيره، والضمير فيه عائد إلى الخلف المذكور أي وفي عام سبع وثلاثين غبر، وبقي الخلف والنزاع بين عليّ كرّم الله وجهه وبين الباغين عليه، وأن يجعل بفتحتين أيضاً اسماً بمعنى الغبار، كناية عن غبار الحروب وشدائده وأن يقرأ عَبَرَ بفتح المهملة والموحدة اسماً لسخنة في العين تبكيها، أي

وفي ذلك العام ما يسخّن عين كل أحد وتبكيها الشدّة ما وقع فيه، وأما جعل عام مبتدأ وعَبر ماضياً من العبور خبره كما في النسخ فلا يستقيم، لاقتضائه وقوع صفّين فيما بعد عام سبع وثلاثين، وهو خلاف ما صرحوا به إلاّ بتكلف، ثم فصّل ما أجمله بقوله (فوقعت صفين) بكسر المهملة وتشديد الفاء المكسورة أي وقعتها (أثناء) بفتح الهمزة الأولى ونصب الثانية أي في أثناء شهر (صفر) في القاموس صفّين كسجّين موضع قرب الرقة بشاطىء الفرات كانت به الوقعة العظيمة بين عليّ ومعاوية غرّة صفر سنة سبع وثلاثين، فمن ثمة احترز الناس السفر في صفر، انتهىٰ.

ثم أقام الفريقان بصفّين (وبقي) أي استمر (الحرب) بينهما (عليها) أي في صفّين (مدة) مائة يوم وعشرة أيام حتى كانت بينهما تسعون وقعة كما في كتاب الخميس، وجيش عليّ تسعون ألفاً وجيش معاوية مائة ألف وعشرون ألفاً (والمسلمون) من الفريقين (في أذىً وشدة) لكثرة القتلىٰ فيه منهم، حتى ملّ الفريقان من القتال، وتداعيا إلى الحكومة كما يأتي.

فقد روينا عن فتىٰ سيرينا إن الذي عُدّ على صفّينا
سبعون ألفاً من قتيل ثمه كاد انتصار لعليّ أن يتم
فراغ للخداع فيها عمرو وفي خداع الحرب يأتي المكر

(فقد روينا) بالإسناد (عن) الإمام المحدث العابد الوارع ذي فنون من العلوم المكنّىٰ بأبي بكر مولىٰ أنس بن مالك وهو محمد (فتى سيرينا) أي ابنه، والفتىٰ يقال للشاب وللرجل الكريم، وألف سيرينا للإطلاق، قال خلف بن هشام: أعطي ابن سيرين هَدياً وصَمتاً وخشوعاً، فكان الناس إذا رأوه ذكروا الله تعالىٰ، وكان إذا سئل عن مسألة من الحلال والحرام تغير لونه ويقول: اللهم هذا رأيي، والرأي قد يخطىء ويصيب، مات سنة عشر ومائة عن سبع وسبعين سنة

(إن الذي) بمعنى الذين كما في قوله تعالىٰ: ﴿وخضتم كالذي خاضوا﴾ وهو لغة (عُدّ) بالبناء للمفعول أي عدّه الرواة من القتلىٰ (علىٰ) أي في وقائع (صِفّينا) (سبعون ألفاً) خبر أنّ وهو في الحقيقة خبر الذي باعتبار المعنىٰ، وإفراد الضمير في عدّ للحمل على اللفظ (مِن قتيل) بمعنى مقتول (ثَمَّ) بفتح المثلثة أي في صفّين (ثُمّ) حرف عطف (كاد) أي قرب (انتصار) وغلبة (لعلي) كرّم الله وجهه ولجيشه (أن يتمّ) بوزن يفرّ من المضاف، وتخفيف الميم فيه وفي ثم للوزن، لكن لم ينهزم أحد من الفريقين وظهر الضعف في جيش الشام (فراغ) من راغ يروغ أي مال (للخداع) مصدر خادع أي مال إلى المخادعة والمكر (فيها) أي في الوقعة أو في الخلافة حتى تتم لمعاوية (عمرو) بن العاص الصحابي الجليل كان من دهاة العرب معروفاً بجودة الرأي، وكان مع معاوية رضي الله عنهما، ولمّا كان فطنة أن يقال: كيف يجوز للصحابي الجليل المكر والخديعة مع أنه ورد «أن المكر والخديعة في النار»[٣٠١] أي صاحبها، دفعه بقوله: (وفي خداع الحرب) الخدع في الحرب أن تعمل حيلة ترفع الحرب من البين (يأتي المكر) أي يجوز لوجود المصلحة فيه.

أمَرّهم أن يرفعوا المصاحفا يطلبوا التحكيم والتآلفا

ففي الصحيحين: «الحرب خدعة»[٣٠٢] روي بتثليث الخاء المعجمة والفتح أشهر، وبوزن هُمَزَة أي ينقض الحرب وينطفي بها، فإن قلت: الخداع بمعنى المكر كما مرّ فيكون المعنىٰ: وفي خداع الحرب يأتي الخداع، ولا معنىٰ له قلت: الأول مقيد والثاني مطلق فيكون المعنىٰ: أن المكر المطلق يأتي جوازه في هذه الصورة الخاصة (أمَرّهُمْ) أي عمرو بن العاص أهل الشام (أن يرفعوا المصاحفا)

(٣٠١) الظر مسند الشهاب الأحاديث (٢٥٣ و ٢٥٤ و ٣٥٤) وتعليقنا عليها.

(٣٠٢) انظر مسند الشهاب الأحاديث (٨ - ١٢) وتعليقنا عليها.

جمع مصحف، فرفع أهل الشام المصاحف يدعون إلى ما فيها من طاعة الله ورسوله كيداً وحيلةً من عمرو بن العاص (و) أن (يطلبوا التحكيم) أي جعل أحد حكماً يحكم بينهم ويختار لهم خليفةً (والتألّفا) مصدر التفعّل بمعنى الصلح ورفع النزاع، ولما رأى الناس ذلك كرهوا الحرب وتداعوا إلى الصلح، لفرط سآمتهم من الحرب، فحكم عليّ وأهل الكوفة أبا موسى الأشعري ورضوا به، ومعاوية وأهل الشام عمرو بن العاص ورضوا به، وكتبوا بينهم كتاباً أن يوافوا رأس الحول بأذرُح بفتح الهمزة وسكون الذال المعجمة وضم الراء موضع بالشام بجنب جرباء موضع آخر به وغلط من قال: بين البلدين ثلاثة أيّام كما في القاموس، حتىٰ ينظروا في أمر الأمة، فتفرق الناس علىٰ هذا، ورجع معاوية إلى الشام وعليّ إلى الكوفة.

قال الذهبي في دول الإسلام: وعينوا للخلافة يوم الحكمين إلى مضيّ المدة عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، ولما جرىٰ التحكيم بينه وبين أهل الشام غضب جمع كثير أكثر من عشرة آلاف من جيش علي وأنصاره وقالوا: لا حكم إلاّ لله لقوله تعالى﴿إن الحكم إلا لله﴾ وأكفروا علياً بفعله ذلك واعتزلوه[٣٠٣] كما قال.

فكان ما قدر في الكتاب ... وخرجت طوائف الكلاب
وهم أنصارٌ على علي ... وكفّروه وهم الكفار

(فكان) أي وجد وظهر (ما قدّر) وجوده (في الكتاب) أي اللوح المحفوظ وأخبر به النبيّ ﷺ كما في الأحاديث (و) هو أنه (خرجت طوائف الكلاب) الإضافة بيانية إشارة إلى قوله ﷺ: [الخوارج كلاب النار] (على عليّ) متعلق

(٣٠٣) انظر دول الإسلام (١/١٥ ـ ١٦).

بخرجت أي خرجوا عن طاعته (وهُمُ) بضم الميم أي والحال أنّهم قبل ذلك (أنصار) له لكونهم من جيوشه وأعوانه قبل التحكيم (وكفّروه) من التكفير أي نسبوه إلى الكفر وهو [من] استعمال الفقهاء والمتكلمين كما في المصادر وغيره، وإلاّ فالذي ثبت في اللغة بمعنى ذلك، أكفره من باب الإفعال أي دعاه بالكفر ونسبه إليه، وإنما كفّروه أي علياً لرضاه بالتحكيم المذكور، وقالوا له: حكمت في دين الله والله يقول: إن الحكم إلاّ لله، (و) لكن الخوارج (هم الكفار) لتكفيرهم علياً الذي شهد له النبيّ ﷺ بأنه لا يبغضه إلا شقي، وأن الخوارج عليه كلاب النار وغير ذلك.

ثم عسكروا واجتمعوا بحروراء بالمدّ وقد يقصر بلد بالكوفة، وأظهروا الشقاق، وسفكوا الدماء وقطعوا الطرق كما قاله المحب الطبري، فبعث إليهم عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ليبيّن لهم أنهم على الباطل، فخاصمهم وغلبهم بالحجة، فرجع منهم كثيرون وثبت الباقون، فساروا إلىٰ النهروان، فخرج إليهم عليّ بمن معه فعاتبهم ونصحهم، فأبوا إلاّ القتال فقاتلهم بالنهروان، واستأصل جمهورهم وقتلهم شر قتلة، ولم ينج منهم إلاّ القليل، وقتل كبيرهم ذا الثدية الذي أخبر به النبيّ ﷺ كما قال:

ووقعت بين الفريقين علىٰ النهروان وقعة وقُتِلا
خلائق وذاك شأن الفتنة سنة أربعين ليل الجمعة

(ووقعت) سنة ثمان وثلاثين (بين الفريقين) أي جيش عليّ كرّم الله وجهه وجيش الخوارج (علىٰ) أرض (النهروان) بفتح النون وضم الراء بُليدة قديمة بالقرب من بغداد، ولها عدة نواحي خربت كذا في لباب الإنسان لعزالدين الجزري، وفي أخبار الدول: نهروان كورة واسعة بين بغداد وواسط، وهو اسم للنهر الذي يشق في وسطه، كانت من أجمل النواحي، أصابها عين الزمان

فخربت، وفي القاموس: النهروان بفتح النون وتثليث الراء وضمّها ثلاث قرىً أعلىٰ وأوسط وأسفل هنّ بين واسط وبغداد (وقعة) عظيمة وهو فاعل وقعت (وقُتِلا) بألف الإطلاق في تلك الوقعة (خلائق) أكثر من أربعة آلاف من الخوارج (وذاك) أي المذكور كله (شأن الفتنة) والنزاع مع الإمام الحق.

وأول الفتن منازعة عثمان رضي الله عنه وقتله كما مرّ، فأدّت إلى هذه المفاسد، ومن ثمّة انعقد الإجماع بعد الصدر الأول على حرمة الخروج على الإمام، ولو كان جائزاً تسكيناً للفتن، ولم يتهيأ للمسلمين في هذه السنين جهاد ولا فتح لشيء من بلاد الكفار، بل اشتغلوا بالفتنة، وكذلك وجد في زمان عليّ كرّم الله وجهه غلاة الرافضة، كعبدالله بن سبأ وجماعة معه.

وفي لباب الإنسان: النصيرية طائفة من غلاة الرافضة الشيعة نسبوا إلى رجل اسمه نصير، وكان في جماعة نحو سبعة عشر رجلاً زعموا: أن علياً كرّم الله وجهه هو الله تعالىٰ عن ذلك علواً كبيراً، وكان ذلك [في] زمن عليّ، فلمّا سمع مقالتهم أمرهم بالتوبة وتجديد الإسلام فامتنعوا فأمر بإحراقهم فأحرقوا، فقال بعضهم: تحققت أنه الله تعالىٰ فقد بلغنا أن النبي ﷺ قال: «لا يعذّب بالنار إلاّ ربّها» وهرب منهم نصير، واشتهر منهم هذا الكفر الشنيع نعوذ بالله منه، وفي أسنىٰ المطالب: لما فرغ عليّ من قتال الخوارج سنة ثمان وثلاثين اجتمع الناس من الفريقين بأذرح الموعود في شعبان هذه السنة، وحضرها سعد بن أبي وقّاص وعبدالله بن عمر وغيرهما من الصحابة.

واجتمع الحكمان: عمرو بن العاص، وأبو موسىٰ الأشعري، فكاد عمرو أبا موسىٰ حتّىٰ وافقه أن كلاً منهما يخلع من حكّمه، ويختار للمسلمين خليفةً وأن أبا موسىٰ يتقدم بخلع عليّ ثم يخلع عمرو معاوية، فتقدم أبو موسىٰ وتكلّم ثم خلع علياً، ثم تكلم عمرو فأقرّ معاوية وبايع له، وتفرق الناس على هذا، وصار عليّ في خلاف من أصحابه حتّىٰ صار يعضّ علىٰ أصبعه ويقول: أعصى ويطاع معاوية،

وذلك لكونه الإمام الحقّ، وكون معاوية باغياً عليه وإن كان له أجر اجتهاده، ولم ينظر عليّ إلى ما وقع من أبي موسىٰ لأنه كان ناشئاً عن مكر وخديعة، وما هو كذلك لا ينظر إليه ولا يعوّل عليه (٣٠٤) هذا، وما مرّ ملخص تلك الوقائع، وبسطها لا يسعها هذه العجالة على أن الاختصار هو اللائق لقوله ﷺ: «إذا

---

(٣٠٤) هذا كله من الكذب الصراح وروجه أعداء الإسلام والمؤرخون المغفلون، لأن معاوية لم يكن خليفة ولم يدع بالخلافة حتى يحتاج إلى خلعه، وإنما كان يطالب بحكم شرعي وهو إقامة الحد على قتلة عثمان رضي الله عنه. وإنما اتفق الحكمان على أن يعهد بأمر الخلافة على المسلمين إلى الموجودين على قيد الحياة من أعيان الصحابة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض.

واعتقادنا في هذه المسألة هو ما يقول الإمام أحمد وأكثر أهل الحديث وأكثر أئمة الفقهاء، وقول أكابر الصحابة والتابعين لهم بإحسان. وهو أن الصواب أن لا يكون قتال، وكان ترك القتال خيراً للطائفتين، فليس في الاقتتال صواب، ولكن علي كان أقرب إلى الحق من معاوية، والقتال قتال فتنة، ليس بواجب ولا مستحب، وكان ترك القتال خيراً للطائفتين مع أن علياً كان أولى بالحق.

وهو قول عمران بن حصين رضي الله عنه، وكان ينهى عن بيع السلاح في ذلك القتال، ويقول: هو بيع السلاح في الفتنة، وهو قول أسامة بن زيد ومحمد بن مسلمة وابن عمر وسعد بن أبي وقاص وأكثر من بقي من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، ولهذا كان من مذهب أهل السنة الإمساك عمّا شجر بين الصحابة، فإنه قد ثبت فضائلهم، ووجبت محبتهم وموالاتهم.

وأبو موسى رضي الله عنه كان رجلاً تقياً فقيهاً عالماً، أرسله النبي ﷺ مع معاذ إلى اليمن قاضياً، وقدمه عمر وأثنى عليه بالفهم، واختصه بكتابه الشهير في القضاء، ولم يكن أبله كما صوره هؤلاء المؤرخون الذين يجمعون كل قول ويختلقون ما يشاؤون.

وأما عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال فيه رسول الله ﷺ: «أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص» وهذه منقبة عظيمة له، لا يجوز الطعن فيه، ولاسيا وقد علمت أنه لم يبايع لمعاوية كما زعم الإخباريون، بل اتفق هو وأبو موسى رضي الله عنهما على ما ذكرناه اجتهاداً منهما وليس اتباعاً للهوى.

نسأل الله العصمة.

وانظر العواصم من القواصم (ص١٢٥ - ١٣١).

ذكر أصحابي فأمسكوا »(٣٠٥).

وقد صرّح الأئمة بوجوب الامتناع [الكف] عمّا شجر بين الصحابة، ووجوب اعتقاد أنهم مأجورون، وذلك لأنهم كلهم عدول باتفاق أهل السنة سواء من لابس الفتن أو من لم يلابسها كفتنة عثمان ووقعة الجمل وصفّين لوجوب إحسان الظن بهم، وحملاً لهم في ذلك على الاجتهاد، فإن تلك أمور مبناها عليه، وكل مجتهد مصيب، أو المصيب واحد وهو الأصح والمخطىء معذور ومأجور كما في الحديث، وقد ثبت ثناء الله وثناء رسوله عليهم كما في آيات وأحاديث مبينة في كتب الأصول وغيرها، قال ابن الأنباري: وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة وقوع المعصية منهم، وإنّما المراد قبول رواياتهم لنا في أحكام ديننا من غير تكلّف بحثنا عن أسباب العدالة وطلب التزكية، ولم يثبت لنا إلى وقتنا هذا شيء يقدح في عدالتهم، فنحن على استصحاب ما كانوا عليه في زمنه ﷺ حتى يثبت خلافه، ولا التفات إلى ما يذكره بعض أهل السير، فإن ذلك لا يصحّ، وإن صحّ فله تأويل صحيح.

وما أحسن قول عمر بن عبدالعزيز: تلك دماء طهّر الله منها أيدينا فلا نلوّث بها ألسنتنا، وكيف يجوز الطعن في ديننا فمن طعن في الصحابة فقد طعن في دينه، فيجب سدّ الباب عنهم رأساً، لاسيّما الخوض في أمر معاوية وعمرو بن

---

(٣٠٥) رواه الطبراني في الكبير (١٠٤٤٨) وابن عدي في الكامل (٢٤٩٠/٧) من حديث ابن مسعود وكذا رواه أبو نعيم في الحلية (١٠٨/٤).

ورواه الطبراني في الكبير (١٤٢٧) وأبو طاهر الزيادي في ثلاثة مجالس من الأمالي (٢/٢٩١) من حديث ثوبان.

ورواه ابن عدي في الكامل (٢١٧٢/٦) والسهمي في تاريخ جرجان (ص٢٥٤ - ٢٥٥ و٣١٥) من حديث ابن عمر.

ورواه عبدالرزاق في الأمالي (١/٣٩/٢) من مرسل طاووس، ولهذه الطرق والمتابعات فهو حديث حسن.

العاص وأمثالها، ولا تغتر بما نقله بعض الروافض عن أهل البيت من كراهيتهم لهؤلاء، قال المحقق الكمال بن أبي شريف في حاشية جمع الجوامع: وليس المراد بما شجر بين عليّ ومعاوية المنازعة في الإمارة كما توهمه بعضهم، وإنما كانت المنازعة بسبب تسليم قتلة عثمان رضي الله عنه إلى عشيرته ليقتصوا منهم، فإن علياً رأىٰ أن تأخير تسليمهم أصوب إذ المبادرة بالقبض عليهم مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي إلى اضطراب أمر الإمامة العامة، فإن بعضهم عزم على الخروج على الإمام علي كرّم الله وجهه، كما نادىٰ يوم الجمل بأن يخرج عنه قتلة عثمان.

ومعاوية رأىٰ أنّ المبادرة إلى تسليمهم للاقتصاص منهم أصوب، فكل منهما مجتهد مأجور. فهذا هو المراد بما شجر بينهم انتهىٰ.

وإلى ذلك أشار الشيباني في عقيدته بقوله:

ونسكت عن حرب الصحابة فالذي ... جرىٰ بينهم كان اجتهاداً مجرّداً
وقد صحّ في الأخبار أن قتيلهم ... وقاتلهم في جنّة الخلد خلّدا

فإن قلت: ما معنى قول الأئمة: يجب الإمساك عمّا شجر بينهم [بين الصحابة]، فإن كان المراد عدم معرفة أخبارهم وسيرهم فقد دوّنها الأئمة في كتبهم وبينوها، وإن كان المراد عدم تفضيل بعضهم على بعض، فقد صرّحوا بأن المحق في ذلك عليّ، ومعاوية ونحوه باغ عليه مأجور في اجتهاده، قلت: قال المحقق ابن حجر في كتاب الأصلين والتصوّف ما معناه: أنه يجب علىٰ عالم متأهل إعطاء كل منهم ما يستحقه شرعاً، وغيره يلزمه اعتقاد ما عليه أهل السنة فيهم تفصيلاً إن سهل عليه، وإلاّ فإجمالاً أي بأن يعتقد أنهم مجتهدون مأجورون من غير اعتقاد فسق واحد منهم، أو جواز لعن عليه كما يعتقده الجهلة، لا أنه يجب الكفّ عن معرفة أخبارهم وسيرهم، إلاّ لمن خشي عليه من معرفتها أن يعتقد في

بعضهم ما لا يليق به كما هو الغالب على العوام عند سماعها ممن لا يبيّن لهم الحق عند أهل السنة في مشكلها فتأمله، فإنه الحق الذي تشهد له القواعد، ولهذا لم يبالوا بإطلاق الوجوب الموهم انتهى كلامه فاحفظه فإنه نفيس.

ويستفاد منه أن الواجب على العوام أن لا يسمعوا ذلك إلاّ من عالم ماهر يبين لهم الحقّ عند أهل السنة، ثم لما طال النزاع بين معاوية وعليّ رضي الله عنهما واشتدّ الخلاف على الناس اجتمع ثلاثة من الخوارج بمكة، وهم: عبدالرحمٰن بن ملجم المرادي[٣٠٦] وآخران تميميان وتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلُنّ هٰؤلاء الثلاثة علياً ومعاوية وعمرو بن العاص لتنطفىء الفتنة ويستريح العباد، فقال ابن ملجم: أنا لكم بعليّ، وقال آخر: أنا لكم بمعاوية، وآخر: أنا لكم بعمرو بن العاص، وتعاهدوا على أن يكون ذلك ليلة حادي عشر أو سابع عشر من رمضان، ثم توجه كل منهم إلى البلد الذي فيه صاحبه، فقدم ابن ملجم الكوفة، فلقي أصحابه من الخوارج فكاتمهم ما يريده، واستمرّ إلى ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين كما جزم به ابن حجر في عدة كتب خلاف ما يأتي من الناظم، فلم ينم عليّ تلك الليلة وهو يدخل ويخرج، وينظر إلى السماء على خلاف عادته، ويقول: والله ما كَذَبتُ ولا كُذِبت، وإنها الليلة التي وُعِدْتُ وقال لابنه الحسن في السحر: رأيت الليلة رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ما لقيت من أمر أمّتك، فقال: ادعُ الله عليهم، فقلت: اللهم أبدلني بهم خيراً لي منهم وأبدِ لهم شراً لهم منّي، وأقبل عليه الإوزّ يَصِحْنَ في وجهه فَطَرَدَهُنَّ، فقال: دعوهنّ فإنهنّ نوائح، فدخل المؤذن فقال: الصلاةُ، فخرج عليّ من الباب ينادي: أيها الناس الصلاة الصلاة، فشدّ عليه شبيب الخارجي الموافق لابن الملجم في قتله،

---

(٣٠٦) عبدالرحمن بن ملجم مرادي من عرب اليمن وليس فارسياً كما زعمه بعض الجهلة المعاصرين.

وانظر في كلمة المرادي اللباب لابن الأثير.

فضربه بالسيف فوقع سيفه بالباب، ثم ضربه ابن ملجم بسيفه فأصاب جبهته إلى قرنه، ووصل دماغه علىٰ الكيفية التي أخبر بها النبيّ ﷺ كما يأتي، أمّا شبيب فدخل منزله ودخل عليه رجل من بني أمية فقتله، وأمّا ابن ملجم فهرب وشدّ عليه الناس من كل جانب، فلحقه رجل من هَمْدان، فطرح عليه قطيفةً ثم صرعه وأخذ السيف منه، وجاء به إلىٰ عليّ فنظر إليه وقال: النفس بالنفس، إذا مت فاقتلوه، وإن سلمت رأيت فيه رأيي، وفي رواية: فالجروح قصاص فأمسكه وأوثقه وإلى ذلك أشار الناظم بقوله.

(استشهاد عليّ كرّم الله وجهه)

(سنة أربعين) من الهجرة (ليل) بدل بعض مما قبله ظرف قتل الآتي (الجمعة) أي في صبح ليلة الجمعة كما عرفت، وإنما أطلق عليه الليل لبقاء ظلمته وقت الفجر ومجاورته له.

سابع عشر رمضان قتلا … عليّ الشهيد أشرف الملا
قتله أشقىٰ الورىٰ ابن ملجم … فليُهنَ بالخلود في جهنّم

(سابع) نعت ليل أو حال منه، وفي جواز إضافته إلى (عشر) كلام مرّ، وهو مضاف بحذف النون إلى (رمضان قتلا) مجهول بألف الإطلاق (عليّ الشهيد) بشهادة النبيّ ﷺ له بذلك في أحاديث، منها: ما أخرجه أبو يعلىٰ عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: رأيت النبيّ ﷺ التزم علياً وقبّله وهو يقول له: « بأبي الوحيد الشهيد [بأبي الوحيد الشهيد] »(٣٠٧). (أشرف الملا) بقلب الهمزة ألفاً، والملأ الجماعة والأشراف والقوم.

وفي حديث البيهقي وغيره أنه ﷺ قال: « أنا سيد العالمين، وعليّ سيد

(٣٠٧) قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/١٣٨) وفيه من لم أعرفه.

العرب »(٣٠٨) وهو ضعيف بل رمي بالوضع، وبفرض صحته حملوا سيادته لهم على أنها من حيث النسب أو نحوه فلا ينافي تفضيل الخلفاء الثلاثة قبله عليه للأدلة الصريحة في ذلك (قتله أشقىٰ الورىٰ) أي الخلق وذلك الأشقىٰ هو عبدالرحمٰن (ابن ملجم) المرادي كما مرّ.

أخرج الإمام أحمد والحاكم بسند صحيح عن عمار بن ياسر أن النبي ﷺ قال لعلي: أشقى الناس رجلان: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا عليّ على هذه يعني قرنه حتّىٰ يبل منه هذه يعني لحيته، وروي بطرق أُخَر، وروى الطبراني وأبو يعلىٰ بسند؛ رجاله ثقاة إلا واحداً منهم فإنه موثق أيضاً: أنه ﷺ قال له يوماً: من أشقىٰ الأولين قال: الذي عقر الناقة يا رسول الله، قال: صدقت، قال فمن أشقى الآخرين؟ قال: لا علم لي به، قال الذي يضربك على هذه وأشار ﷺ إلى يافوخه، فكان عليّ رضي الله يقول لأهل العراق أي عند تضجره منهم وددت أنه قد انبعث أشقاكم فخضب هذه يعني لحيته من هذه ووضع يده على مقدم رأسه(٣٠٩) (فليُهنَ) بـالبناء للمفعول أي فليسرّ وليبشّـر (بالخلود) السرمدي (في) دركات (جهنم) وهذا تهكم به واستهزاء كقوله تعالىٰ [فبشّرهم بعذاب أليم]، ثم إنّ علياً كرّم الله وجهه أقام بعد ضربه يوم الجمعة والسبت، وتوفّي ليلة الأحد، وغسله الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر ومحمد بن حنفية يصبّ الماء، وصلّىٰ عليه الحسن وكبّر سبعاً، ودفن بدار الإمارة بالكوفة ليلاً، أو بالقرىٰ موضع يزار الآن، أو بين موضعه أي منزله والجامع الأعظم فيه أقوال، ثم قطعت أطراف ابن ملجم وجعل في قوصرة وأحرق بالنار، وكان

(٣٠٨) رواه الحاكم (١٢٤/٣) وهو حديث موضوع.

(٣٠٩) رواه أحمد (٢٦٣/٤ و٢٦٤) والحاكم (١٤٠/٣ ـ ١٤١) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

رضي الله عنه في شهر رمضان الذي قتل فيه، يفطر ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند عبدالله بن جعفر، ولا يزيد على ثلاثة لقم، ويقول: أحب أن ألقى الله وأنا خميص، وقيل: إن اللعين ابن ملجم عشق خارجية اسمها قطام، فاشترطت عليه أن يصدقها ثلاثة آلاف دِرهم، وعبداً، وقينة، وقتل عليّ كرّم الله وجهه.

وفي أسنى المطالب بعد ذكره لهذا: ولا مانع من أن سبب قتله مركب من هذا وما مرّ وعمّي قبره رضي الله عنه لئلا ينبشه الخوارج، وقال شريك: نقله الحسن إلى المدينة.

وفي رواية أخرجها ابن عساكر: أنهم حملوه ليدفنوه مع رسول الله ﷺ، فبينما هم في مسيرهم إذ ندّ الجمل الذي هو عليه فلم يُدرَ أين ذهب، ولم يقدر عليه، فلذلك قال بعض الشيعة: إنه في السحاب. والأصح أنّ عمره ثلاث وستون. ولما مدح بعض الخوارج وهو عمرو بن حطّان ابنَ ملجم في قتله لعلي كرّم الله وجهه يقول:

يا ضربةً من تقي ما أراد بها ... إلاّ ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكر يوماً فأحسبه ... أوفى البرية عند الله ميزانا
أكْرِمْ بِقَومٍ يطوف الأرض أقبرهم ... لم يخلطوا دينهم بغياً وعدوانا

وبلغ ذلك إمام الشافعية القاضي أبا الطّيب الطبري أجابه بقوله:

إني لأبرأ مما كنت قائله ... في ابن ملجم ذا الملعون بهتانا
إني لأذكره يوماً فألعنه ... دينا وألعن عمرو بن حطّان
عليك ثم عليه الدهر متصلاً ... لعائن الله إسراراً وإعلانا
فأنتم من كلاب النار جاء لنا ... نص الشريعة برهاناً وتبيانا

(ذكر شيء من مناقبه رضي الله عنه)

ماذا يقول الشخص في وصف عليّ وفضلـه جـا في الكتـاب المنـزلِ

ذكر شيء من مناقب أسد الله الغالب كرّم الله وجهه ورضي الله عنه (ماذا يقول الشخص) أي المادح لعليّ كرّم الله وجهه، أي لا يقدر على حصر ما ورد (في) بيان (وصف عليّ) بتخفيف الياء وذلك لكثرة فضائله ومآثره وكراماته وكلماته الحكيمة وكثرة ثناء الصحابة [والسلف] عليه ممّا لا تحتمله هذه العجالة، حتىٰ قال الإمام أحمد: ما جاء لأحد من الفضائل مثل ما جاء لعليٰ.

وقال النسائي وغيره: لم يُروَ [يرد] في حقّ أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان أكثر مما جاء في عليّ قال بعض الأئمة: وسبب ذلك والله أعلم أن الله تعالىٰ أطلع نبيّه ﷺ علىٰ ما كان وما يكون بعده، مما ابتلي به من المنازعة، وخروج الخوارج عليه، وكثرة أعدائه، فاقتضى ذلك إشهار فضائله نصحاً للأمة لتحصل النجاة لمن تمسّك بها ممن بلغته (وفضله جا) بالقصر أي جاء من الله (في الكتاب) أي القرآن (المنزل) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

كان عند عليّ أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سرّاً وبدرهم جهراً فأنزل الله تعالىٰ فيه ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾(٣١٠) وذكر المفسرون أنّ علياً رضي الله عنه كان يصلي فسأله سائل فأعطاه خاتمه راكعاً، فأنزل الله تعالىٰ ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة

(٣١٠) ذكره الرافضي من رواية الثعلبي، فردّه شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٤/٦٢) وقال:

إن هذا كذب ليس بثابت، فراجعه فإنه فصل القول في ذلك.

ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾.[٣١١] قال الأئمة: والمراد بالولي المحب والناصر، وبالذين يقيمون الصلاة الآية عليّ وأمثاله، فلا شاهد للشيعة في الآية على أن المراد بالولي: المتصرف في أمور المسلمين، حتى يلزم منه أنه الخليفة بعده ﷺ، وتوضيح الردّ عليهم في الكتب الكلامية، وغير ذلك من الآيات.

أليس قـال المصطفىٰ لحيـدرِ   قـال في الرايـة يـوم خيبرِ

(أليس قال المصطفى) ﷺ، همزة الاستفهام للإنكار أي أنه قال، لأن إنكار النفي نفي له ونفي النفي إثبات، وهذا مراد من قال في مثله: الهمزة للتقرير، أي لحمل المخاطب على الإقرار بما دخله النفي، وهو هنا أنه قال (لحيدر) الحيـدر والحيـدرة الأسـد والغلام السمين أو الحسـن الجميـل كما في القاموس. روي أنه لما ولد كان أبوه غائباً وسمته أمه بحيدرة، فلما رجع أبوه سمّاه عليّاً، ومما اشتهر عنه في كتب السير أنه قال لمرحب اليهودي يوم خيبر:

أنـا الذي سمتني أمـي حيـدرة   كليث غابـات كـريـه المنظـرة

فعلىٰ هذا يكون حيدر في النظم محذوف التاء (ما قال) أي الذي قاله (في الراية) أي العلم (يوم خيبر) ظرف قال، أو نعت للراية، والإبهام في الموصول للتفخيم مثل﴿فغشيهم من اليَمّ ما غيشيهم﴾وهو ما في الصحيحين وغيرهما أنه ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فلما أصبح أعطاها لعلي كما مرّ في غزوة خيبر.

---

(٣١١) هذا أيضاً كذب، انظر منهاج السنة (٢/٤ ـ ٩) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

أليـس لا يحبــه الاّ تقـــي ولم يكــن يبغضــه إلا شقـــي
ألم يكـن مـن النبيّ بمنــزلــه هارون من موسىٰ كما قد قال لـه

(أليس) الشأن أنه (لا يحبّه إلاّ) رجل (تقي) بتخفيف الياء بمعنى المتقي، بلىٰ إنه لا يحبّه إلاّ مؤمن تقي (ولم يكن يبغضه) بضم الياء يقال أبغضه أي مقته (إلاّ شقي) منافق، أخرج مسلم عن عليّ كرّم الله وجهه أنه قال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنّه لعهد النبيّ الأمّي [إلي] أنه لا يحبني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق»(٣١٢).

وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا لنعرف المنافقين ببغضهم علي بن أبن طالب(٣١٣). (ألم يكن) عليّ كرّم الله وجهه (من) جهة (النبيّ) بتخفيف الياء للوزن (بمنزلة هارون) مضاف إليه أي بالمنزلة الكائنة له (من) جهة (موسىٰ) بلىٰ إنه كذلك (كما قد قال) ﷺ (له) أي لعليّ ذلك يوم استخلفه في غزوة تبوك.

روىٰ الشيخان والإمام أحمد والبزار والطبراني أن رسول الله ﷺ خلّف عليّ ابن أبي طالب في غزوة تبوك فقال: يا رسول الله: تخلّفني في النساء والصبيان؟ فقال: «أما ترضىٰ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلا أنه لا نبي بعدي»(٣١٤) واستخلافه على المدينة لا يستلزم أولويته بالخلافة بعده ﷺ من كل معاصريه، كما تقوله الشيعة، بل يقتضي أن له بعض المنازل الكائنة لهارون من موسىٰ عليهما السلام، وأنه أهل للإمامة في الجملة، كيف؟ وقد استخلف

(٣١٢) رواه مسلم (٧٨) والترمذي (٣٧٣٧) والنسائي (٨/١١٧).

(٣١٣) رواه الترمذي (٣٧١٨).

(٣١٤) رواه البخاري (٣٧٠٦ و٤٤١٦) ومسلم (٢٤٠٤) والترمذي (٣٧٣١) من حديث سعد ابن أبي وقاص وكذلك أحمد (١/١٧٠ و١٧٣ و١٧٤ - ١٧٥ و١٧٥ و١٧٧ و١٧٩ و١٨٢ - ١٨٣ و١٨٤ و١٨٥).

ﷺ على المدينة مراراً غيره، ولم يلزم من ذلك أنه أولىٰ بالخلافة بعده، وزعم الآمدي أن الحديث غير صحيح، مردود بتصحيح أئمة الحديث له.

وصحّ من قول النبيّ المرسلِ من كنتُ مولاه فمولاه علي

(وصحّ) حال كونه بعضاً (من قول النبي المرسل) إلى العالمين ﷺ (مَن كنت مولاه) أي حبيبه وناصره (فمولاه عليّ) أي حبيبه وناصره عليّ كرّم الله وجهه، فهو حبيبنا وسيّدنا، ولم يعهد لغةً ولا شرعاً كون الولي بمعنى الإمام حتّى يكون نصّاً في خلافة عليّ بعده ﷺ كما زعمته الشيعة الشنيعة كما [كذا] في شرح الطوالع، وفيه أيضاً أن أحداً من أئمة العربية لم يذكر: أن مَفعلاً جاء بمعنى أفعل حتّىٰ يكون المولىٰ بمعنى الأولىٰ للإمامة والتصرف كما زعموه أيضاً، ولئن سلّم فهو الأولىٰ في غير الإمامة كالقرابة ونحوها، ولئن سلّم فهو الأولىٰ بالإمامة في المآل بعد الأئمة الثلاثة قبله، وذلك أنه ﷺ قال يوم غدير خُمّ بضم الخاء والميم المشددة، وهو موضع على ثلاثة أميال من الجحفة بين الحرمين مرجعه من حجّة الوداع بعد أن جمع الصحابة وأقبل عليهم:

« ألست أولىٰ بكم من أنفسكم؟ » ثلاثاً وهم يجيبون في كل مرة بالتصديق والاعتراف، ثم رفع يد عليّ وقال: « من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال مَن والاه وعادِ من عاداه، وأحب من أحبّه وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدِرِ الحقّ من حيث دار ». وأخرجه جماعة كالترمذي والنسائي والإمام أحمد وطرقه كثيرة جداً حتّىٰ رواه ستة عشر صحابياً وفي رواية لأحمد أنه سمعه من النبيّ ﷺ ثلاثون صحابياً، وشهدوا به لعليّ لمّا توزع أيام خلافته، وكثير من أسانيده صحاح وحسان (٣١٥)، وبذلك ردّوا على جماعة

(٣١٥) لم أر في طريق من طرقه « وأدر الحق من حيث دار » وأما « وانصر من نصره واخذل من =

طاعنين في صحته كأبي داود السجستاني وأبي حاتم الرازي وغيرهم.

وقولـهِ قـم يـا أبـا تـرابِ ويوم أعطىٰ درعه الأعـرابي
ويـوم بيـت المال وهـو ممتلي فـرّقـه وقـولـه في العسـلِ

(و) صحّ أيضاً من (قوله) ﷺ لعليّ ملاطفاً له وماسحاً عنه التراب (قم يا أبا تراب).

روى الشيخان عن سهل أنّ النبي ﷺ وجد علياً مضطجعاً في المسجد وقد سقط رداءه عن شقه فأصابه تراب، فجعل النبي ﷺ يمسح التراب عنه ويقول: «قم يا أبا تراب»(٣١٦). فلهذا كانت هذه الكنية أحب الكُنىٰ إليه، لأنه صلى الله كنّـاه بها (و) ذكر فضله (يوم أعطىٰ) عليّ كرّم الله وجهه (درعه الأعرابي) السائل منه شيئاً فلم يجده فأعطاه درعه، قوله الأعرابي مفعول ثانٍ وخفّف ياؤه للوزن.

روي أن علياً كرّم الله وجهه كان يوماً جالساً على الفرات فأتاه أعرابي من بني أسد فقال: يا أمير المؤمنين والله ما تركت في بيتي شيئاً فأعطني، قال: أوليس قد أعطيتك إعطاءك قال: بلىٰ ولكنه نَفد، قال: لا يجوز لنا أن نعطيك حتى نعطي الناس، قال أعطني من مالك، قال: والله ما أصبح في بيتي فضلة عن قوتي، فولّىٰ الأعرابي وهو يقول: والله لتسألنّ عن وقوفي بين يديك يوم القيامة، فبكىٰ عليّ بكاءً شديداً وقال لغلامه: ائتني بدرعي الفلانية فدفعها إلى الأعرابي،

= خذله» فقد ورد من حديث علي، قال شيخنا في سلسلة الصحيحة (٣٤٤/٤) ففي ثبوته عندي وقفة، وانظر سلسلة الصحيحة (٣٣٠/٤ ـ ٣٤٤) فإنه فيه تخريج جميع طرق الحديث وألفاظه. وعند البزار (٢٥٤٢) كشف الأستار «وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه».

(٣١٦) رواه البخاري (٤٤١ و٣٧٠٣ و٦٢٠٤ و٦٢٨٠) ومسلم (٢٤٠٩).

وقال له: لا تَخدعنّ عنها، فطالَ ما كشفت بها الكرب، عن رسول الله ﷺ، فقال له قنبر مولاه: كان يكفي هذا عشرون درهماً، فقال: والله ما يسرّني أن لي بها زنة الدنيا فضّةً وذهباً، وإن الله تعالىٰ يسألني عن موقفه بين يديّ يوم القيامة (و) اذكر هذه وفضله أيضاً (يوم) جاءه رجل فأخبره بامتلاء (بيت المال) من صفراء وبيضاء أي الذهب والفضة، فقال. الله أكبر، ثم قام حتى وقف على بيت المال (وهو ممتلي) من المال فقال: ائتوني بأشياع الكوفة فنودي في الناس فأعطاهمُ (فرّقه) عليهم حتى لم يبق دينار ولا درهم إلاّ أخرجه وهو يقول: يا صفراء يا بيضاء غرّا غيري، ثم أمر بنضح البيت الذي فيه المال وصلّى فيه ركعتين (و) اذكر أيضاً (قوله) الدال على كمال عدله وزهده (في العسل) الذي جاءه من اليمن من بيت المال.

روي الفُقَيميّ عن قنبر مولىٰ علي كرّم الله وجهه قال: دعاني الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال لي: يا قنبر عندي أربع نسوة حرائر والله ما بقي في بيت واحدة منهن فضل عن قوتها، فاستلقِ لي درهماً اشتري به طعاماً لهٰذا الضيف، فأتيته بدرهم واشتريت به طعاماً، فقال: هذا الطعام يعني الخبز فأين الأدم؟ ثم قال: هٰذه زقّ عسل جاءت من اليمن، فأعطنا منها مقدار ما يأتدم به الضيف، فقلت: كيف أعطيك قبل أن يقسمها أمير المؤمنين، فقال: إن لنا فيها حقّاً فإذا أعطانا حقّنا رددنا ما أخذنا، قال قنبر: فقمت إلىٰ زق منها فأخذت منه مقدار رطل، فلما كان من الغد جاء علي كرّم الله وجهه ليقسم العسل، فلمّا نظر إلىٰ ذلك الزّق قال: يا قنبر حدث في هذا حدثٌ، فأخبرته بالقصة فغضب وقال: عليّ بالحسن فأتي به فرفع الدّرة [عليه] ليضربه. فأقسم عليه حتى سكن غضبه فقال: ما حملك على ما صنعت؟ أخذت من العسل قبل أن أقسمه، فقال: يا أمير المؤمنين إنّ لنا فيه حقّاً، فإذا أعطيتنا رددنا ما أخذنا، فقال: فداك أبوك ليس لك أن تنتفع بحقك قبل المسلمين، لولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبل هذا منك لأوجعتك ضرباً، ثم دفعَ إلى قنبر درهماً ليشتري به أجود عسل، ففعل

ثم أمره أن يفرغه في الزّق وعليّ يبكي، ويقول: اللهم اغفرها للحسن، فإنه لم يعلم.

تـــالله إن فضلـــــه لا يحصىٰ ووصفــه الجميـــل لا يُستقصىٰ

(تالله إن فضله لا يُحصىٰ) كما أشرنا إلى ذلك أولاً (ووصفه الجميل لا يستقصىٰ) إطناب للمدح.

(خلافة الحسن بن عليّ رضي الله عنهما)

وقام بعـده ابنـه السبـط الحسـن ونجل صخر في الخـلاف ما سكـن
سنة إحـدىٰ في ربيــع الآخــر تنـازل الجمعـان بـالعسكـر
قـريـب الأنبـار بـأرض مسكـن وظهــر القــدر بجيش الحســن

(وقام) بالخلافة والولاية بمبايعة أهل الكوفة أجمعين (بعده) أي بعد قتل عليّ كرّم الله وجهه (ابنه) فاعل قام وهو (السبط) بكسر السين وسكون الباء أي سبط رسول الله ﷺ وريحانته، والسبط لغة ابن بنت الرجل (الحسن) عطف بيان وهو آخر الخلفاء الراشدين، وخلافته حقّ وصدق بنص جدّه ﷺ عليها كما سيأتي بيانه، وبإجماع أهل الكوفة كما مرّ، ومن ثمة لما قال في خطبة الصلح الآتي: إن معاوية نازعني حقاً هو لي دونه الخ، أقرّ له معاوية بذلك ولم يردّ عليه، وإلى ذلك أشار بقوله: (ونجل صخر) أي معاوية بن أبي سفيان بن صخر ابن حرب، والنجل بالنون والجيم الولد كما مرّ (في الخلاف) أي المخالفة والنزاع مع الإمام (ما سكن) بل استمرّ على ذلك، ثم إن الحسن رضي الله عنه أقام بالخلافة ستة أشهر، وبعد ذلك سار إلى معاوية في أربعين ألفاً أو أكثر (سنة إحدىٰ) وأربعين (في) شهر (ربيع الآخر) وقيل في شهر ربيع الأول وقيل في جمادىٰ الأولىٰ، وسار إليه معاوية بجمع عظيم، ثم (تنازل الجمعان) أي جماعة

الحسن وجماعة معاوية رضي الله عنهما، حال كون كل من الجمعين ملتبسين (بالعساكر) المختلفة من قبائل شتىٰ (قريبَ) منصوب بتقدير في ظرف تنازل أي في موضع قريب (الأنبار) بنقل حركة الهمزة، إلى اللام للوزن وبالنون الساكنة مدينة قديمة أول بلاد العراق على شاطىء الفرات، أقام بها السفاح أول خلفاء بني عباس إلى أن مات وقوله: (بأرض مسكِن) بدل من قريب والإضافة للبيان، في القاموس: ومسِكن بوزن مسجد موضع بأرض الكوفة (وظهر الغدر) بفتح الغين المعجمة الخيانة وعدم الوفاء بالعهد (بجيش الحسن) وهذا الكلام يوهم أن الذين بايعوه ظهر من بعضهم الخيانة، وكان ذلك مؤيداً لاختيار الصلح، ويؤيده: ما روي أنّ أخاه الحسين رضي الله عنه، لما أراد المسير إلى أهل الكوفة ليبايعوه حين خروجه على يزيد، نهاه ابن عباس رضي الله عنهما، وبين له غدرهم وقتلهم لأبيه وخذلانهم لأخيه، فأبىٰ فبكىٰ ابن عباس وقال: واحسيناه.

والذي يأتي عن البخاري يدل على أن اختيار الصلح لمجرد حقن دماء المسلمين، لا مع ضعف وخيانة بجيشه فتأمله وفي كتب السير ولما تراآ أي الجمعان علم الحسن أنه لن يغلب إحدى الفئتين حتىٰ يذهب أكثر الأخرىٰ، فكتب إلى معاوية يخبره بأنه يصير الأمر إليه على أن تكون له الخلافة من بعده، وعلى أن لا يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان في أيام أبيه، وعلى أن يقضي عنه ديونه، فأجابه معاوية إلى جميع ذلك حتىٰ بعث إليه برق أبيض، وقال له: اكتب ما شئت فيه فأنا ألتزمه وإلى هذا أشار بقوله.

ولم يكن من رأيه سفك الدما　　　فاختار فصل الصلح تحقيقاً لما
قد قال جدّه النبيّ أحمد　　　أن ابني الحسن هذا سيّد

(ولم يكن من رأيه) أي رأي الحسن واجتهاده في أمر دينه (سفك الدما) بالقصر للوزن أي إراقة دماء المسلمين بقتلهم في طلب الخلافة (فاختار قصد

الصلح) مع معاوية (تحقيقاً لما، قد قال) وأخبر به من جملة المغيبات (جدّه النبي أحمد) المصطفى ﷺ، وهو في البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر، والحسن على جنبه ينظر إلى الناس مرةً وإليه مرة يقول: (إن ابني الحسن هذا سيّد) ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين، وفي رواية: أن الحسن رقي المنبر ورسول الله ﷺ يخطب فأمسكه والتفت إلى الناس فقال: «إن ابني هذا سيّد ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين عظمتين من المسلمين.

فراسل ابن صخر في الصلح على ... شروط اشترطها فقبلا
فسلم الأمر له وراح ... وأقام في طيبة واستراح

(فراسل) الحسن معاوية (بن) أبي سفيان بن (صخرَ) غير منصرف للوزن (في) إمضاء (الصلح على شروط اشترطها فقبلا) بألف الإطلاق أي فقبلها معاوية كما اشترطها (فسلّم) الحسن (الأمر) أي الخلافة العامة (له) أي إلى معاوية، فسمّي حينئذ أمير المؤمنين بحق، وقيل: كان ذلك باغياً لكنه مأجور باجتهاده (وراح) أي ارتحل من الكوفة (وأقام في طيبة) أي المدينة المطهرة (واستراح) من النزاع في أمر الخلافة، فكان أصحابه يقولون له: يا عار المؤمنين فيقول: العار خير من النار، وقال له رجل: السلام عليك يا مذلّ الإسلام والمؤمنين، فقال: لست بمذلّ المؤمنين ولكن كرهت أن أقتلكم على الملك، وما أفهمه كلام الناظم ككلام أهل السير من أن البادىء بطلب الصلح هو الحسن ينافي ما في صحيح البخاري عن الحسن البصري قال: استقبل الحسن بن علي رضي الله عنهما معاوية رضي الله عنه بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إني لأرىٰ كتائب لا تُولّىٰ حتى تقتل أقرانها، فقال له معاوية وكان والله خير الرجلين أي عمرو إن قتل هؤلا هؤلا، وهؤلا هؤلا مَن لي بأمور الناس،

من لي بنسائهم، من لي بضيعتهم؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس، عبدالرحمن بن سمرة وعبد الرحمٰن بن عامر بن كريز، فقال: اذهبا إلى هذا الرجل، فاعرضا عليه، وقولا له، واطلبا إليه، فأتياه فدخلا عليه فتكلّما، وقالا له وطلبا إليه، فقال لهما الحسن بن علي رضي الله عنهما: إنّا بنو عبدالمطلب قد أصبنا من هذا المال، وإنّ هذه الأمة قد عاثت في دمائها، قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك، قال فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئاً إلاّ قالا: نحن لك به فصالحه انتهى[٣١٧].

قال بعض المحققين ويمكن الجمع بينهما بأن معاوية أرسل إليه أولاً ثم كتب إليه الحسن بطلب ما ذكر من الشروط وصورة ما كتبه [الحسن] لمعاوية في الصلح: بسم الله الرحمٰن الرحيم هذا ما صالح عليه الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان، صالحه على أن يسلّم إليه ولاية المسلمين، على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين، وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً، بل يكون الأمر بعده شورىٰ بين المسلمين، وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالىٰ في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وعلى أن أصحاب عليّ آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا، وعلى معاوية بذلك عهد الله وميثاقه، وأن لا يبتغي للحسن بن عليّ ولأخيه الحسين ولا لأحد من بيت رسول الله ﷺ غائلةً سرّاً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق، أشهد عليه فلان بن فلان وكفىٰ بالله شهيداً[٣١٨]، ولما تم الصلح طلب معاوية من الحسن رضي الله عنهما أن يتكلم في جمع من الناس، ويعلمهم أنه قد سلّم الأمر إلى معاوية وبايعه فأجاب إلى

---

(٣١٧) رواه البخاري (٢٧٠٤ و٣٦٢٩ و٣٧٤٦ و٧١٠٩) والترمذي (٣٧٧٥) والنسائي (١٠٧/٣) وأبو داود (٤٦٦٢).

(٣١٨) رواه البخاري (٢٧٠٤) وانظر التعليق قبله. وانظر فتح الباري (٦١/١٣ - ٦٨).

ذلك، وصعد المنبر فحمد الله تعالىٰ وأثنى عليه، إلىٰ أنه قال: وقد علمتم أن الله تعالىٰ هداكم بجدّي، وأنقذكم من الضلالة، وأعزّكم به بعد الذلّة وكثّركم به بعد القلّة إن معاوية نازعني حقاً هو لي دونه، فنظرت لصلاح الأمة وقطع الفتنة، وقد كنتم بايعتموني على أن تسالموا من سالمني، وتحاربوا من حاربني، فرأيت أن أسالم معاوية وأضع الحرب بيني وبينه، وقد بايعته ورأيت أن حقن الدماء خير من سفكها، ولم أرد بذلك إلاّ صلاحكم وبقاءكم، وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين.

وكان أشبه الورىٰ بالمصطفىٰ وخير أهل عصره وأشرفا

وبما شرح الله به صدره من هذا الصلح ظهرت معجزة النبيّ ﷺ في قوله المذكور، وأخرج الدولابي: أن الحسن قال: كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمني ويحاربون من حاربني، فتركتها ابتغاء وجه الله تعالىٰ وحقن دماء المسلمين (وكان) الحسن رضي الله عنه (أشبه الورى بالمصطفى) ﷺ.

أخرج ابن سعد عن عبدالله بن الزبير قال: أشبه أهل النبي ﷺ به وأحبهم إليه الحسن(٣١٩)، رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته، أو قال ظهره فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل، ولقد رأيته وهو راكع فيفرّج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر.

وفي الصحيحين عن البراء: رأيت رسول الله ﷺ والحسن على عاتقه وهو يقول: «اللهم إني أحبّه فأَحِبَّه»(٣٢٠) وفي رواية عن أبي هريرة: «اللهم إني أحبّه

(٣١٩) صح ذلك عن أنس رواه عبدالرزاق (٢٠٩٨٤) والترمذي (٣٨٦٧) والطبراني في الكبير (٢٥٤٣) وأبو يعلى (٢/١٦٩) ورواه البزار (٢٦٣١ كشف الأستار) كاملاً من حديث عبدالله بن الزبير وفيه علي بن عابس وهو ضعيف.

(٣٢٠) رواه البخاري (٣٧٤٩) ومسلم (٢٤٢٢) والترمذي (٣٧٨٤).

فأحبَّه وأحببْ من يحبُّه »[٣٢١].

(و) كان (خير أهل عصره وأشرفا) سيداً حليماً كريماً زاهداً ذا سكينة ووقار جواداً ممدوحاً، خرج من مال الله مرتين، وقاسم لله ماله ثلاث مرات حتى إن كان ليعطي نعلاً ويمسك نعلاً ويعطي خفاً ويمسك خفاً، وسمع رجلاً يسأل ربّه عزّ وجل عشرة آلاف درهم، فبعث بها إليه، وأخرج أبو نعيم في الحلية أنه قال: إني لأستحيي من ربّي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته، فحجّ عشرين حجّةً ماشياً[٣٢٢]، وأخرج الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لقد حجّ الحسن خمساً وعشرين حجّةً ماشياً، وأن النجائب لتقاد بين يديه[٣٢٣].

وشكىٰ إليه رجل حاله وفقره بعد أن كان ذا ثروة فأعطاه خمسمائة دينار وخمسين ألف درهم، ثم اعتذر إليه أنه لم يجد غيرها.

وأخرج ابن عساكر أنه قيل له: إن أبا ذرّ يقول: الفقر أحبّ إليّ من الغنىٰ، والسقم أحب إليّ من الصحة، فقال: رحم الله أبا ذرّ، أمّا أنا فأقول: من اتكل إلى حسن اختيار الله له، لم يتمن أنه في غير الحالة التي اختار الله تعالىٰ له. وفضائله لا تفي بذكرها هذه العجالة.

وههنـــا تمت ثلاثـــون سنـــة خلافـــة النبـــوة المعينـــة

(وهٰهنا) للإشارة إلى المكان القريب، وقد يستعار للإشارة بها إلى الزمان كما هنا أي وقت نزول الحسن عن الخلافة لمعاوية، في شهر ربيع الآخر أو الأول كما مرّ (تمت) وكملت (ثلاثون سنة) التي هي (خلافة النبوة المعينة) وهو الخلافة التي أخبر النبي ﷺ أنها تكون بعده خلافة كاملة، ثم يصير ملكاً عضوضاً أي بعض الناس يجور أهله وعدم استقامتهم في الدين، ويصيب الرعية فيه ظلم،

---

(٣٢١) رواه البخاري (٢١٢٢ و٥٨٨٤) ومسلم (٢٤٢١).

(٣٢٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٣٥/٢).

(٣٢٣) رواه الحاكم (١٦٩/٣).

وذلك ما رواه أصحاب السنن الأربعة وصحّحه ابن حبان وغيره من أنه ﷺ قال: «الخلافة ثلاثون عاماً، ثم يكون بعد ذلك الملك» وفي رواية: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً عضوضاً»(٣٢٤) قال بعض الأئمة: لم يكن في الثلاثين بعده ﷺ إلاّ الخلفاء الأربعة، وأيام الحسن، فيكون هذا الحديث دليلاً واضحاً نصاً في حقيقة خلافة الحسن كالأربعة قبله، وهذا ما مشى عليه الناظم، وما في طوالع البيضاوي في بيان الثلاثين سنة الواردة في الحديث من خلافة الشيخين كانت ثلاث عشرة سنة وخلافة عثمان اثنتي عشرة وخلافة علي خمس سنين، فلعله لم يذكر أيام الحسن لقلتها ولاندراجها في خلافة أبيه وفي شرح المقاصد: أن خلافة أبي بكر كانت سنتين وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة وخلافة عليّ ست سنين، والحقّ أن خلافة أبي بكر سنتين وأربعة أشهر وخلافة عمر عشر سنين ونصفاً وخلافة عثمان عشر سنين وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر، والباقي للحسن رضي الله عنهم انتهى فتأمله.

ثم مات الحسن رضي الله عنه مسموماً من زوجته شهيداً كما نصّ عليه جماعة من المتقدمين والمتأخرين سنة تسع وأربعين كما صحّحه الواقدي، أو سنة تسع وخمسين كما عليه الأكثرون، ووراء ذلك أقوال، ودفن بالبقيع وقبره مشهور فيه، وعمره سبع وأربعون سنة، كان منها مع رسول الله ﷺ سبع سنين، ثم مات أبوه وله منها ثلاثون سنة، ومدّة خلافته ستة أشهر ثم عاش بعد ذلك تسع سنين ونصف وبيان ذلك: أن معاوية كان يحبه حبّاً مفرطاً ويعطيه عطاءً باهراً، فخشي يزيد بن معاوية أن يموت أبوه ويولي الخلافة الحسن لا غير، فسعى في

---

(٣٢٤) رواه أبو داود الطيالسي (٢٥٩٤) وأحمد (٥/٢٢٠ - ٢٢١) وفي فضائل الصحابة (٧٨٩ و٧٨٠ و١٠٢٧) وأبو داود (٤٦٤٦ و٤٦٤٧) والترمذي (٢٢٢٧) وحسنه والنسائي في المناقب (٥٢) والطبراني في الكبير (١٣ و١٣٦ و٦٤٤٢) وابن حبان (١٤٣٤ و١٤٣٥) وابن أبي عاصم في السنة (١١٨١) والحاكم (٣/٧١ و١٤٥) والبيهقي في المدخل (٥٢) ولم يروه ابن ماجه كما وهم المصنف.

قتله، فأرسل إلى زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي أن سمّيه بهذا السُمّ وأنا أتزوجك، وبذل لها مائة ألف درهم ففعلت، ومرض أربعين يوماً فمات، ثم أرسلت إلى يزيد تطلب منه ما وعدها فأبىٰ لخيانتها كذا جزم به ابن حجر في أسنىٰ المطالب وغيره[٣٢٥]، ونقل في شرح الأربعين إرشاء يزيد لقتله بقوله قبل، وكأنه تردّد في صحة ثبوته عنه فيه.

وبعد حتى عصرنا ليس يُرىٰ — مثل فتىٰ عبدالعزيز عمرا

(وبعد) أي بعد مدة الخلافة الكاملة وهي الثلاثون المذكورة (حتىٰ عصرنا) الذي نحن فيه وقد مرّ بيانه في شرح الخطبة (ليس يُرىٰ) بالبناء للمفعول أي ليس يعرف من الخلفاء بالعدالة (مثل فتى عبدالعزيز) بإضافة فتى إلى عبدالعزيز أي ابنه الكريم العادل المشهور (عمر) بيان فتىٰ، ويوهم كلام الناظم أن عمر بن عبدالعزيز أفضل من معاوية وليس كذلك، فإن الجمهور على أن الصحابة أفضل من جميع من جاء بعدهم حتى المهدي المنتظر، وشذ ابن عبدالبر فذهب إلى أنه يمكن أن يكون فيمن بعدهم من هو أفضل منهم لحديث أبي داود والترمذي: «يأتي أيام للعامل فيهن أجر خمسين منكم»[٣٢٦].

وللحديث الحسن أو الصحيح: «مثل أمتي مثل المطر لا يدرىٰ آخره خير أم أوله»[٣٢٧] ويعارض ذلك بحديث الصحيحين: «لا تسبّوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم ملء الأرض ذهباً ما أدرك مدّ أحدهم ولا

(٣٢٥) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٤٣/٨) وعندي أن هذا ليس بصحيح، وعدم صحته عن أبيه معاوية بطريق الأولى والأخرى.

(٣٢٦) رواه أبو داود (٤٣٤١) والترمذي (٣٠٦٠) وابن ماجه (٤٠١٤).

(٣٢٧) رواه أحمد (١٣٠/٣ و١٤٣) من حديث أنس وله طرق عن جمع من الصحابة انظر مسند الشهاب (١٣٤٩ - ١٣٥٢) وتعليقنا عليه.

نصيفه»[٣٢٨] وحديث البزار: «إن الله تعالىٰ اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين»[٣٢٩]. على أن الأفضلية والخيرية أمر نسبي، فقد يكون في المفضول مزية أو مزايا ليست في الفاضل، لكن يكون في الفاضل ما يفوق ذلك بمراتب، فلا يلزم من مجرد زيادة الثواب في بعض أعمال من بعدهم أفضليتهم، وقد صرحوا بأن فضيلة صحبة النبيّ ﷺ ورؤية وجهه الكريم لا يعادلها عمل، وكذلك لما سئل عبدالله بن المبارك عن عمر بن العزيز ومعاوية، أيّهما أفضل؟ قال: للغبار الذي دخل في أنف فرس معاوية مع رسول الله ﷺ خير من مائة مثل عمر بن عبد العزيز.

إذا عرفت ذلك فمعنى كلامه ليس يُرىٰ مثله في جزئيات تتعلق بالخلافة، كالعدالة الباهرة حتىٰ ورد بطرق أن الذئاب في أيام خلافته كانت ترعىٰ مع الشياه فلم تعدُ عليه إلا ليلة موته، وكالزهد والتشفّق فيها لا في جميع الفضائل حتى يلزم تفضيله على معاوية رضي الله عنهما وقد أشرت إلى ذلك في كلامه فاعرفه.

نبذة من عظيم صلاحه وعدله وجميع أحواله: هو عمر بن عبدالعزيز بن مروان، لما وُلّيَ الخلافة أظهر من العدل ما لم يعهد إلاّ في زمن الخلفاء الراشدين، ومن ثم قال السفيان الثوري كما رواه عنه أبو داود: الخلفاء الراشدون خمسة: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وعمر بن عبدالعزيز،[٣٣٠] وإنما لم يَعُدْ الحسن مع عظم صلاحه، لقصر زمنه، ولعدم اتفاق الناس عليه، وكذا لم يَعُد عبدالله بن الزبير مع كونه خليفةً حقاً كما قاله الذهبي، وكونه على جانب عظيم من الصلاح

---

(٣٢٨) رواه أحمد (١١/٣ و٥٤) والبخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤١) وأبو داود (٤٦٥٨) والترمذي (٣٨٦٠) والنسائي في فضائل الصحابة (٢٠٣) من حديث أبي سعيد.

(٣٢٩) رواه البزار (٢٧٦٣ كشف الأستار) وفي إسناده من هو ضعيف.

(٣٣٠) انظر سير أعلام النبلاء (١٣٠/٥ - ١٣١).

والزهد والعبادة، وأنه أول مولود في الإسلام، وحنكه الرسول ﷺ لأنه لم يتم له نفاذ الكلمة، واجتماع الأمة مثل ما تم لعمر بن عبدالعزيز، وبهذا يعتذر لكلام الناظم أيضاً فاعرفه.

وكان ابن الزبير ممن أبىٰ البيعة ليزيد بن معاوية، فلما مات يزيد دعا إلى بيعة نفسه البيعة الكاملة وتسمّىٰ بالخلافة، فأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان، وأطاع أهل الشام ومصر معاوية الصالح بن يزيد الفاسق، ولما مات معاوية، بايعوا ابن الزبير أيضاً، بل قال سعيد بن المسيب: إنما الخلفاء ثلاثة: أبو بكر وعمر وعمر، فقيل له: مَن عمر الثاني؟ فقال للقائل: إن عشتَ أدركته، وإن مت كان بعدك، هذا مع أن ابن المسيب مات قبل أن يلي عمر بن العزيز.

وصحّ أنه رضي الله عنه خرج إلى الصلاة وشيخ يتوكأ على يده، ثم قال له رباح بن عبيدة: من ذا الشيخ المتوكيء على يدك؟ قال: رأيته يا رباح قال: نعم، قال: ما أحسبك يا رباح إلاّ رجلاً صالحاً ذاك أخي الخضر أتاني ثم أعلمني أني سأَلي أمر هذه الأمة، وقال لي إني مساعدك فيها [٣٣١]، وأمه بنت عاصم بن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه.

يروىٰ أنه بينما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعِسّ بالمدينة ذات ليلة إذ سمع امرأة تقول لبنتها قومي إلى ذلك اللبن فشوبيه بالماء، فقالت: يا أمّاه أولم تسمعي منادي أمير المؤمنين: أن لا يشاب اللبن بالماء، فقالت لها: أين أنت الساعة من مناديه، فقالت: هب أن مناديه لا يراني، أما يراني ربّ مناديه، فأعجب عمر رضي الله عنه كلامها، فلما أصبح دعىٰ بالمرأة وابنتها، فسأل هل لها من زوج قالت: لا، فقال لأولاده من يتزوج هذه، فلو كان لي حاجة إلى النساء لتزوجتها، فزوّجها عاصم فولدت له بنتاً فجاءت تلك البنت بعمر بن عبدالعزيز، وكان عمر بن الخطاب يقول: من ولدي رجل بوجهه شجّة يملأ

(٣٣١) هذا كذب لم يصح عنه، والخضر مات وليس حياً.

الأرض عدلاً، وفي رواية كما ملئت جوراً، فكان ذلك عمر بن عبدالعزيز، وكان بوجهه شجة من دابة ضربته في جبينه وهو غلام، فجعل أبوه يمسح الدم عن وجهه ويقول: إن كنت أشجّ بني أمية إنك لسعيد، فصدق ظن أبيه فيه.

ومن عظيم عدله أنه ردّ جميع مظالم بني أمية وجورهم وما غصبوه واستولوا عليه بغير حقّ إلى أربابها حتّىٰ أفقرهم وأذلهم.

روي أنه لما وُلّيَ قدّمت إليه مراكب الخلفاء فقال: ما لي ولها؟ نحّوها عنّي وقرّبوا إليّ بغلتي فتركها، فجاء صاحب الشرطة يمشي بين يديه بالحربة، وقال تنحّ عنّي ما لي ولك؟ إنما أنا رجل من المسلمين ثم أمر بالستور والثياب التي تبسط للخلفاء فحملت، وأمر ببيعها وإدخال ثمنها في بيت المال، ثم ردّ جميع المظالم إلى أربابها، وسمعوا من منزله بكاءً عالياً فقيل له: ما هذا؟ فقيل: إن أمير المؤمنين خيّر جواريه، فقال: إنه قد نزل بي أمر شغلني عنكن، فمن أحبّت أن أعتقها، أعتقتها ومن أحبّت أن أمسكها أمسكتها، ولم يكن مني إليها شيء فبكين يأساً منه رحمه الله تعالىٰ.

قال جرير بن حازم: لما استخلف عمر بن عبدالعزيز قوّموا ثيابه التي عليه باثني عشر درهماً، وقال يزيد بن حوشب: ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبدالعزيز، كأنّ النار لم تخلق إلا لهما، ولقد أكثر البكاء حتى بكى الدم، وكان يجمع العلماء والفقهاء كل ليلة، فيتذاكرون الموت والقيامة، ويبكون حتى كأنّ بين أيديهم جنازة، ودخل يوماً بيته فقال لامرأته فاطمة بنت عبدالملك: هل عندك درهم أو قيمته يعني فلوساً أشتري به عنباً؟ فقالت: أنت أمير المؤمنين، ولا تقدر على درهم، قال: يا فاطمة هذا أهون من معالجة الأغلال يوم القيامة.

والأخبار في زهده وورعه وخوفه والإقبال بكله على الله تعالىٰ كثيرة لا تنضبط بهذه العجالة، ولما رأىٰ بنو أمية ما رأوا من عدله وانتقامه منهم للمظلومين، امتلأوا منه غيظاً وتسبّبوا في قتله بالسّم.

قال مجاهد: قال عمر بن عبدالعزيز: ما تقول الناس فيّ؟ قلت يقولون: مسحور قال: ما أنا بمسحور، وإني لأعلم الساعة التي سُقيتُ فيها السمّ، ثم دعا غلاماً له، فقال له: ويحك ما حملك على أن تسقيني السم؟ قال: ألف دينار أُعطيتها، وعلى أن أُعتق، قال له: هاتها فجاء بها فألقاها في بيت المال وقال: اذهب حيث لا يراك أحد (٣٣٢) ثم توفي رحمه الله بدير سِمعان بكسر السين من أعمال حمص لعشر بقين من رجب سنة إحدىٰ ومائة عن تسع وثلاثين سنة وستة أشهر، وكانت مدة خلافته سنتين وخمسة أيام، وقيل: وخمسة وعشرين يوماً وقيل له: لو أتيت المدينة، فإن مت دفنت بها في موضع قبر الرابع مع رسول الله ﷺ قال: والله لأن يعذبني الله بكل عذاب إلاّ النار أحب إليّ من أن يعلم الله مني أني لذلك الموضع أهل (٣٣٣). ونزل على الذين يسوّون التراب على قبره كتاب من السماء فيه أمان من الله تعالىٰ لعمر بن عبدالعزيز من النار.

لكن ملوك قد غزوا وعدلوا وذكرهم في غير هذا أجلُّ

(لكن) مضى في الإسلام (ملوك) وأمراء لا خلفاء، لأن الخلافة بعده ﷺ ثلاثون سنة كما مرّ، وبعد ذلك تسمّىٰ ملكاً لكن ينبغي حمله على الخلافة الكاملة كما أشرنا إليه سابقاً، لورود الأحاديث بتسميته من بعد الثلاثين خليفةً كما في الخلفاء الإثني عشر الذين وردت أحاديث في كونهم بعده ﷺ خلفاء (قد غزوا) جاهدوا في سبيل الله (وعدلوا) في الرعية واجتهدوا في صلاح الأمّة (وذكرهم في) كتاب (غير هذا) الكتاب الموسوم بذات الشفاء (أجل) أي أحسن لأن هذا لبنائه على الاختصار البالغ غايته لا يفي بذكرهم وذكر أحوالهم، ومن

---

(٣٣٢) انظر سير أعلام النبلاء (٥/١٤٠).

(٣٣٣) رواه الفسوي في المعرفة والتاريخ (١/٦٠٨) وابن سعد (٥/٤٠٤).

الأمراء العادلين والخلفاء المهتدين الخليفة المهتدي: محمد بن الواثق بن المعتصم، وكان من الصلاح والعدل على جانب عظيم بحيث أنه عدّ في خلفاء بني عباس، كعمر بن عبدالعزيز في خلفاء بني أمية لكنه لفساد زمانه لم يجد ناصراً ومعيناً، ولما ولّي الخلافة أخرج الملاهي وحرّم سماع الغناء والشراب، وأمر بنفي المغنيات وتغيير المنكرات وردّ المظالم، وحضر بعض الناس عشاءه في رمضان فكان ملحاً وخلاً وزيتاً، وذكر عنده أبوه الواثق القائل بخلق القرآن، فقال: لو جاز لي أن أتبرأ من أبي لتبرأت منه، وكان يلبس جبّة صوف وكساءً يصلي فيهما بالليل، ولما تألم الأمراء والرؤساء من أفعاله وتشديده في الحقّ، أجمعوا على قتله، فقتله بعض المتجبرين من أمرائه من الأتراك في رجب سنة ست وخمسين ومائتين، فكانت خلافته سنة إلاّ خمسة عشر يوماً (٣٣٤).

كابن سبكتكين وابن زنكـي فيوسف الناصر فاسمع واحكي

ثم ذكر بعضاً من الملوك العادلين بقوله (كابن سبكتكين) وهو السلطان محمود صاحب السيرة المرضية والمناقب العلية ابن سبكتكين، وشرح بعضهم هذا الإجمال: أن سبكتكين ورد بخارا في أيام نوح بن منصور أحد الملوك السامانية وكان وروده في صحبة أبي إسحٰق وهو صاحبه، ولما خرج أبو إسحٰق المذكور والياً إلى غزنة التي هي من أنزه البلاد وأحسنها، خرج معه سبكتكين وعليه مدار أموره، فلم يلبث أبو إسحٰق أن توفي، ثم اتفقوا على سبكتكين فبايعوه، فلمّا تمكّن شرع في الغزو والإغارة على أطراف الهند، فافتتح قلاعاً كثيرةً، وجرت بينه وبين الهنود حروب كثيرة، ثم إنه وصل إلىٰ مدينة بلخ فمرض بها واشتاق إلى غزنة، فخرج إليها فمات في الطريق في شعبان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ونقل تابوته إلى غزنة، ومدة ملكه ثلاث وثلاثون سنة.

---

(٣٣٤) انظر العبر (٣٦٧/١) وسير أعلام النبلاء (٥٣٥ ـ ٥٤٠).

وتولّىٰ الملك بعده ابنه السلطان إسماعيل بعهد منه إليه، وكان أخوه السلطان محمود بخراسان مقيماً ببلخ، فلمّا بلغه موت أبيه وتولية أخيه إسماعيل خرج إليه بجيش عظيم، فظفر به وحبسه واستولىٰ على الملك، ولما انتظم أمره سيّر له الإمام القادر بالله العبّاسي خلعة السلطنة ولقبه بسيف الدولة، ثم يمين الدولة وفرض السلطان محمود على نفسه غزو الهند في كل عام، ولم يزل يفتح من بلاد الهند حتى انتهىٰ إلى مكان لم يبلغه الدعوة في الإسلام ولا راية ولم يتل به قط آية ولا سورة، فوصل إلى بلد فيه الصنم المعروف بسومّنات، وكان الهنود يزعمون أن هذا الصنم يحيي ويميت ويفعل ما يشاء، وأن الأرواح إذا فارقت الأجسام اجتمعت لديه على مذهب أهل التناسخ، فينشئوها فيمن يشاء، ولم يبق من بلاد الهند والسند أحد إلاّ وقد تقرّب إلى هٰذا الصنم بما أحبه، حتى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية مشهورة وامتلأت خزائنه من أصناف الأموال، وكان ألف رجل يخدمونه، وثلاثمائة رجل يحلقون رؤوس حجيجه ولحاهم عند الورود عليه، وثلاثمائة رجل وخمسمائة امرأة يغنّون ويرقصون عند بابه، ولكل طائفة من هٰؤلاء رزق معلوم ذكر كله صاحب أخبار الدول وغيره.

وكان بين المسلمين وبين القلعة التي فيها هذا الصنم مسيرة شهر في مفازة صعبة المسالك قليلة الماء، فسار إليها السلطان محمود في ثلاثين ألف فارس منتخب، فلما وصلوا إلى القلعة وجدوها حصناً حصيناً، ففتحوها في ثلاثة أيام، ودخلوا بيت الصنم المذكور، فإذا حوله من أصنام الذهب المرصع بالجواهر عدّة كثيرة محيطة بعرشها، يزعمون أنها الملائكة وأحرق المسلمون الصنم المذكور فوجد في أذنه نيفاً وثلاثين حلقة، فسألهم السلطان محمود [عن ذلك]؟ فقالوا: كل حلقة عبادة ألف سنة، وكانوا يزعمون قدم العالم، وأن هذا الصنم يُعبَد أكثر من ثلاثين ألف سنة، فدحّضّ عن هذا البلد أدناس الكفر وأنجاس الشرك فرحمه الله تعالىٰ.

ومناقبه كثيرة وفي هذه الجملة كفاية، ولد في عاشوراء سنة إحدىٰ وستين

وثلاثمائة وتوفي، في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، ومدة ملكه نحو خمس وثلاثين سنة، ثم تولّىٰ بعده أولاده، وكانت دولة بني سبكتكين مائة سنة واثنتين وسبعين سنة (و) كنور الدين الشهيد محمود الملك العادل الزاهد المجاهد (ابن) الملك عماد الدين (زنكي) بن أوقْسَنقر التركي مملوك السلطان ملك شاه السلجوقي.

كان عماد الدين المعروف بزنكي: شديد الهمّة عظيم السياسة، فَوُلّي على الموصل وواسط مدينة بين البصرة والكوفة، ثم صار في سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة إلى حلب فاستولى عليها، ثم استولىٰ علىٰ حماة وحمص وبعلبك وحاصر دمشق ولم يملكها، ثم توجه لفتح قلعة جعبر فحاصرها فأصبح مقتولاً على فراشه قتله بعض خواصه، فدفن بالرقة بلد معروف على الفرات واسطة ديار ربيعة، ولما استولى ابنه سيف الدين على الموصل وابنه الآخر محمود وهو نور الدين على حلب، ولد نور الدين الشهيد محمود يوم الأحد سابع عشر شوّال سنة إحدىٰ عشرة وخمسمائة بمدينة حلب، كان رحمه الله حسن الصورة، ملكاً زاهداً حنفي المذهب عابداً عادلاً مُغرماً بالجهاد، فغزا وأظهر العدل، وفتح نيفاً وخمسين حصناً، ثم قصد دمشق مرتين وملكها في الثالثة. وحصّن سورها وضبط أمورها، فبنىٰ بها المدارس والمساجد ونشر العلم ووقف لها أوقافاً كثيرةً، وكان الفرنج يَومئِذ ملكوا القدس وسواحل الشام إلى عسقلان، ثم طمعوا في دمشق، وكان أهلها يؤدون الضريبة للفرنج، وذلك بعد اختلال ملك بني العباس، وزواله من الآفاق واستيلاء الأعداء عليها، حتّىٰ لم يبق لهم إلاّ مجرد الاسم في بغداد، ثم زال ملكهم عنها وتحولوا إلى مصر وانقطعوا، وكان رحمه الله عالماً فقيهاً متواضعاً محبّاً لأهل الدين، وأحب الناس إليه العلماء والفقراء، ثابت القدم في الحروب، يتقدم الجيش في القتال رجاءً للشهادة، وأقطع للعرب إقطاعاً [إقطاعات] لئلا يتعرضوا للحجّاج، وانقمعت البدعة في أيّامه، واتسع ملكه حتى خطب له بالحرمين وباليمن، ومن محاسنه: أنّه لم يسمع منه كلمة فحش في رضاه وفي غضبه

حتى قضىٰ ليله ونهاره على عدل وعبادة، وكان مقتصداً في الإنفاق، ولا ينفق لنفسه وعياله إلاّ مما يخصه من ملكه باشتراء أو غيره، وإذا أراد أن يصرف من بيت المال استفتىٰ العلماء، فيأخذ ما أفتوا بحلّه، ولم يستعمل قطّ ما حرمه الشرع من حرير ونحوه، ومنع الناس من شرب الخمر وبيعها في جميع البلاد، ومن جملة عدله: أنه أبطل المكوس في جميع مملكته من الشام والجزائر والموصل وغيرها، وسبب ذلك أن وزيره خالد بن القيرواني قال له: رأيت في المنام كأني أغسُل ثيابك ففكّر ساعة، ثم أمر بإبطال جميع المكوس، وأرسل إلى البلاد وأمر الخطباء أن يسألوا الناس ليحاللوه في الزمن الماضي، وكان إذا أقبل عليه واحد من العلماء والصوفية يقوم من حين رآه، ويُجلسه معه على السجادة ويصله بصلات كثيرة، ومع هذا التواضع كان له وقار وهيبة عظيمة مع أمرائه وأجناده، فلا يجلس في مجلسه أمير إلاّ بإذنه، وإذا أعطىٰ أحداً من العلماء والصوفية يقول تسكيناً لقلوب من عنده من الأكابر: هٰؤلاء لهم حق في بيت المال، فإذا أقنعوا منّا ببعضه فلهم المنّة علينا.

وَلَمّا التقى المسلمون والفرنج علىٰ تلّ حازمٍ موضع، انفرد نور الدين على التلّ، وصلّىٰ ركعتين وجعل يتمرّغ في التراب، ويقول: يا ربّ إن نصرتَ دينك فلا تمنعهم النصر بذنوب محمود فاستجاب الله تعالىٰ دعاءه ونصرهم على الفرنج. ومناقبه أجلّ من أن تحصىٰ، ويكفيه فخراً ومنقبة قول الإمام العلاّمة شهاب الدين أبي شامة شيخ النووي: نظرتُ في سير الملوك فما رأيت بعد عمر بن عبدالعزيز مثل نور الدين الشهيد، ويكفيه أيضاً: أنه رأىٰ النبيّ ﷺ ثلاث مرّات في ليلة واحدة وهو يقول كل مرة: يا محمود أنقذني من هذين الشخصين وهما أشقران، فذكر ذلك لوزيره فقال: هذا أمر حدث بالمدينة ليس له غيرك، فتجهّز بمقدار ألف راحلة حتّىٰ دخل المدينة على حين غفلة من أهلها، فأظهر أنه جاء ليتصدّق على أهلها، فعمل ضيافة وأمر بجميع أهلها إليها فلم يرَ الرجلين الأشقرين، ثم كرّر الضيافة وجدّ في طلبها، فلما رآهما قال للوزير: هذان فدعا

بها [فدعاهما] فسألها فقالا : جئنا للمجاورة، فقال: أصدقاني وعاقبهما فأقرّا أنهما من النصارىٰ، وأنهما دخلا المدينة لكي ينقلاه من الحجرة الشريفة باتفاق من ملوكهما، ووجدهما قد حفرا الأرض من تحت حائط المسجد القبلي، وجعلا التراب في بئر عندهما، فقتلهما عند الشباك وأحرقهما، ثم رجع إلى الشام بعد أن حفر خندقاً حوالي الحجرة وسكب فيه الرصاص كذا في أخبار الدول.

وتوفي رحمه الله يوم الأربعاء حادي عشر شوّال سنة تسع وستين وخمسمائة، ودفن بقلعة دمشق، ثم نقل إلى تربته داخل المدرسة التي أنشأها بقرب سوق الخوّاصين، ومدة ملكه ثمانية وعشرون سنة. ثم ذكر الناظم من أجلّ الملوك العادلين يوسف الناصر، ولكونه عقب نور الدين الشهيد ومشابهاً به في العدل وغزو الفرنج عطفه على ما قبله بالفاء فقال:

(فيوسف) السلطان صلاح الدين الملك (الناصر) لقبه وكنيته أبو المظفر فاتح الفتوح بركة أهل زمانه وهو ابن الملك الأفضل أيوب الملقب بنجم الدين، كان مولد أبيه بدُوين بضم الدال وكسر الواو بلدة قرب إربِل وهي بلدة الأكراد كما في تأريخ ابن خلكان، لكن خربت أكثر ديارها، ولم يبق لها إلاّ الاسم، واشتهرت تلك الولاية في لسان الأكراد بولاية صوران، فيوسف المذكور كرديّ الأصل، ثم انتقل أيوب إلى تكريت، فولد بها ابنه المذكور سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ثم قدم به أبوه إلى دمشق وهو رضيع ونشأ في حجر والده، وسمع الحديث من جماعة معتبرين، وكان ذكياً تقياً، ثم اتصل أبوه نجم الدين بالملك نور الدين الشهيد فخدمه هو وولده يوسف الناصر خدمةً بالغةً، فصارا مقرّبَيْن عنده، ولما ضعف حال المصريين الفاطميين عن مقاومة الفرنج بديار مصر استنصر خليفتهم العاضد بنور الدين الشهيد في دمشق، فجهّز نور الدين عسكراً أمّر عليهم أسد الدين وبعث معه أخاه نجم الدين وولده صلاح الدين يوسف فدخلوا مصر آمنين، ثم لما قتل وزير العاضد تولّى أسد الدين الوزارة للعاضد، ثم مات وتولّىٰ صلاح الدين المذكور بعده الوزارة واستفحل

أمره إلى أن صار في الحقيقة هو السلطان وبقي للعاضد مجرد الاسم، ثم توفي العاضد وقبض صلاح الدين على الفاطميين بأسرهم، واستولى على القصر وخزائنه وفيها أموال لا تحصى، فأباد ملك [الخلفاء] الفاطميين الروافض، وأهان الرفض ونصر السنة، وكان الفاطميون قد بلغوا في سوء السيرة والعقيدة إلى حد أفتى علماء الإسلام بإباحة دمائهم ووجوب قتالهم لإلحادهم وزندقتهم.

وفي أسنى المطالب: عبدالله بن عبيد جدّ بني عبيد وهم خلفاء المصريين الروافض بل أكثرهم ملاحدة كفار، ومن عجيب أمرهم أنّهم يزعمون الشرف وأنهم من أهل البيت، وتسمّوا بالفاطميين، وجدّهم مجوسي كما ثبت ذلك في محضر خط أكابر أئمتنا الشافعية وغيرهم انتهى.

ثم تحركت همة السلطان صلاح الدين يوسف لغزو الفرنج وانتزاع البلاد من أيديهم، فآل أمره إلى أن استولى بعد نور الدين الشهيد على الشام وأنقذ بيت المقدس من أيدي الفرنج بعد أن كان في أيديهم قريباً من مائة سنة كما مرّ في مبحث تعمير القدس.

والإشارة إلى شيء يسير من ذلك أن السلطان صلاح الدين يوسف الناصر لما كثرت في البلاد التي استولى عليها الفرنج من فتوحاته وأوجعت في أهل الكفر سهامه وسطواته كان لا يتجاسر على فتح بيت المقدس لكثرة ما فيه من الأبطال والعُدد والرجال، كما لم يتجاسر عليه نور الدين الشهيد قبله لذلك، وكان فيه من الفرنج أكثر من مائة ألف، والمقاتلون الشجعان منهم ستون ألفاً، فصار إذ ذاك كرسيّ مملكة النصارى، فكتب بعضهم أبياتاً على لسان القدس وأرسلها إلى السلطان الناصر وهي هذه:

يا أيها الملك الذي ... لمعالم الصلبان نكّس
جاءت إليك ظلامة ... تسعى من البيت المقدس
كل المساجد طهرت ... وأنا على شرفي منجس

فأخذته غيرة الإسلام وصارت الأبيات هي الداعية له على فتح بيت المقدس، فنهض من دمشق كنهوض الأسد لاستنقاذ القدس سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة في مستهل المحرم، وبايع الله ورسوله على نصرة الإسلام، فكتب إلى الأقطار والبلاد يستدعي الجموع للجهاد، فقدم بجيوشه الصائلة وعساكره المتواصلة إلى بلاد السواحل، فجالت خيوله وسالت سيوله، والتوفيق يسايره والسعد يظاهره، والعزّ يسامره، والظفر يجاوره، والإسلام شاكره، والله عزّ وجلّ ناصره، حتىٰ انتهىٰ الفتح به إلى عسقلان واستولىٰ على ما كان في أيديهم من البلدان، ومحىٰ رسم النحوس وأقام جاه الأذان، وانكسر ناموس الناقوس، وخمدت توراة القسوس، ثم قام السلطان من عسقلان للقدس الشريف طالباً، ولذيل العز ساحباً، فلما بلغهم خبر وصوله، بفروعه وأصوله، امتلأت قلوب الفرنج رعباً وطاشت، واضطربت أفئدتهم من جيش الإسلام وجاشت، وتمنت الفرنج أنها ما عاشت، فقام بالتدبير للإدبار أواخرهم وأوائلهم، وضاقت بهم منازلهم، ثم تقاسموا على بذل المهج في القتال، كقتال الأُسْد على الأشبال، فجاء السلطان إلى أن نزل غربي القدس يوم الأحد خامس عشر رجب، وقلب الكفر قد وجب، فقام ستون ألف مقاتل من الفرنج دون البلد، يبارزون ويحاجزون ويعاجزون ويقدمون ويحجمون، ثم نادوا كل واحد منا بعشرين، وكل عشرة بثمانين، فقاتلوا أشدّ قتال، ونازلوا أشدّ نزال، فدارت بينهما الحرب، واستمر الطعن والضرب، إلى أن ضيّق جيش الإسلام على الفرنج المسالك، ووسّعت عليهم مهامِهَ المهالك، ونصبوا عليهم المجانيق والمدافع، وليس لها دافع، فكأنّ شرار نجوم من السماء تنقض، أو صخور من الأرض ترفضّ، حتى طلع من أفق الفتح أنوار، وطفق شمل الفرنج في الانتشار، فجاء رئيسهم يتضرع إلى السلطان، بحلفه وموثقه ويطلب الأمان، لقومه وفريقه فتمنّع السلطان، وقال: لا صلح لكم ولا أمان، إلا أن نديم لكم الهوان، وننزلكم بالصغار على حكم القرآن، فقالوا للسلطان إذا أيسنا من أمانكم، وحرمنا من إحسانكم، وأيقنّا أن

لا نجاة ولا نجاح، ولا صلح ولا صلاح، فالسبيل أن نقاتل قتال الدّم، ونقابل الوجود بالعدم، ونرمي أنفسنا في الحرب والنار، ولا نلقينا بأيدينا إلى تهلكة العار، ثم إنا نقلع الصخرة، ونبقي لكم عليها الحسرة، ونخرّب الدور ونخرق القبة، ونجعل لكم بالشح بأماننا السُّبه، وأمّا ذرارينا فإنا نعدمها بالقتل ولا نبقيها، وأمّا أموالنا فنغطيها في الأرض ولا نعطيها، فرب سبة جاءت من الشحّ، ولا يصلح السوء سوى الصلح.

فَعَقَد السلطان مجلساً للمشورة، فشاور أكابر جيشه المنصورة، فقالوا له: قد خصك الله بالسعادة، وأخلصك لهذه العبادة، ورأيك راشد وعزمك لضالة النصر ناشد، فاستقرّ الحال بعد مراودات ومعاودات، وضراعات من الفرنج وشفاعات، على صلح يشترون به أنفسهم وأموالهم، ويخلصون نساءهم وأطفالهم، ثم ضرب عليهم صغيرهم وكبيرهم خارجاً بالحق، على من عجز عن وفائه بعد أربعين يوماً رضي بالرّق، ثم سلّموا البلد يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب، ثم شرع الفرنج في بيع ما عندهم من الأمتعة في سوق الهوان، بأبخس الأثمان.

فمن أراد الخروج خرج، ومن أقام رضي بذل الجزية وعدم الفرج، ثم دخل السلطان البلد على هيئة التواضع والوقار، ولقيه الأكابر والأخيار، والعيون من فرط المسرة تدمع، والقلوب للفرح بالنصر تخضع، ثم أمر بتقديس القدس عمّا أحدثه الفرنج، فبطل الإنجيل، وتُلِيَ القرآن والتنزيل، فطهّر المحراب وصفت العبادات، وأقيمت الصلاة وتليت الآيات، ونطق الأذان وخُرس الناقوس، وأدبرت النحوس وغاب القسوس، واستبشر الزهّاد والعبّاد، والأبدال والأوتاد (٣٣٥) والراكع والساجد، والخاشع والمجاهد، ثم طار صيت هذا الفتح، الشريف في المشارق والمغارب، وجاءت المكاتيب إلى السلطان نظماً ونثراً للتهنية

---

(٣٣٥) أحاديث الأبدال لا يصح منها شيء، وليس في الأوتاد حديث.

بهذا الفتح من كل جانب، ورتب السلطان في القدس من وجوه القربات ما يطول شرحه، فالحمدلله ربّ العالمين. توفي السلطان رحمه الله تعالىٰ في صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة، ووقائع هذا السلطان مع الفرنج ونكايته فيهم وضبط حصونهم وتشريدهم من البلاد، لا يسعها المحل، ولولا خوف الإطالة لزيّنا شرحنا ببعض غزواته.

(فاسمع) ما ذكر من سيرهم وأحوالهم (واحكِ) ذلك لغيرك لعلّه يتخلق بها.

وكملت ذات الشفا في سيرة ... المصطفى والخلفاء الخمسة
أبياتها جاءت ثوان كُملا ... عام حساب صح ذاك جمّلا

(وكملت ذات الشفا في) علم يبحث فيه عن (سيرة المصطفى) ﷺ (والخلفاء الخمسة) وقد كمل شرح ذلك ولله الحمد (أبياتها) المذكور فيها (جاءت) وحصلت حال كونها (ثوان) وأصله ثواني لكونه منصوباً وحذف الياء للوزن كما في قوله: «ولو أن واشٍ باليمامة داره» أي معدودة بما دلّ عليه الثاء المثلثة في أول ثوان بحساب الجمّل وهو خمسمائة بيت تقريباً، وإنما قيدنا بقولنا تقريباً لأنا عددنا من أولها إلى هذا البيت مراراً فكان أربعمائة وتسعين إلاّ أن يكون إسقاط هذا الناقص من النساخ في أثناء الأبيات، ولا يجوز عدّ ما بعد هذا البيت منها لتكميل خمسمائة لتصريحه بأنه كالتتمة والخاتمة وليس من ذات الشفاء فظهر أن كتابة النساخ الجيم من جاءت والكاف من كملا بالحمرة إشارة إلى الحساب من أوهامهم، وفي قوله ثوان إشارة إلىٰ أن أبياتها مثنىٰ مثنىٰ يعني جعل كل بيتين بيتين بيتاً لأن الأصح شطور الرجز أن كل شطر بيت على حدة، هذا إذا لم يزدوج بين شطرين شطرين كما في قوله:

أزمان أبـدت واضحـاً مفلّجـا   أغـرّ بـرّاقـاً وطـرفـاً أبـرجـا
وفاحماً ومرسناً مسرّجاً، إلى آخرها

وأمّا الأراجيز المشطورة المزدوجة فالأولى أن يعدّ كل شطرين بيتاً كما في مثل ألفية ابن مالك، ولو قال لإفادة هذا المعنىٰ مثان بدل ثوان لكان أظهر فتأمله؛ ثم استأنف لتاريخ عام إتمامها فقال (كملا) أي النظم المسمّىٰ بذات الشفاء (عام حساب) (صحّ ذاك) أي المذكور من عدد أبياتها ومن تاريخ عام إتمامها (جمّلا) بضم الجيم وتشديد الميم، ويجوز تخفيفها أي حساب الجمل، وهو حساب حروف أبي جاد كما مرّ تفصيله أول الكتاب، أي عام ثمان وتسعين وسبعمائة، كما دلّ عليه الحاء والصاد والذال الممتازة في الكتابة بالحمرة أوائل الكلمات المذكورة إشارةً إلى الحساب.

خامس عشر الحجة المحـرّمـة   ثالث يوم من وقـوع الملحمـة
أعني بني الأصفـر لما اقبلـوا   وتحت رايات الوفـاء وصلـوا

وكان ذلك (خامس عشري) شهر ذي (الحجة المحرّمة) من ذلك العام (ثالث يوم) بدل مما قبله (من وقوع الملحمة) وهي الوقعة العظيمة التي كثر فيها القتل (أعني) بهذه الملحمة ملحمة المسلمين مع (بني الأصفر) أراد بهم ملوك الروم سمّوا بذلك لأنهم أولاد الأصفر بن روم بن عيصو بن إسحٰق عليه السلام، أو لأن جيشاً من الحبشة غلب عليهم الروم فنكحوا نساءهم فولد لهم أولاد صفر من سواد الحبشة وبياض الروم كما في القاموس وغيره، وذلك (لما أقبلوا) إلى بلاد الإسلام (وتحت رايات) جمع راية أي أعلام (الوفاء) أي الصدق وعدم الفرار والخيانة (وصلوا) وتعاهدوا على الاتفاق لقهر الإسلام.

يقـدمهـم ملـك الأنكـروس   في الآرض والفرنـج ثم الروس

والسرف والافلاق والبلغار | ونحوهم من سائر الكفارِ
فاجتمع الكل بقلب واحدِ | على ابن عثمان الفتى المجاهد
قالوا جميعاً معشر الأبطال | إن لم تقوموا قومة الرجال

(يقدمهم) بضم الدال من قدم كنصر أي يتقدمهم ويجرّهم (ملك الأنكروس) بنقل حركة الهمزة إلى اللام للوزن قيل: هي مدينة عظيمة حصينة دار ملك كبير النصارى الذي يسمونه قرال (في الآص) أي مع ملك الآص وطائفة (الفرنج) بفتح الفاء والراء وسكون النون بعد جيم، ويقال أيضاً: الإفرنج وأرضهم واسعة جداً فيها نحو مائة وخمسين مدينة لكنها لرداءتها لا تصلح للزرع ولهم صبر وشدة في الحرب يرون القتل عندهم أسهل من الفرار (ثم) طائفة (الرّوس) بضم الراء وهم أمة عظيمة من الترك بلادهم متاخمة، وهم بيض شقر لهم لغة مخالفة لسائر الترك، وهم أنحس خلق الله تعالىٰ، لا يحترزون عن النجاسة كما في أخبار الدول وغيره.

(و) مع ملك (السرف) (و) مع ملك (الأفلاق) (و) ملك (البلغار) مدينة عظيمة على ساحل البحر مبنية من خشب الصنوبر وسورها من خشب البلوط وحولها من أمم الترك ما لا يحصىٰ، والبرد عندهم شديد لا يكاد الثلج ينقطع عن أرضهم صيفاً ولا شتاءً (و) مع طوائف أخرىٰ (نحوهم من سائر الكفار) منهم قرال ألمان وأمير لاطين وأمير بوسنه وصاحب بوليه وغيرهم (فاجتمع الكلّ) من أولئك الكفار ومن تبعهم ملتبسين في المجيء إلى بلاد الإسلام (بقلب واحد) تركيب إضافي أو توصيفيّ أي بما في قلب واحد من عدم التردّد والاختلاف (على) سعد إيلد روم بايزيد كما سيصرّح به (ابن) السلطان مرادخان ابن السلطان أورخان ابن السلطان (عثمانَ الفتىٰ) الشجاع الكريم (المجاهد) في سبيل الله، وهما نعت لابن إذ هو المقصود بالإيضاح لا عثمان وإن كان موصوفاً بذلك وعثمان هذا أبو السلاطين العثمانية كما سبق

تفصيله في شرح الخطبة (قالوا) أي الكفار المجتمعين على ابن عثمان المجاهد بعضهم لبعض (جميعاً) يا (معشر الأبطال) جمع بطل وهو الشجاع الذي يبطل عنده دماء الأقران (إنْ لم تقوموا) لحرب الإسلام (قومةً) أي قيام (الرجال) الشجعان الثابتين في الحرب ولم تقهروا المسلمين.

لَيُأخُذنكم بلداً بعد بلد ولم يكن يترك منكم من أحَد
فاستوعبوا ممالك النصارىٰ وجمعوا الصغار والكبارا
وانتخبوا كل شجاع بطل يظن أن يرد ألف رجل
وفعلوا ذلك في سنينا وبلغوا الآلاف من مئينا
غرهم البابا فجاؤوا كلهم وجندهم وخيلهم ورجلهم

(ليأخذنكم) بالنون الخفيفة أي ليأخذن ابن عثمان بلادكم (بلداً بعد بلد، ولم يكن يترك منكم من أحَدٍ فَاستَوعَبوا) أي جمعوا ما استطاعوا (ممالك) جمع مملكة وهي عزّ الملك وسلطنته أي أهل كل مملكة من ممالك (النصارىٰ، وجمعوا الصغار والكبارا) عطف تفسير للجملة قبله أي جمعوا من كان يصلح للقتال منهم أو هو كناية عن كثرة جمعهم (وانتخبوا) أي اختاروا (كل شجاع) بتثليث الشين وهو الشديد القلب عند البأس والحرب (بطل) وهو الشجاع الذي تبطل عنده جراحاته لا يبالي بها، أو تبطل عنده دماء الأقران (يظن) ذلك البطل ويقدر في نفسه، أو هو مجهول أي يظنه غيره (أن) الشأن (يردُّ) بالرفع لجعل أن مخففةً من المثقلة رافعةً لضمير الشأن كما قررنا، وجعلها مصدريةً ناصبة بعيد (ألف رجل، وفعلوا ذلك) الجمع العظيم (في سنينا) بألف الإطلاق لأنّ مثل هذه العِدّة والعُدّة لا يتم غالباً في سنة ولا في سنتين (وبلغوا) في الكثرة (الآلافَ) جمع ألف وأقله ثلاثة آلاف (من مئينا) جمع مائة وأقله ثلاثمائة فيكون أقل ما جمعوه من العساكر ثلاثمائة ألف (غرّهم) أي خدعهم وأطمعهم

بالباطل (البابا) الذي تطيعه الفرنج وهو عندهم بمنزلة الإمام لا يخالفون رأيه، ومسكن البابا رومية الكبرىٰ التي هي من عجائب الدنيا ودار رياسة الروم والآن في يد الفرنج وهي في شمال غربي القسطنطينية (فجاؤوا كلهم) لاغترارهم بقول البابا (و) جاء (جندهم) أي عساكرهم وهو بدل ممّا قبله ثم بين الجند بقوله: (وخيلهم) أي فرسانهم (ورجلهم) بفتح وسكون الجيم اسم جمع لراجل كصحب وركب لصاحب وراكب.

فَحَضَّهم علىٰ قتال الترك — وقهرِ الإسلام وأخذ الملك
الروم والشام وبيت المقدس — هذا الذي أضمره الأنكروسي
والله من ورائهم محيط — وكيدهم في نحرهم يحيط
فقطعوا النهر الطويل طونه — على زها ألفين من سفينة
واجتهدوا في حصر نيكابول — فانقلبوا بخيبة المأمول

(فحضّهم) أي حرضهم البابا المذكور (علىٰ قتال الترك) أي قتال سلطان المسلمين من الترك لأن السلاطين العثمانية أصلهم من الأتراك كما عرفت سابقاً (وقهر) دولة (الإسلام وأخذ الملك) من أيدي سلاطين الإسلام (الرومِ) بالجر بيانِ لِمَلِكِ الإسلام (و الشام وبيت المقدس) من ذكر الخاص بعد العام لشرفه (هذا) المذكور من قهر جميع الإسلام هو (الذي أضمره) في نفسه ثم أظهره لأتباعه فرال (الأُنكُرُسي). بتخفيف الياء للوزن نسبة إلى انكروس بحذف الواو في النظم (والله) عزّ وجلّ (من ورائهم) وهم غافلون (محيط) بهم أي لا يفوتونه كما لا يفوت المُحاط المحيط (وكيدهم) لأهل الإسلام (في نحرهم) أي صدرهم (يحبط) فعاقبة مكرهم التدمير والإهلاك لهم، والله متم نوره ولو كره الكافرون. (فقطعوا النهر الكبير) المحوّج إلى السفن وهو الذي يسمىٰ نهر (طونه) ويقال أيضاً نهر ثونه بالثاء المهموسة راكبين (علىٰ زها) بضم

الزاء والقصر للوزن وأصله المدّ من زهوته بكذا أي قدرته حكاه الصغاني قلبت الواو همزةً لتطرفها أثر ألف زائدة كما في كساء أي على قدر (ألفين من سفينة) مملوءة من الخيل والرجال (واجتهدوا في حصر نيكابولي) أي في حصارها والتضييق على أهلها ليأخذوها (فـانقلبـوا) ورجعـوا (بخيبـة) (المأمـول) أي ملتبسين بالخيبة والحرمان عن مقصودهم الذي هو قهر الإسلام، ثم بين ذلك بقوله:

وأخـــذوا وقُتّلـــوا تقتيلا　　　وَنُكّـــل العـــزىٰ بهم تنكيلا
بسعد بايزيـد أولى مـن ملـك　　　أيّـــده الله بـــآلاف ملـــك
فهـو الذي كسرهـم بنفسـه　　　كما أذاقهـــم أليم بـــأســـه
فلم يـــرد منهـــم مخبّـــراً　　　إلا قليلاً مثلــه لا يــذكــر

(وأخذوا) أخذاً ذريعاً (وقتّلوا تقتيلا) بكل فجّ (ونُكّلَ العزّى) تأنيث الأعز، وقد مرّ أنّ العزىٰ سمرة كانت غطفان يعبدونها فقطعها خالد بن الوليد فهي صنم للعرب لا للنصارىٰ، وإنّما هم عبّاد الصليب، لكن الأصنام لاشتراكها في البطلان في حكم واحد (بهم تنكيلا) يقال نكّل تنكيلا أي صنع به صنيعاً عجيباً يعتبر كل من رآه به، وذلك التنكيل والتكبيل والإهانة والتذليل كائن (بسعد) إيلد روم (بايزيد) كنيته وأصله أبا يزيد فخفّف بحذف الهمزة كقولهم في مثل أبا ذرّ (أَوْلىٰ) أي أحسن (من ملك) أمور الناس إذ كان رحمه الله من خيار ملوك الأرض مجاهداً مرابطاً، وقد فتح من بلاد الكفار ما لم يبلغه أحد.

قال في أخبار الدول: توفي في أسر تيمور الذي فعل ما فعل من مفاسد الأمور، وذلك أن تيمور أقبل على السلطان بايزيد بجيش لا قبل لهم به بغتةً من غير تهيئة للسلطان، وكان قد حلف قبل ذلك أن لا يفرّ من تيمور، فانهزم جيش السلطان وبقي في القلب وحده فأخذ وأُسِرَ ومات في الأسر، (أَيّده الله)

دعاء له من الناظم (بآلاف ملك) من الملائكة (فهو الذي كسرهم) وهزمهم (بنفسه كما) انهزم المسلمون وبقي هو وحده في القلب ولم ينهزم فتضرع إلىٰ الله تعالىٰ وحارب حتّىٰ انهزم الكفار ونصر الله المسلمين فقتلوهم (وأذاقهم أليم بأسه) وصولته في الحرب (فلم يردّ منهم مخبّرا) بتشديد الباء أي لم يبق منهم مَن يخبر مَن وراءهم بما فعل بهم المسلمون من القتل والأسر إلاّ قليلاً مثله أي مثل ما وقع بهم من عظيم القتل والأسر والغنيمة (لا يذكر) في حرب من الحروب قال صاحب كتاب أخبار الدول: وفي سنة سبع وأربعين وثمانمائة نزل السلطان مرادخان ابن السلطان محمد ابن السلطان السعد بايزيد ابن السلطان مرادخان عن السلطنة، وخلع نفسه لابنه السلطان محمد خان، واختار العزلة في مدينة مغنيسا وشاع هذا الخبر في الآفاق، فسمع الكفار باعتزاله ونزوله عن السلطنة لابنه، فقال بعضهم لبعض: إن ابنه صغير لا هيبة له ولا يُخشىٰ منه، فاتفق قرال أنكروس وقرال ألمان وصاحب أفلاق وطائفة الفرنج وغيرهم من ملوك النصارىٰ على قتال المسلمين، وأن لا يتركوا من بلاد الإسلام حجراً علىٰ حجر، فلمّا بلغ ذلك أركان الدولة وأعيانهم خافوا واستصوبوا أن يردّوا السلطان مراد من مغنيسا تبرّكاً به، لأنه شاعت بذكره الأخبار، وطالما أوجع سطواته الكفار، فأرسلوا إليه فامتنع وقال: سلطانكم دونكم وخلّوني فلم يزالوا به حتّىٰ رضي وسار مع ولده السلطان إلى جبهة العدو، فلما تصافّ الطائفتان والتقى الجمعان تكابر كل من الفريقين على الآخر واتفق أن انهزم المسلمون، وجعل الكفار يطردونهم ويقتلونهم، ولم يبق إلاّ السلطان مرادخان في القلب، فلمّا شاهد هذه الحالة رفع يديه إلى السماء وتضرع إلى الله عزّ وجلّ، وسأله النصر، واستغاث بالنبي ﷺ [٣٣٦] فلم يمض ساعة إلاّ اغتر قرال أنكروس هو كبيرهم، فبرز من عسكره، وانفرد ودعا السلطان مراد إلى مبارزته، ثم هجم على المسلمين فتقطر به

---

(٣٣٦) الاستغاثة بغير الله كفر، ولذلك لا نظن أن السلطان فعل ذلك.

فرسه، فتسارع إليه المسلمون فقطعوا رأسه ورفعوه على رمح وصاحوا: هذا رأس قرال الملعون، فلما رأى الكفار ذلك انهزموا عن آخرهم، وساق المسلمون خلفهم يقتلونهم قتلاً ذريعاً، فكان ذلك اليوم يوم غمّ وسرور والعاقبة للمتقين.

وأمّا الغنائم والأسارى فلا تحصى، ثم إن السلطان لما رجع من الغزو أمضى سلطنة ابنه وعاد إلى مغنيسا إلى أن تحرّكت طائفة الينكجرية فعاثوا ونهبوا بيوت الأمراء، فأعادوا السلطان مراد إلى سرير الملك وجلس ابنه محمد مكان أبيه في مغنيسا، واستمرّ السلطان مراد يغزو إلى أن توفي سنة خمس وخمسين وثمانمائة انتهى ملخصاً وهذه الوقعة مثل الذي ذكرها الناظم لكنه نسبها إلى السعد بايزيد، وهذه نسبها صاحب أخبار الدول إلى ابن ابنه السلطان مراد، فإن صحّ فإنها واقعتان فلا اختلاف، وإلاّ فبين وقتيها، وكذا بين صاحبيها اختلاف يحتاج إلى الترجيح، فيرجّح ما ذكره الناظم بكونه معاصراً للواقعة وشاهداً لها كما تقرّر في الأصول.

فـأبشروا بفتـح قسطنطينيـة فلم تكن من بعـد ذا لتعصيـه

ثم بشّر الناظم بفتح القسطنطينية مع تأخر فتحها عن عصره بكثير كما يأتي فقال: (فأبشروا) أيها السلاطين العثمانية يقال: بشرته بمولود فأبشر، ويقال: أبشر بخير بقطع الهمزة وبشرت بكذا كعلمت أي استبشرت به، وجاء أبشر متعدياً أيضاً كبشرته وبشّرته كما في الصحاح، والمعنى اللازم هنا أنسب كما لا يخفى (بفتح قسطنطينية) على أيديكم وهي بضم القاف وسكون السين وفتح الطاء الأولى وسكون النون وكسر الثانية وسكون الياء المثناة بعدها نون مكسورة أعظم مدائن الروم، بناها قسطنطين الملك فنسبت إليه، وهو أول من تنصّر من ملوك الروم كذا ذكره عزّ الدين الجزري في الأنساب،.

فإن قلتَ بم علم الناظم أنها ستفتح على أيديهم حتى بشر بها؟ قلتُ كأنه

استنبط من حديث مكحول عن معاذ بن جبل بطرق قال: قال رسول الله ﷺ: [عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، ثم خروج الدجال] (٣٣٧) فتفاءل بحمل ملحمة السلطان بايزيد على المذكورة في الحديث، وبعدها فتح القسطنطينية، وإن قال الأئمة إن محمل الحديث الملحمة زمن المهدي، ثم فتحها بعدها كما يدل عليه ما جاء في عدة طرق أنه ﷺ قال: «الملحمة العظمىٰ وفتح قسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر (٣٣٨)، وفي رواية «تسع سنين» (٣٣٩) قال أبو داود في سننه: وهذه أصح من الأولىٰ، وإن البشارة بذلك كرامة له، وقد قال الأئمة: إن لم يكن العلماء أولياء فليس لله وليّ (فلم تكن) القسطنطينية (من بعد ذا) أي من بعد فتحها (لتعصيه) اللام لام الجحود والهاء زيدت لضرورة الوقف أي فلم تكن بعد فتحها عاصية على المسلمين إنشاءالله تعالىٰ، وهذا في حيز المبشر به، وقد حقّق الله تعالىٰ رجاءه بفتحها وعدم عصيانها إلىٰ الآن، والإشارة إلى شيء من فتحها أن الملك الفاضل النبيل المجاهد السلطان محمد ابن السلطان مراد ابن السلطان محمد ابن السلطان السعد بايزيد لما تسلطن وكان مغرماً بالجهاد، متوكلاً على الله تعالىٰ خرج إلى قتال صاحب قرمان فخاف منه وصالحه، ثم عاد ولم يكن له هـمّ إلاّ فتح المدينة الكبرىٰ قسطنطينية، وهي من أعظم البلدان وأمنعها حصناً لإحاطة البحر بها من كل جانب إلاّ الطرف الغربي، وهو يسير وقد حصّنوه

---

(٣٣٧) رواه أحمد (٢٤٥/٥) وأبو داود (٤٢٩٤) والطبراني في المعجم الكبير (ج٢٠ رقم٢١٤) وفي مسند الشاميين (٣٥١١) والبغوي في شرح السنة (٤٢٥٢) من حديث مكحول عن جبير بن نفير عن مالك بن يخامر عن معاذ.

(٣٣٨) رواه أبو داود (٤٢٩٥) والترمذي (٢٢٣٩) وابن ماجه (٤٠٩٢).

(٣٣٩) رواه أبو داود (٤٢٩٦) ولفظه «بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين، ويخرج المسيح الدجّال في السابعة». وبهذا علمت ما في نقل المصنف.

وكتبه حمدي عبدالمجيد السلفي
٤ ربيع الأول ١٤٠٧

بثلاثة أسوار وعدة خنادق فشرع في مهماتها بسبك المدافع الكبار ونحوها، فلما تكاملت الآلات والأسباب نهض في أوائل جمادىٰ الأولى سنة سبع وخمسين وثمانمائة بجيش عظيم وعزم صارم، فخيّم على قسطنطينية فحاصروها، وقاتلهم من جهة البر والبحر أحداً وخمسين يوماً، حتىٰ عجز المسلمون عن أمرها، وكان أهلها لما سمعوا بقصد المسلمين لهم استمدّوا من الأفرنج، فأمدّوهم بجيش الأفرنج وبشّر الشيخ شمس الدين وزيره أحمد باشا بالنصر، استفتح الله القسطنطينية إن شاءالله تعالىٰ علىٰ يد المسلمين من هذا العام، وسيدخلونها من الموضع الفلاني في اليوم الفلاني من هذا العام وقت الضحوة الكبرىٰ وأنت تكون حينئذ واقفاً عند السلطان محمّد، فبشّر الوزير السلطان بما أبشر [أسر] به الشيخ من الفتح، فلما صار ذلك الوقت الموعود ولم تفتح القلعة خاف الوزير من جهة السلطان فذهب إلى الشيخ فمنعوه من الدخول لأنه أوصىٰ بذلك، فرفع الوزير أطناب الخيمة فنظرنا فإذا العسكر قد دخلوا بأجمعهم ففتح الله تعالىٰ ببركة دعائه [دعاء الشيخ] في ذلك الوقت، وكانت دعوته تخرق سبع طباق [السماء]، فلما دخل السلطان محمد المدينة نظر إلى جانبه فإذا وزيره واقف عنده فقال: هذا ما أخبر به الشيخ وقال: ما فرحت بهذا الفتح، وإنما فرحي بوجود مثل هذا الرجل في زماني، وكان الفتح يوم الأربعاء من جمادى الأخرىٰ سنة سبع وخمسين وثمانمائة، فغنم المسلمون ما لم يسمع بمثله في عصر، فلمّا شاع خبر الفتح هابه الملوك فأرسلوا إليه يهنّونه بالفتح، وكم رامه من الأوائل فلم ينالوه وإنما خبّأه الله تعالىٰ لهذا السلطان لحسن سيرته وإخلاص نيته، وضمّن بعضهم هذا المعنىٰ في تاريخ الفتح، فقال:

رام أمر الفتح قوم أولون   حازه بالنصر قوم آخرون

وقع لفظة آخرون تاريخ الفتح بحساب الجمّل، وهي بلدة طيّبة صحيحة

الهواء عذبة الماء من الإقليم الخامس، ولما دخل السلطان المدينة سار إلى كنيستها العظمىٰ فطهرها من أنجاس الكفر، وصلّىٰ فيها وحمد الله تعالىٰ وجعلها جامعاً للمسلمين، ورتّب له معالم وأوقافاً، ثم التمس من الشيخ شمس الدين أن يريه موضع قبر أبي أيوب الأنصاري، وكان مدفوناً هناك، وانطمس قبره فتوجه الشيخ ساعةً، ثم قال: احفروا هذا الموضع وهو من جانب الرأس من القبر مقدار ذراعين يظهر لكم رخام عليه خط عبراني، فلمّا حفروا ظهر رخام كذلك فقرأه من يعرفه فإذا هو قبر أبي أيوب الأنصاري، فتحيّر السلطان محمّد وغلب عليه الحال حتىٰ كاد أن يسقط لولا أن أمسكوه، فأمر ببناء القبة عليه وببناء الجامع والحجرات.

وفي سنة ستين وثمانمائة عزم السلطان بلاد أنكروس، فانتصر عليهم ثم اتسع فتوحه إلى ما لم يسمع بمثله. توفي سنة خمس وثمانين وثمانمائة خامس شهر ربيع الأول، ووصّىٰ بالملك لولده بايزيد خان. ثم ذكر الناظم ما هو كالتعليل للتبشير بالفتح السابق فقال:

لعلّ ذي الملحمةُ المذكورة ... والله ربّنا مُتِمٌّ نوره
والحمدلله على أن نصرا ... نبيّه ودينه وأظهرا
صلىٰ عليه ربّنا وسلما ... وردّ كيد من بغىٰ وسلما

(لعلّ ذي) أي ملحمة بني الأصفر مع السلطان السعد بايزيد هي (الملحمة المذكورة) المشهورة في الأحاديث بأن عقبها فتح قسطنطينية، أو التقدير: لعلّ الملحمة المذكورة) المشهورة في الأحاديث بأن عقبها فتح قسطنطينية، أو التقدير: لعلّ الملحمة الواردة في الأحاديث هذه الملحمة المذكورة في النظم، وحذف اسم لعلّ ونحوه جائز في الضرورة كما بينته في كتابي تحفة الخلان في الألغاز النحوية (والله ربّنا متمٌّ «بالتنوين» نوره) ولو كره الكافرون (والحمدلله

على أن نصرا، نبيّه) الفرد العلم محمداً ﷺ بإعزاز كلمته وإعلاء ذكره (و) نصر (دينه) في كل عصر بإقامة طائفة لنصرته وإذاعته (وأظهرا) دينه على الدين كله ولو كره المشركون (صلى عليه ربّنا وسلّما) أي جعله سالماً من كل نقص (وردّ) عن أهل الإسلام (كيد من بغىٰ) عليهم وأراد قهرهم وذلّهم (وسلّما) أي سلم إلى أهل الإسلام وأظفرهم عليه من قولهم: سلمته إليه فتسلّمه أي أعطيته فتناوله، وبما ذكرنا من معنى سلّما في الموضعين ظهر في كلامه حسن الجناس وفيه أيضاً ما لا يخفى من حسن الختام، نسأل الله عزّ وجلّ حسن الختام في كل الأمور وتحويل كل معسور إلى ميسور وأحمده على أن منّ عليّ بإكمال هذا الشرح المحرّر، كالوشيٰ المحبّر، بل الكبريت الأحمر، تاسع عشر المحرّم سنة ثمانين ومائة بعد الألف من هجرة السيد المكرّم، ﷺ واستغفر الله وأنا جامعه الحقير الشهير بابن الحاج، من كل تعسّف في هذا الشرح وسوء نيّة فيه واعوجاج، ومن كلّ تصنع في عباراته، ورياء في طيّ إشاراته، وإعجاب بحسن تحريراته، وأتضرع إليه أن يتداركني بفضله العميم، وأن يجعله خالصاً لوجهه العظيم، وخدمةً لجناب نبيّه الكريم، تُعرِّفني لديه، وتقربني إليه، يوم انكبّ فللشفاعة على يديه، إن ربّي على كل شيء قدير، وإجابة ذلك عليه يسير، إنه أرحم الراحمين، حقيق برجاء الراجين، وصلى الله على سيّدنا محمد وآله أجمعين، ثم إني أجزت لأولادي وأقاربي وأحبائي وتلاميذتي ولأهل بلدي وإقليمي بل ولمن أدرك حياتي من المسلمين على مذهب من يرىٰ ذلك من أئمة الحديث في القديم والحديث رواية ما ذكرته في هذا الشرح عنّي نفعاً للعامة.

وأوصي كل من يتأهل من الناظرين فيه أن يسامحني فيما زلّ به القدم، أو طغىٰ فيه القلم، وأن يقيم عذري بالانتصار، إذ لم أُسبَق إليه في الابتكار، وهذه نسخة المسودة ثنيت عليها النظر، فأبرزتها لتكتب وتشتهر، ولكن لا أجيز أحداً يكتب منها نسخة، إلاّ أن يصحّحها ويقابلها بأصلها لأن التأليف إنما يغيّره

النّساخ حتى يصير إلى المسخ والانفساخ، فمن بدّله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدّلونه

والسلام

تمت بعون الله وحسن توفيقه كتابة هذا الشرح المسمىٰ برفع الخفا على ذات
الشفاء للإمام الماهر الذي حجّ حجتين الموسوم المشهور مولانا
وسيدنا بمحمّد بن حاج حسن الذي مات في السنة
التي كتبت فيها وهي سنة تسع وثمانين
ومائة بعد الألف في ولاية العقرة
بعد هجرته من قرية هزار مرد لشورش العجم
رحمه الله تعالىٰ وأنا كاتبه الحقير
عبدالله بن ملا يوسف المشهور

بنفسه لنفسه وحباً لرسوله ﷺ غفر الله لنا ولآبائنا ولامهاتنا ولسائر المسلمين
آمين يا رب العالمين بحرمة سيد المرسلين والسلام.

قابلت بتمامه

بحسب الطاقة من النسخة التي قوبلت من نسخة الشارح رحمه الله تعالى
وهو نسخة ملا علي المشهور بآغجه لري
غفر الله لهم أجمعين آمين يا ربّ العالمين

وما قابلت أولاً إلاّ قليلاً لأني وقعت في أفكار الدنيا لضيق المعاش
فإن وجدت فيه خطأ فلا تلمني لأن ضيق المعاش كاد أن يقع الإنسان في الكفر
ثم رزقني الله تعالىٰ.

وفي نسخة القاضي: كتب هكذا:

وقع الفراغ من تحرير هذا الشرح المسمى برفع الخفاء الواقع
على ذات الشفاء في شهر رمضان يوم الخميس ومضىٰ
من الشهر أربعة عشر يوماً من يد عبدالله
البيراني ويد الفقيه النجيب الحبيب ملا
عبا بكر السيد كيّ غفر الله تعالىٰ له
ولآبائنا ولأقاربنا المحب لنا
ببركة صواحب هذه السير
إنه غفور رحيم
آمين يا ربّ
العالمين.

قد وقع الفراغ من تحرير هذا الكتاب
في سنة ألف ومائة وتسعين
وخمس من هجرة النبوية
المصطفوية عليه أفضل
الصلاة والسلام
م

فهرس المحتويات

الصفحة